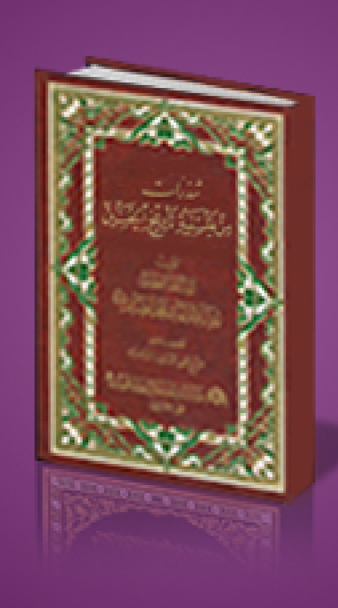
شذرات من فلسفة تأريخ الحسين (ع)





السيد الشهيد محمد الصدر قدس سره






آية الله العظمى
السيد الشهيد محمد الصدر قدس سره

شذرات
من فلسفة تاريخ الحسين (ع)



النجف الأشرف
فاكس: ٠٠٩٦٤٣٣٣٦١١٠٣
تلفون: ٠٠٩٦٤٧٧٠٦٠٦٢٧٧٨
البريد الالكتروني: alturaath_1943@yahoo.com
تلفون لبنان: ٠٠٩٦١٧٠٠٥١٠٨٧



بيروت - لبنان
هاتف: ٧٠٠٥١٠٨٧ - ٠١٥٤٧٦٩٨
Email:. iraqsms@gmail.com

شذرات

من فلسفة تاريخ الحسين (ع)

تقرير وتحقيق

الشيخ اسعد الناصري

عن محاضرات

آية الله العظمى

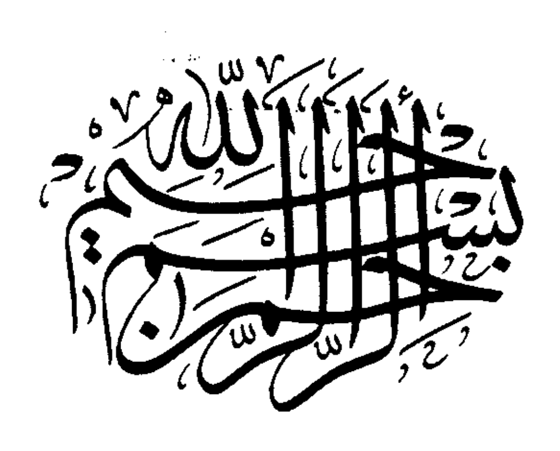
السيد الشهيد محمد الصدر قدس سره



النجف الأشرف



بيروت

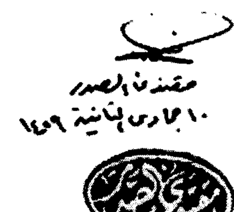

بسم الله الرحمن الرحيم

بسمه تعالى

كان لزاماً علينا ان ننشر هذه الكتب القيمة لما تضم من علم وافر وفكر عال ووعي كبير ومنارة خير للمجتمع كافة .. فان فكر السيد الوالد (قدس) يمثل مواهب عبقرية لابد لنا من نشرها لكي تصب في بناء مجتمع اسلامي ...

وبعد طول انتظار قام بعض الفضلاء والمؤمنين وباشراف مباشر منا بتنضيد وتصحيح وترتيب هذه المؤلفات الجليلة القدر لغرض النشر فيشع شعاعها على المؤمنين في مشارق الارض ومغاربها فجزاهم الله خيراً.

علماً ان كل كتاب له (مقدمة) لا يضم مقدمة لنا فهو ليس صادر عنا علماً ان يكون المخول من قبلنا لطباعة هذه الكتب هم :- ((هيئة تراث السيد الشهيد)) في النجف الاشرف او من يحمل تخويلاً خطياً منا



مقتدى الصدر
١٠ جمادى الثانية ١٤٢٦

مقدمة الكتاب

ينبغي أن يلتفت القارئ الكريم حول الكتاب إلى عدة نقاط:

النقطة الأولى: إن هذه هي المجموعة الثانية من المحاضرات التي ألقيتها على مجموعة من طلاب الحوزة الشريفة في ذكرى شهادة الحسين الشهيد عليه أفضل الصلاة والسلام.

أما المجموعة الأولى فقد مضى عليها عدة سنوات وطبعت عدة مرات بعنوان: (أضواء على ثورة الحسين عليه السلام).

وغالباً ما يتم إلقاء أمثال هذه المحاضرات خلال الأشهر الخاصة بتلك المناسبات وهي شهري محرم الحرام وصفر الخير الهلاليين.

وقد تم إلقاء هذه المجموعة الثانية في عام ١٤١٨ للهجرة النبوية الشريفة على مهاجرها أفضل الصلاة والتحية.

النقطة الثانية: إنه كان في الامكان أن يكون هذا هو الجزء الثاني لذلك الكتاب. ولكننا وجدنا -كما سيجد القارئ أيضاً بعد اطلاعه على كلا الكتابين- أن هذا الكتاب مختلف عن سابقه اختلافاً جوهرياً، بالرغم من اتحادهما في الموضوع العام. ومن هنا رجحنا أن يكون كتابنا مستقلاً، واخترنا له هذا العنوان: (شذرات من فلسفة تأريخ الحسين عليه السلام).

النقطة الثالثة: إن فكرة ما يسمى بالتقريرات في الحوزة الشريفة موجودة بكثرة وخاصة في علم الأصول. حيث يقوم الأستاذ بإلقاء المحاضرات، ثم ينبري أحد الطلاب الأذكياء المستوعبين للمادة إلى كتابة تلك المحاضرات وطبعها باسمه واسم أستاذه. فتلك هي (التقريرات).

وقد سمعت من بعض الفضلاء أن كتاب (فقه الرضا) وكتاب (تفسير العسكري) إنما هي نوع من التقريرات كتبها بعض طلاب الأئمة عن محاضراتهم عليهم السلام.

وهذا الكتاب الذي بين يديك هو نوع من التقريرات، حيث قام جناب الأخ المفضال الشيخ أسعد الناصري دام عزه بكتابة وضبط تلك المحاضرات بشكل منسق وجميل. فكان ذلك هو هذا الكتاب جزاه الله خير جزاء المحسنين.

وقد قرأت كتابته بتدبر فوجدتها متكاملة وشاملة ومماثلة لما كنت ألقيته من تلك المحاضرات بحمد الله وحسن توفيقه.

النقطة الرابعة: إننا اتفقنا فيما بيننا: أنه لا حاجة إلى أن تكون عبارة الكتاب جزلة ورصينة - كما يعبرون - بل يحسن أن تكون بنفسها انعكاساً لسلاسة المحاضرات الأصلية ووضوحها، فإنه سيكون أعم فائدة وأشمل نفعاً.

ومن هنا كان الأسلوب في هذا الكتاب، هو أسلوب الدرس نفسه، وليس أسلوب التأليف الرصين المتكامل.

إلا أنه بطبيعة الحال أصبح صورة عن المحاضرات، بسهولتها وصعوبتها أيضاً، فإنها -بلا شك- تمثل لغة الحوزة ومصطلحاتها، حين تحين الحاجة إلى تلك المصطلحات.

ومن ثم فقد يجد القارئ الإعتيادي، بعض الصعوبة الناتجة من اختلاف الفكر الحوزوي واللغة الحوزوية عن اللغة السوقية. وكان هذا مما لا بد منه.

النقطة الخامسة: لم تكن مهمة جناب الشيخ المقرر دام عزه سهلة، لأن المحاضرات نفسها، فيها مكررات أحياناً وإيضاحات واستدراكات وغير ذلك، مما يقتضي الحذف أحياناً والتقديم أو التأخير أحياناً. وقد قام بكل ذلك مشكوراً.

هذا وقد أعطيته الحرية التامة بالتعبير، فلم أغير من كتاباته شيئاً، بل أقررته عليها وإن صادف أحياناً أنها تختلف قليلاً عن مضمون الدرس نفسه. فإنها يكفي أن تكون ممثلة لفهمه من تلك المحاضرات. وهو فهم كاف ومعتد به والحمد لله وحده.

النقطة السادسة: يلاحظ القارئ الكريم كون هذا الكتاب خالياً عن المصادر والتحويل على الأجزاء والصفحات والطبعات[1]. فقد اعتدت شخصياً على ذلك في عدد من مؤلفاتي مثل ثورة الحسين عليه السلام وفقه الأخلاق. ثم قد يوفقنا الله سبحانه في الطبعة الثانية إلى بيان ذلك. كما كان فعلاً في الكتابين المذكورين في طبعتهما الثانية.

النقطة السابعة: يجد القارئ الكريم أن هذا الكتاب غير مستوعب لكل تأريخ الحسين عليه السلام. بل فيه نقص رئيسي وهو عدم تعرضه لواقعة يوم الطف. وإنما تعرض الكتاب إلى هذا الإمام الهمام من أول أمره إلى قضية مقتل مسلم بن عقيل عليه السلام في الكوفة، بصفته سفيراً للحسين عليه السلام. وكان ذلك كافياً في

---

(١) يعني في الطبعة الأولى.

إنجاز هذا الكتاب، ويبقى الحديث الباقي عن وقائع يوم الطف وغيره موكولاً إلى ضمير الغيب، لعل الله سبحانه يوفقنا إليه إذا بقيت الحياة.

النقطة الثامنة: إنه لا شك أن النظر إلى فلسفة تأريخ المعصومين عليهم السلام وأفعالهم وأقوالهم من الصعوبة بمكان، لأن ذلك حتماً فوق المستوى الإعتيادي للبشر. كما حاولنا البرهنة عليه في مقدمات كتابنا عن ثورة الحسين عليه السلام.

ومن هنا يكون أي كلام مخالف للواقع، من الكذب على الله وعلى المعصومين عليهم السلام، وهو من أعظم الكبائر في الدين. فبينما يريد به الفرد الإفادة والثواب، فإنه ينال اللعنة والعقاب.

إلا أن الذي يهون الخطب، هو أسلوب الأطروحات الذي عرضناه وعرَّفناه في مقدمة (منة المنان)[١]. وهو الأسلوب الذي اتخذناه هنا أيضاً، بل هو موجود أيضاً في أغلب مؤلفاتي ودروسي.

فإن كثيراً من الوجوه والإعتبارات والإلتفاتات، لو صح التعبير، إنما هي أطروحات مناسبة للمقدار الذي نستطيع أن نفهمه ونعلمه من مستوى المعصومين عليهم السلام.

ويبقى الواقع منحصراً بضروريات الدين وواضحات التأريخ من ناحية،

---

(١) منة المنان ص ١٢ ط بيروت. وهو من الأساليب التي فتح من خلالها الباب واسعاً لعرض الأفكار والتفلسف فيها من قبل كل أحد له القابلية على عرض الأفكار النافعة. حتى فيما يخص فهم الآيات في القرآن الكريم نفسه، ليفسح المجال أمام جميع الطبقات والمستويات في أن تفهم القرآن الكريم، ولا ينقض عليها بأن ذلك تفسير بالرأي، ما دامت الفكرة معروضة على نحو الأطروحة. وبذلك ينكسر القيد الذي فرضه البعض على القرآن الكريم وأنه حكر على طبقة علمية معينة. ومن هنا فلجميع الاختصاصات أن تستنتج وتفهم من القرآن مختلف الأفكار في مختلف حقول المعرفة. وبذلك فإننا سوف نخرج بنتائج مذهلة لا محالة.

وبما يعلمه الله سبحانه من الأسرار الواقعية التي نحن في مستوى النقص والقصور عن الإلتفات إليها والحصول عليها.

وفي النهاية أتمنى على الرب الرحمن الرحيم أن يجعل في هذا العمل وغيره القربة والرضا، وأن يعفو عن ما قد يكون فيه من نقائص وهفوات، ناتجة من النفس الأمارة بالسوء وأتمنى على الإخوان المؤمنين الدعاء بخير الدارين وكل ما تقر به العين. ومن الله نستمد كل توفيق والحمد لله رب العالمين.

محمد الصدر
١٠ شوال ١٤١٨

مقدمة المقرر

الحمد لله الذي بطن خفيات الأمور، ودلت عليه أعلام الظهور، وامتنع على عين البصير فلا عين من لم تره تنكره، ولا قلب من أثبته يبصره. سبق في العلو فلا شيء أعلى منه، وقرب في الدنو فلا شيء أقرب منه، فلا استعلاؤه باعده عن شيء من خلقه، ولا قربه ساواهم في المكان به. لم يطلع العقول على تحديد صفته، ولم يحجبها عن واجب معرفته، فهو الذي تشهد له أعلام الوجود على إقرار قلب ذي الجحود، تعالى الله عما يقول المشبهون به والجاحدون له علواً كبيراً.

اللهم يا من خص محمداً وآله بالكرامة، وحباهم بالرسالة، وخصصهم بالوسيلة، وجعلهم ورثة الأنبياء، وختم بهم الاوصياء والأئمة، وعلمهم علم ما كان وما بقي، وجعل أفئدة من الناس تهوي إليهم، صل على محمد وآله الطاهرين. وافعل بنا ما أنت أهله في الدين والدنيا والآخرة إنك على كل شيء قدير.

ها هو السيف الصارم والليث الهزبر، في صولة من صولاته الحيدرية، وخطوة من خطواته الحسينية، يقف بجرأة وبسالة ليفيض علينا من بحر جوده وكرمه، أنفاساً مقدسة، وأفكاراً حاسمة. فيسلط الأضواء على (شذرات من فلسفة تأريخ جده الحسين عليه السلام). فإنه يأبى أن نمر بتأريخ أبي الأحرار عليه السلام

مروراً تقليدياً، وإنما يريد الغوص في هذا التسلسل التأريخي، ليعطينا المعاني الحقيقية لتلك الخطوات التي سارت وفق الحكمة الإلهية المتعالية، ويقطع الألسن التي تحاول الطعن بهذه الثورة المباركة، فيكون سبباً ومُسبِباً في أن يبقى صوت الحسين عليه السلام هادراً على مر السنين، ينسف عروش الظالمين، ويجمع كلمة المسلمين.

وقد منَّ الله على الجاني المقصر كاتب هذه الأسطر بأن رزقني متابعة المحاضرات التي ألقاها سماحة السيد دام ظله في مسجد الرأس الشريف، فقمت بكتابة وجمع تلك المحاضرات، ثم تنسيقها وترتيبها بالشكل الذي تراه أمامك، بما تتطلب هذه العملية من حذف المكررات وإرجاع بعض المطالب التي هي عبارة عن استدراكات إلى مكانها المناسب لها. حيث يقوم سماحته بالتكلم عن اشكال مثلاً يعود إلى موضوع قد سبق التكلم عنه قبل درس أو درسين أو أكثر وهكذا. وتسلسل الكتاب الذي تراه أمامك ليس تماماً كالتسلسل الذي سار عليه سماحة السيد دام ظله في الدرس. وإنما قمت بتقديم بعض المواضيع وتأخير البعض الآخر بما أراه مناسباً مع التسلسل الزماني والتأريخي، لأن منهج الدرس يسير مع ما ينقدح في الذهن أو يعرض من إشكالات متفرقة، تتحدث عن أمور متفرقة في التأريخ من حيث الزمان. وهذا ما أشار إليه سماحته دام ظله في مقدمة الدرس بقوله: وهذا إلى حد ما صادق، ولا أستطيع أن أضبط المطالب مائة بالمائة، وإنما بعد إلقائه وكتابته يمكن ترتيبه بشكل من الأشكال.

وأنا اعتبر أن هذه العبارة بمثابة الضوء الأخضر بأن آخذ الحرية في ذلك من ناحية التقديم والتأخير بما أراه مناسباً ومترابطاً ومتماشياً مع التسلسل التأريخي.

ولا يفوتني هنا أن أذكر أن هذه هي أول محاولة لي في الكتابة، سائلاً المولى القدير أن تكون فاتحة خير لي لنفع الدين والمجتمع الإسلامي ليدخر ما يمكن ادخاره ليوم لا ينفع فيه لا مال ولا بنون.

واسأل الله أن يتجاوز عني كل خطيئة وتجاوز.

وأتوجه إلى أهل البيت عليهم السلام وخصوصاً سيد الشهداء عليه السلام بأن يصفحوا عن كل خطل وزلل مني.

واستميح سيدي ومولاي السيد الصدر عذراً واستغفره عن كل إساءة.

واسأل الأخوة المؤمنين الدعاء في مظان الإجابة.

والحمد لله على ما أنعم.

العبد الفاني

أسعد الناصري

١٩ ذي الحجة ١٤١٨

مقدمة الدرس

في حدود فهمي: إن هذه الدروس تصلح أن تكون تكملة لكتابي (أضواء على ثورة الحسين) وإلى ساعة متأخرة كنت احسبها ليست ذات منهج معين، وإنما هي عبارة عن مجموعة أسئلة على غرار درس التفسير، حيث يعرض السؤال ثم يجاب عليه. مع نقطة ضعف توجد هنا وذلك أن درس التفسير مرتب على ترتيب آيات القرآن الكريم، بينما نجد أن هذا الدرس ليس كذلك.

وهذا إلى حد ما صادق، ولا أستطيع أن أضبط المطلب مائة بالمائة، وإنما بعد إلقائه وكتابته يمكن ترتيبه بشكل من الأشكال.

وإذا كانت هذه الأمور التي سوف أطرحها تكملة لكتاب (أضواء على ثورة الحسين)، فهناك تحدثنا عن كبرى وصغرى. أي قاعدة عامة، وتطبيق للقاعدة العامة، والتي استوعبت حوالي نصف الكتاب، وذلك في إعطاء فكرة عن أن نحمل المعصومين وأصحابهم على الصحة، لأنهم تربية رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أو لأنهم ملهمون ونحو ذلك. فأي شيء شككنا فيه من ذلك فإنما هو لقصورنا وتقصيرنا، وليس لنقص فيهم والعياذ بالله.

وهذا يعتبر كقاعدة عامة، وأما التطبيق فتحتاج إليه بعض النفوس، فقد يأتي سؤال بقوة في الذهن، فإذا حصل شيء من ذلك فإنه يحتاج إلى الجواب.

وقد تركت التعرض إلى بعض الأسئلة هناك، فلربما أن بعض الأسئلة يصعب جوابها خصوصاً أمام العوام، وإنما ذكرت أشهر الأسئلة وأوضحها مع

أجوبتها وليست كلها كذلك[١].

والأمر هنا كذلك، فإننا نعرض السؤال الذي نستطيع أن نجيبه، وأما إثارة السؤال الذي لا نستطيع الإجابة عليه فغير صحيح[٢]. فإن مثل ذلك يثير الشبهات في أذهان السامعين، فيفهمون السؤال ولا يفهمون جوابه.

مع العلم أنه يحرم إثارة الشبهات التي لا يمكن الإجابة عليها أمام الناس.

والأسئلة سوف تكون على تقدير صحة الروايات، وأكثرها روايات تأريخية ضعيفة، فإننا لو وزناها بالميزان الفقهي لا تكون معتبرة. فمن هذه الناحية فإن أسهل ما يقال في مثل ذلك هو ضعف السند، والأصل عدم صدوره، فنتخلص من أصل المشكلة.

ولكن بعض الأمور قابلة للتفسير دينياً، أو عقلائياً أو عرفياً، أو بدرجة من درجات الباطن.

فإذا كان الأمر كذلك نستطيع أن نتنزل عن عدم إعتبار السند، ونقول: لو كان هذا القول أو العمل موجوداً فجوابه كذا وكذا.

---

(١) عندما قمت بتقرير الكتاب الذي بين يديك كان ذلك تحت إشراف شهيدنا الحبيب (قدس سره) بشكل مباشر، وقد اتفق معي على بعض الأمور والتي منها أنني إن وجدت شيئاً في المسودات التي كان يكتبها قبل إلقائها في الدرس والتي كان يعطيني إياها لأستعين بها في التقرير، فإن وجدت فيها ما لم يذكره في الدرس فإن علي أن أعرض عنه ولا أذكره في الكتاب وقد برر ذلك بخشية الإطالة، لكن الذي فهمته في حينها ولا زلت أعتقد به، هو أنه قد رأى مصلحة آنية في حينها لعدم ذكره في الدرس، فالمصلحة تقتضي عدم نشره أيضاً. وكذلك عندما راجع التقريرات فإنه أمر بحذف بعض المطالب لعدم اقتضاء المصلحة نشرها، وهي موجودة في مسودة التقرير. فما قام به أو يقوم به البعض خلاف ذلك وينشرون ما ليس في النسخة المقرة من قبله فإنه ليس بصحيح لعدم إمضائه من قبل المصنف.

(٢) عدم الإستطاعة قد يكون سببه قصور السامع أو القارئ في فهم الجواب، فالأولى الإعراض عن إثارة الشبهة أو السؤال أصلاً.

نصرة الحسين عليه السلام

روي عن الحسين عليه السلام أنه قال: **(من سمع واعيتنا فلم ينصرنا أكبَّه الله على منخريه في النار)**[١].

فإنه يرد على ظاهر هذه الرواية إشكال رئيسي، يتسجل بالإلتفات إلى عدة مقدمات، فإذا استطعنا مناقشتها، أو مناقشة بعضها، فالإشكال ساقط:

المقدمة الأولى: إنهم قالوا في اللغة[٢]: إن الواعية هي الصراخ على الميت، وهي لا تحصل إلا بعد الموت. فواعية الحسين عليه السلام وأصحابه لا تكون إلا بعد استشهادهم. فمعنى قوله: **(واعيتنا)** أي من سمع أننا مُتنا، بحيث سمع البكاء أو الصراخ علينا. ولا معنى لوجودها قبل الموت.

المقدمة الثانية: إن النصر المتوقع له إنما يكون حال حياته، وحال حربه مع جيش الأعداء أو قبل ذلك، أي حينما كان يدعو الناس في المدينة، إذ لا معنى للنصر بعد الموت الذي يكون قد حصل.

المقدمة الثالثة: إن المفهوم عادة من **(ينصرنا)** أو **(نصرنا)** أو **(هل من ناصر**

(١) أنظر الأمالي للشيخ الصدوق ص٢١٩، البحار ج٢٧ ص٢٠٤، والرواية وردت بلفظ: فلم يجبنا. والإجابة بمعنى النصرة.

(٢) أنظر تاج العروس ج١٠ ص٣٩٤.

لنا) هو النصرة في المستقبل، فإن إطاعة الأمر تكون إستقبالية دائماً.

فيكون المعنى كالآتي: من سمع واعيتنا أي بعد موتنا فلينصرنا أي بعد حصول الشهادة، وقد قلنا في المقدمة الثانية: إنه لا معنى للنصر بعد حصول الشهادة والوفاة.

إذن، فلو تَمّتْ كلُّ هذه المقدمات لأصبحت العبارة لاغيةً ولا معنى لها.

ويمكن الجواب على ذلك بعدة مستويات:

المستوى الأول: أن نتنزل عن المقدمة الأولى، وهي أن الواعية هي الصراخ على الميت، فنقول: إن الواعية كما هي الصراخ على الميت هي أيضاً مطلق الصراخ وإن لم يكن على الميت.

قال ابن منظور[١]: والوعى أو الوغى بالتحريك، الجلبة والأصوات، وقيل: الأصوات الشديدةب والواعية كالوغى. فكما أن الوعى: الأصوات، فكذلك الواعية ايضاً.

وقال: الأزهري: الواعية، والوعى، والوغى كلها الصوت، والواعية هي الصارخة. أي أن الواعية كما أنها تستعمل كمصدر فإنها تستعمل كإسم فاعل، أي الفاعل للصوت، أو الناطق به. وإنما سمي الصراخ على الميت واعية، لأنه صوت وضوضاء. أي حصة من الصوت والضوضاء.

فيكون معنى الخبر الوارد (من سمع واعيتنا) أي سمع صوتنا، وسمع استغاثتنا، ولم يأت لنصرتنا مع تمكنه من ذلك، أكبَّه الله على منخريه في النار. وهو أمر مطابق للقواعد فقهياً وعقائدياً، ولا يحتاج الحسين عليه السلام إلى بيانه،

(١) لسان العرب ج١٥ ص٣٩٧.

ولكنه بيّنه إيضاحاً وتنبيهاً للغافل وغير الملتفت، وكذلك لإقامة الحجة على الجيش المحارب له، فإنهم بطبيعة الحال يكونون مصداقاً لذلك بل هم المخاطبون بالمباشرة، وباقي الناس إنما يبلغهم النداء بالنقل والرواية. ومن الواضح تأريخياً أنهم لم يستجب منهم أحد إلا الحرُّ بن يزيد الرياحي رضي الله عنه[(١)] وربما معه ولده أو خادمه.

المستوى الثاني: التنزل عن المقدمة الثالثة: فإن قوله: **(ولم ينصرنا)** وإن كان ظاهراً بالإستقبال في نفسه، كما هو مقتضى طبيعة الأمر إلا أنه لما كان يلزم منه اللغوية -بعد التنزل عن الأجوبة الأخرى- فإنه يمكن صرفه إلى الماضي، وخاصة مع وجود حرف (لم) الذي يفيد الماضي، فيكون المعنى ولم يكن قد نصرنا خلال حربنا واستغاثتنا، أكبه الله على منخريه في النار. وهو أمر مطابقٌ للقواعد أيضاً.

المستوى الثالث: التنزل عن المقدمة الثانية التي تقول: بأن النصر المتوقع المطلوب إنما يكون في حالة حياة الحسين عليه السلام وأصحابه، أي نصرهم ضد الجيش المقابل لهم. فنقول: إن ذلك ليس هو الفرد المنحصر أو المعنى الوحيد وإن كان هو القدر المتيقن. فإن النصرة يمكن أن تكون في كل وقت، حتى بعد الشهادة وحتى الآن وحتى في المستقبل فيمكن نصرته في أي مكان، وفي أي زمان، وفي أي جيل، ومن قبل أي شخص، وعلى كل المستويات[(٢)].

فيكون المعنى: من سمع واعيتنا أي بعد حصول الشهادة للحسين عليه

---

(١) أنظر الإرشاد ج٢ ص١٠٠، البحار ج٤٥ ص١١.

(٢) وهذا هو المناسب مع سعة الرحمة التي يمثلها الإمام الحسين عليه السلام والفرصة المعطاة للبشرية بسببه لأجل الطاعة والهداية، وليست المسألة متعلقة بجيل دون غيره.

السلام وأصحابه، فيجب عليه أن ينصرنا في أي زمان ومكان بمقدار ما يستطيع وما يتيسر له من إمكانيات.

والنصرة أيضاً ليست منحصرة بالقتال، وإن كان هو القدر المتيقن منها، الا انها يمكن أن تكون بإطاعة أوامره، وتطبيق شريعته التي قتل من أجلها، وضحى في سبيلها، وكذلك هداية الآخرين نحو أهدافه، وكشف زيف أعدائه. وكذلك تطبيق الإصلاح الذي استهدفه وذكره في بعض خطبه[1] ونحو ذلك.

ومن هنا يكون كل من يأخذ بثأر الحسين عليه السلام فهو ناصر له بلا إشكال وأوضح الأمثلة في ذلك أمران:

الأول: حركة المختار الثقفي، فإنه ناصرٌ للحسين عليه السلام وليس مشمولاً لقوله: (من سمع واعيتنا فلم ينصرنا).

الثاني: الأخذ بالثأر من قبل الإمام المهدي(عج)، فإنه ناصر للحسين عليه السلام بعد شهادته.

إذن، فالإشكال من هذه الناحية منسد ولا معنى له.

ثم أنه يوجد هناك سؤال آخر، وهو سؤال أقرب إلى الفهم الفقهي. والفهم الفقهي يحتاج إلى صحة السند، فإذا قلنا: إنه غير تام سنداً فحينئذٍ ينسد باب السؤال من الناحية الفقهية، ولكننا لو تنزلنا وقبلنا بصحة السند، أو الاطمئنان بصحته، والاطمئنان حجة، فحينئذٍ يأتي السؤال. وهو: إننا بعد أن عرضنا الجواب عن السؤال الأول، بأن معنى قوله عليه السلام: **(من سمع واعيتنا ولم**

---

(١) وهو قوله عليه السلام : وإنما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدي رسول الله صلى الله عليه وآله. أنظر البحار ج٤٤ ص٣٢٩.

ينصرنا) أي في المستقبل، ولو بعد الشهادة بمائة سنة أو ألف سنة أو أكثر، فإن هذا يدل على وجوب نصرة الحسينعليه السلام في كل مكان وفي كل زمان.

جوابه: إنه يحول دون ذلك أمران بعد غض النظر عن السند:

الأمر الأول: إن كان المراد الإنتصار للحسينعليه السلام هو مطلق الإنتصار وليس بخصوص القتال فقط، كالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وباقي أحكام الشريعة، فإن الحسينعليه السلام فدى نفسه لأجل ذلك. إذن، فنصرته تكون بتطبيق منهجه وشريعته وأهدافه. وحينئذٍ فعلينا أن ننظر إلى التكليف ماذا يقتضي؟ فالواجبات يجب تطبيقها والمستحبات يستحب تطبيقها. فلا يحتمل أن يكون المراد هو وجوب تطبيق المستحبات، فإنها نصرة للحسينعليه السلام ولكن بمقدار موضوعها.

الأمر الثاني: إن كان المراد من الإنتصار للحسينعليه السلام هو الحرب والقتال، فعلى كل جيل أن يمارس القتال لأجل نصرته حتى في المستقبل أي بعد شهادته، فهل هذا الأمر صحيح أم لا ؟

وجوابه: إن هذا يكون منوطاً بأمرين :

الأول: وجود المصلحة، أو الحكم الشرعي بالوجوب أو الإستحباب ونحو ذلك من الأمور.

الثاني: وجود القدرة والتمكن، وأما إذا كانت القدرة غير موجودة، فإن التكليف ساقط لا محالة لأنه تكليف بما لا يطاق، وهو قبيح عقلاً.

ولا يبعد القول إن هذا غير متوفر في أغلب الأجيال. نعم، لو أحسَّ ايُّ واحد وجود الشرائط لديه في أي مكان أو زمان، لأمكن الفتوى بوجوب ذلك،

ومقتضى القواعد هو ذلك، فلا يحتاج معه إلى البحث عن صحة السند[١].

بقي الإلماع إلى أمر، وهو أن هذا الوجوب مهما فسرناه فإنه متوقف على مقدمتين، فقد أشارت الرواية إلى واحدة وأهملت الأخرى لأنه تقييد عقلي موجود لسائر الأحكام، بل إن كل الاحكام الشرعية مقيدةٌ بهذين القيدين:

الأول: العلم.

الثاني: القدرة أو التمكن.

فشرطية العلم قد ذكرت في الرواية بقوله: **(من سمع واعيتنا)** أي علم بها، فبمفهوم المخالفة، إنه إذا كان الإنسان جاهلاً فإنه يكون معذوراً أكيداً سواء كان في ذلك الحين أو كان في أي مكان أو زمان.

ومع عدم التمكن يكون العجز، والعاجز معذور لا محالة. وهذا أيضاً لا يختلف فيه من كان في أي زمان أو مكان. فمثلاً: هذا الذي دعي لنصرة الحسين عليه السلام في حياته، وخرج من البصرة قاصداً نصرته، فوصله خبر مقتله[٢]، فإنه يكون معذوراً ومأجوراً.

إن قلت: إن بعض الأحكام الشرعية ليست بذلك المستوى من الأهمية، بحيث يستصرخنا الحسين عليه السلام لأجلها، فإن الاستنصار والاستصراخ للأهم منها، وأما الباقي فإنه موكول إلى تطبيق الاحكام الشرعية.

---

(١) والأمر يحتاج في تحديده إلى من له قابلية استنباط الموقف الشرعي من مداركه التفصيلية، وليس لأي أحد أن يقيس موقفه بموقف الحسين أو بموقف غيره من الأئمة، لأن لهم تكاليفهم الخاصة أمام الله سبحانه وتعالى. وإنما علينا الرجوع إلى القواعد العامة في تحديد ذلك.

(٢) أي يزيد بن مسعود، أنظر مثير الأحزان لابن نما الحلي ص١٧، البحار ج٤٤ ص٣٣٧.

قلنا: إن أوضح جواب على ذلك، أنه قد ورد ما مضمونه: **(أنظر من تعصي)**[١]، فإن الذنب يكتسب أهمية بقدر المعصي وليس بقدر العاصي، والله سبحانه لا نهائي وحق الطاعة له جل جلاله. وحق الطاعة للا نهائي لا نهائي، والمعصية تكتسب مسؤولية أخلاقية لا متناهية، وحتى لو كانت في أقل المعاصي وأصغرها.

إذن، كل حكم فقهي مشمول لإستنصار الحسينعليه السلام. فعلى الإنسان أن يطبق أوامر الله تعالى صغيرها وكبيرها، قليلها وكثيرها، ظاهرها وباطنها، مُهمها وبسيطها. فطاعة الله تعالى بتلك الأهمية بحيث أن الحسين عليه السلام على عظمته يقتل في سبيلها، ويداس تحت أقدام الحيوانات. فكل تلك المصائب التي حصلت في عرصة كربلاء إنما هي قربان بسيط وقليل بازاء طاعة الله تعالى، وتطبيق منهجه، وتحقيق أهدافه ومصالحه الواقعية التي ذخرها الله لنا.

(١) تحف العقول لابن شعبة الحراني ص٥.

علاقة الحسين عليه السلام
بمن قبله ومن بعده ومن معه

يميل البعض من المفكرين ممن يريد إثبات وعيه وإخلاصه في كتابته للتأريخ أو فلسفة التأريخ، إلى القول بترابط حلقات التأريخ عموماً، أو تأريخ المعصومين عليهم السلام خصوصاً.

فإن التأريخ ليس مجموعة عشوائية من الحوادث، وإنما هو عبارة عن حوادث مترابطة، أي أن فيه اتصالاً، وعلية ومعلولية. بل بالإمكان القول إن هناك نحواً من التخطيط والحكمة من أول التأريخ إلى آخره، سواء كان التأريخ عموماً، أو تأريخ معصومي ما بعد الإسلام، ابتداءاً من النبي صلى الله عليه وآله وانتهاءاً بالإمام المهدي عليه السلام خصوصاً. فالأئمة عليهم السلام نفذوا مخططاً واحداً مشتركاً ومدروساً ومتفقاً عليه بينهم، ولو كان أي منهم في محل الآخر لفعل نفس فعل الآخر. فلو كان الإمام الهادي عليه السلام مثلاً بدلاً من الإمام الصادق عليه السلام لفعل نفس فعله، وكذلك العكس، فإن المصلحة في زمن الإمام الصادق عليه السلام تقتضي الفعل الذي فعله الإمام عليه السلام. فأي شخص من الأئمة لو كان في ذلك الزمن لكان عليه أن يفعل ذلك الفعل، لأن المصلحة الواقعية واحدة لم تتغير.

ثم أنهم يذكرون لذلك المخطط وجوهاً وأطروحات مستندة إلى ما

استطاعوا فهمه من مجموعة الأقوال والأفعال الصادرة من المعصومين عليهم السلام وغيرهم.

ولا تنافي قطعاً بين كون التأريخ عموماً تخطط عن حكمة ودراية وبين تأريخ المعصومين عليهم السلام وكونه مخططاً كذلك. وبتعبير آخر إن تأريخ المعصومين عليهم السلام هو حصة، أو مصداق من التخطيط التأريخي العام ولكنهم عادة يبرزون فرقاً بينهما.

وحاصله: إن التخطيط العام للتأريخ تكويني، والتخطيط في التأريخ الإسلامي تشريعي، أو قل: إن ذلك تلقائي، وهذا عمدي. نعم، كلاهما عمدي بالنسبة إلى الله تعالى، ولكننا نتحدث بالنسبة إلى الأفراد، فإنه لم يدل الدليل على أن الأفراد قبل الإسلام كانوا يعلمون الحكمة الإلهية، وأنهم ملتفتون إلى التخطيط الإلهي بما فيهم الأنبياء عليهم السلام فضلاً عن عامة الناس. ولكن الدليل دلَّ على أن المعصومين بعد الإسلام كانوا ملتفتين إلى ذلك التخطيط، وإلى الحكمة الإلهية، كما ورد أن رسول الله صلى الله عليه وآله أمر أمير المؤمنين عليه السلام بالصبر، فطبقه الإمام عن علم وعمد[1]، حتى ورد أنهم جاءوا إلى سلمان الفارسي رضي الله عنه وقالوا له: إن إمامك يُجر بحمائل سيفه، ألا تنصره؟ فقال: لو شاء أن يقلب ذه على ذه لفعل[2]. فإنه ساكت عن علم وعمد تسليماً لأمر الله تعالى[3].

وإلى حد ما نستطيع أن نقول: إن هذه القاعدة ثابتة ومبرهن عليها في علم الكلام من ناحية، وفي الفلسفة من ناحية أخرى، فإننا حينما نؤمن بوجود الله

(١) أنظر نحوه في الطرائف لابن طاووس الحسني ص٢٧٤، كتاب سليم بن قيس ص٢١٥.

(٢) الإختصاص للشيخ المفيد ص١١. البحار ج٢٨ ص٢٦١.

(٣) وكفاه بذلك قوة وصلابة في جنب الله ومن أجل تطبيق طاعة الله تعالى، لا كما يتصور البعض من أن هذا من الضعف الذي يجل عنه أمير المؤمنين فينفي بعض الروايات في ذلك أصلاً.

تعالى، ونؤمن بعدله وحكمته اللامتناهية، بتسبيب الأسباب والمسببات، إذن فكل شيء مهما كان صغيراً أو كبيراً فهو مطابق للحكمة الإلهية التي نؤمن بها، ويحتاجه التسبيب الكوني، سواء أكان على وجه الكرة الأرضية أم خارجها.

هذا من ناحية علم الكلام، وأما من الناحية الفلسفية، فإن الأمور تفلسف بدقة أكثر، بحيث يجعلون الكون على شكل هرمي في المسؤولية الإلهية، ابتداءاً من الصادر الأول، وانتهاءاً بأدنى شيء. مضافاً إلى فكرة أخرى، وهي أن العلل العليا ليس لها ماضي وحاضر ومستقبل، فإن هذه الحدود تخنقنا لأننا فيها، وأما من ينظر إليها من فوقها، فهو في غنى عنها، ولا يحتاج إليها، فليس لها ماضي وحاضر ومستقبل، بل إن كل ذلك هو تحت سيطرة العلل العليا. وبمعنى من المعاني كله مخلوق ومسطور من الأزل إلى الأبد لا يتخلف منه طرفة عين ولا ذرة ضوء ولا غير ذلك من الأمور.

إن قلت: هذا قول بالجبر.

قلنا: إن من جملة فقرات هذا التخطيط هو اختيارية كل المخلوقات، لأن الفلاسفة المتعمقين يقولون: إن كل الخلق له نحوٌ من العقل والعلم والإرداة كل حسب مرتبته، لأن هذه الأوصاف ملازمة للوجود، فما دام الشيء موجوداً فإن له نحواً من هذه الأوصاف مهما قلَّ، فمن هذه الناحية يكون الإختيار مع الارادة موجوداً.

إذن، فهذه الفكرة ثابتة ومبرهن عليها، ولكن مع ذلك فإنها قابلة للمناقشة من عدة وجوه محتملة:

الوجه الأول: إننا لا ننفي وجود هذا الترابط بين كل حلقات التأريخ، وهذا ما طبقناه في كتابنا (اليوم الموعود) وسميناه بالتخطيط الإلهي لليوم

الموعود وذكرنا له هناك أطروحة محتملة[١].

إلا أننا في هذا الوجه من المناقشة نقول: إن هذا الترابط وإن كان واقعياً ومبرهناً، إلا أنه مما لا يعلمه إلا الله سبحانه وتعالى. ونحن لا نستطيع أن نفهم الواقعيات وكنه علم الله سبحانه وتعالى، لأننا محجوبون وبعيدون عن الواقعيات، فخير لنا أن نتجنب الخوض في أمثال هذه الأمور.

جوابه: إننا إن كنا بعيدين عن ذلك، فالأئمة (عليهم السلام) يعلمون بالواقعيات حسب تعليم الله لهم. إذن، فهم كانوا يسيرون ويتصرفون حسب المخطط المدروس الذي يبدأ ببعثة النبي (صلى الله عليه وآله) وينتهي (أو لا ينتهي) بظهور الإمام المهدي (عليه السلام) والذي يستهدف نصرة الحق باستمرار، بالمعنى الذي هم يفهمونه من النصرة.

إذن، فهذا العلم ليس مختصاً بالله سبحانه وتعالى، بل هو مُبلَّغ إلى المعصومين (عليهم السلام) بالإلهام. وأما نفيه بالمرة أو الإستدلال على عدمه، فهو غير ممكن للجزم بوجود قوانين عامة إلهية تحكم التأريخ من ناحية، ووجود مصالح عامة وخاصة بشرية تحكم المجتمع من ناحية أخرى. مع العلم أن المصالح تتحدد بما قبلها وبما بعدها من الأمور والحوادث، مما يعلمه الله سبحانه. فلولا وجود خريطة معلومة لله سبحانه من المصالح، لكان العمل لغواً وعشوائياً، وهو محال على الله سبحانه وتعالى وعلى المعصومين (عليهم السلام).

الوجه الثاني: إن غاية ما نستطيع التعرف عليه من تأريخ المعصومين (عليهم السلام) هو أنهم طبقوا تكاليفهم الشرعية الواقعية، وليس فيهم أي تقصير في ذلك، وهذا معناه أن هناك مصدراً لهم من قبيل الرواية إن كان اتجاهنا عامياً. أو

---

(١) اليوم الموعود ص٣٩٣ وما بعدها.

إلهامياً[١]، إن كان إتجاهنا خاصياً، وقد ورد: إن الامام إذا أراد أن يعلم شيئاً أعلمه الله تعالى ذلك[٢]. وهذا معناه أنهم طبقوا تكاليفهم العامة والخاصة وهذا لا يلازم وجود التخطيط الذي أشرنا إليه.

والمقصود أن هذا يكفي لتفسير عمل المعصومين عليهم السلام، وهو الذي يدركه عوام المتشرعة، ولا حاجة إلى افتراض علمهم عليهم السلام بما وراء ذلك أو أسبابه من المصالح الواقعية أو التخطيط الذي هو في علم الله سبحانه، ومعه فإذا لم يكن الأئمة عليهم السلام عالمين بذلك فنحن أولى بعدم العلم به.

جوابه: إن هذا فيه نقطة قوة، ونقطة ضعف. أما نقطة القوة فإن هذه المقدمة التي قيلت مقنعة إلى حد ما، وهي أن قيام الأئمة عليهم السلام بتكاليفهم الشرعية كاف في فهم التأريخ بهذا السير الذي ساروه ووصل أكثر خبره إلينا. وأما نقطة الضعف، فهي أن هذا وإن كان كافياً ولكنه هل ينفي الزائد؟ فإنه لا ينافي أن يكون هناك مسلك عام ومشترك ومعلوم ومدرك بالنسبة إلى المعصومين عليهم السلام وخاصة بعد أن نبرهن على بعض المقدمات، والتي **منها**: إنه إذا أراد الامام أن يعلم شيئاً أعلمه الله ذلك. **ومنها**: إن لهم ولاية تكوينية وتصرفاً في الكون عموماً بما فيها الفترة التي عاشوها من الدنيا. **ومنها**: إنهم خير الخلق على الإطلاق، فما يكون عند الأدنى يكون عند الأعلى مع زيادة. فإذا قال القائل إن هذا المخطط الإلهي يعلمه جبرائيل أو ميكائيل أو فلك الأفلاك ونحوه، فالإمام خير منهم جميعاً. إذن، فهو أولى بالمعرفة.

نعم الدليل المباشر دلَّ على تعرف الإمام سنوياً على الحوادث -في ليلة

---

(١) أنظر الاختصاص للشيخ المفيد ص٢٨٦.

(٢) الكافي ج١ ص٢٥٧، الاختصاص للشيخ المفيد٢٨٦، البحار ج٢٦ ص٥٧.

القدر- إلى مثلها في العام الذي يلي[١]، ولكن هذا لا ينفي علمه بما هو أوسع من ذلك[٢].

وإذا كان المعصومون عليهم السلام عالمين بذلك انسدَّ ما قاله المستشكل: من أنهم لم يكونوا عالمين به فنحن أولى بعدم العلم. بل يكونون عالمين فعلياً، وغيرهم عالماً به إمكاناً وإقتضاءاً.

وإذا كان هذا المخطط التأريخي العام موجوداً في علم الله سبحانه، وفي علم المعصومين عليهم السلام كان في إمكان غيرهم التعرف عليه، أو على أهم خصائصه أو جوانبه، أو على بعضها أياً كان على أقل تقدير.

نعم، يبقى هذا منوطاً بأمرين:

أحدهما: مقدار استفادته من الكتاب والسنة، فإن السنة هي قول المعصوم أو فعله أو تقريره، فهي داخلة تكويناً في هذا المخطط. إلا أن ما يمكن استفادته بنحو واضح ومطابق منها قليل جداً. وذلك بسبب نقص المصادر أساساً، فإن كثيراً من الكتب قد تلفت خلال التأريخ، إما عن علم وعمد، وإما بالصدفة. وكثير منها قد تلفت بسبب العوامل الخارجية من دون تعويض. فإن عشرات الآلاف من الكتب قد تلفت. يكفي أننا نعلم بحسب النقل أن السيد المرتضى علم الهدى(قدس سره) كانت تحتوي مكتبته ثمانين ألف كتاب مخطوط، فاين هي[٣]؟ وكل علمائنا السابقين، كانوا يمتلكون عدداً كبيراً من الكتب لم يصل منها إلينا إلا النادر. فنقصان الكتب له دخل كبير في إلقاء الضباب والغبار على هذا الشيء الذي نتكلم عنه.

---

(١) أنظر شرح أصول الكافي للمازندراني ج٦ ص١٧.

(٢) أنظر الكافي ج١ ص٢٥٧.

(٣) أنظر البحار ج١٠٧ ص١١٥، فرائد الأصول للشيخ الأنصاري ج١ هامش ص٢٠٤، والفوائد الرجالية للسيد بحر العلوم ج٣ ص١٤٠.

الثاني: مستوى الفرد المفكر الذي يحاول الفهم والإستفادة، لوضوح أن الناس يختلفون بكل خصائصهم عقلياً ونفسياً وروحياً وثقافياً واجتماعياً مما تجعل النتائج عندهم مختلفة لا محالة.

ومن هنا اختلفت الأطروحات والنتائج التي توصَّل إليها المفكرون، والمحاولات ليست كثيرة العدد إلا أنها كثيرة الإختلاف. **فمثلاً**: إن بعضهم يميل إلى فهم تأريخ المعصومين كقطعة واحدة، وبعضهم يميل إلى تقسيمه إلى ثلاثة أقسام، وبعضهم يميل إلى تقسيم كل حياة إلى عدة أقسام، فيكون المجموع عشرات الأقسام وهكذا.

مضافاً إلى اختلافهم في فلسفة وأسباب التأريخ والأقوال والأعمال التي قام بها المعصومون عليهم السلام وأعداء المعصومين عليهم السلام وغيرهم. مضافاً إلى مستوى النظر إلى المعصومين أنفسهم كقادة دنيويين أو دينيين أو معصومين، أو خير الخلق ونحو ذلك. مضافاً إلى إختلاف مذهب المؤرخ أو الفيلسوف.

ونحن الآن لا حاجة لنا إلى إعطاء قانون عام أو فلسفة موحدة لأعمالهم أو للتأريخ، وقد فرغت ذمتي من ذلك بعد أن أعطيت صورة واضحة منه في (اليوم الموعود).

وإنما يكفينا هنا مجرد إدراك ترابط العلل والمعلولات في علم الله تعالى، وعلم المعصومين عليهم السلام قطعاً. فقد قال شخص في يوم من الأيام[1]: إن العشر سنين السابقة على الظهور فيها إعداد للظهور، فقلت: نعم، إلا أن هذا الإعداد يحتاج إلى سبب وهو العشر سنين السابقة عليه وهكذا، إلى أن يصل إلى صدر الإسلام بل إلى آدم عليه السلام.

فيكفينا هنا ملاحظة بعض العلاقات وإلقاء بعض الضوء عليها بمقدار ما هو مستنتج ومفهوم من الكتاب والسنة.

---

(١) يعني المرحوم والده السيد محمد صادق الصدر (قدس سره).

علاقة الحسين عليه السلام بمن قبله

الآن نبدأ بعلاقته عليه السلام بمن قبله، وينبغي الكلام في عدة أمور ونبدأ بالأسبق منها فالأسبق بمقدار ما هو ممكن، ولا حاجة إلى زيادة في التفصيل:

علاقة الحسين عليه السلام بمن قبل الإسلام

أي الأنبياء السابقين وتابعهيم، وهذا فيه عدة نقاط:

النقطة الأولى: إن وجود الحسين عليه السلام كإمام مفترض الطاعة، وابن رسول الله صلى الله عليه وآله، ونحو ذلك كما هو جزء من الإسلام وحركته، كذلك هي جزء منه، وخاصة بعد أن نسمع قول النبي صلى الله عليه وآله: **(حسين مني وأنا من حسين)**[1]، فنسبة الحسين عليه السلام إلى السابقين هي نسبة الإسلام لهم. لأننا إذا نظرنا إلى الإسلام ككل بما فيه الحسين عليه السلام إذن فقد نسبنا الإسلام بما فيه الحسين عليه السلام إلى السابقين عليه.

النقطة الثانية: إن الحسين عليه السلام مُدافع عن عقيدة التوحيد، وعن طاعة الله سبحانه، وهو أمر ثابت ومشترك بين الإسلام وما قبله، كما قال الله تعالى:

---

(١) الناصريات للسيد المرتضى هامش ص٩٠، أوائل المقالات للشيخ المفيد ص١٧٨، البحار ج٤٣ ص٢٦١.

﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾[١].

النقطة الثالثة: إننا نؤمن بدليل كافٍ للإطمئنان، بعضه ظاهري، وبعضه باطني، أن الأنبياء السابقين كانوا مسلمين، بل كانوا مسؤولين عن ولاية أهل البيت عليهم السلام ، اذ لا نجاة لأي بشر من آدم إلى يوم القيامة، إلا بولايتهم[٢]، وأولى من يلتزم بولايتهم هم المعصومون السابقون على الإسلام، الذين هم الأنبياء والرسل.

ويستشهد على ذلك من الكتاب والسنة بشيء من النتف البسيطة، كقوله تعالى: ﴿فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾[٣] وقوله تعالى: ﴿أَوْ ءَاوِىٓ إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ﴾[٤]، فإن بعض الروايات تقول: (ما كان تمني لوط للركن الشديد إلا تمنياً لوجود المهدي(عج)[٥].

ومن هنا ورد أن قسماً منهم على الأقل كانوا يعلمون بالتأريخ المستقبل الذي يحصل لأهل البيت عليهم السلام . فمن ذلك ما ورد: من أن موسى والخضر حين اجتمعا، كان من جملة ما ذكراه، مصائب الحسين عليه السلام وما يحدث له في طف كربلاء، وبكيا طويلاً لذلك[٦].

---

(١) آل عمران ٦٤.

(٢) لقد سمعت من شهيدنا الحبيب (قدس سره) أنه قال: إن كل البشر الذين جاءوا على وجه الكرة الأرضية قبل مجيء آدم عليه السلام إنما يكون الحجة عليهم هم محمد وآل محمد.

(٣) البقرة ١٣٢.

(٤) هود ٨٠.

(٥) كمال الدين وتمام النعمة للشيخ الصدوق ص٦٧٣، البحار ج١٢ ص١٧٠.

(٦) مستدرك سفينة البحار ج١ ص٣٩٦.

ومن ذلك ما ورد في التوراة والانجيل، فقد ورد فيها ظهور النبي صلى الله عليه وآله وظهور المهدي(عجل الله فرجه)، وبعض التفاصيل عن الحسين عليه السلام بالرغم من أن هذين الكتابين محرفان، إلا أنه مع ذلك وجد فيهما مثل هذه الأمور بشكل أو آخر.

إذن، فهناك علاقة حميمة بين مَن قبل الإسلام وبين مَن بعده بما فيه الحسين عليه السلام.

علاقة الحسين عليه السلام بنبي الإسلام صلى الله عليه وآله

لا حاجة إلى كثرة الحديث في هذا الأمر، لأن المسألة تعتبر من ضروريات الدين، وضروريات التأريخ. وإنما نريد أن نقتبس شيئاً من كلمات الحسين عليه السلام كشاهد على علاقته برسول الله صلى الله عليه وآله وبدين رسول الله صلى الله عليه وآله، وكذلك من كلمات النبي صلى الله عليه وآله ومن أفعاله كشاهد على ذلك ايضاً.

منها: إنه قال الحسين عليه السلام في بعض خطبه:

(إني لم أخرج أشراً ولا بطراً ولا ظالماً ولا مفسداً. ولكن خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدي رسول الله صلى الله عليه وآله آمُرُ بالمعروف وأنهى عن المنكر، أسير بسيرة جدي وأبي علي ابن أبي طالب. فمن قبلني بقبول الحق فالله أولى بالحق، ومن ردَّ عليَّ هذا أصبر حتى يحكم الله بيني وبين القوم وهو خير الحاكمين)[1].

ومنها: إنه قال: **(لا محيص عن يوم خُطَّ بالقلم. رضا الله رضانا أهلَ**

(١) البحار ج٤٤ ص٣٢٩.

البيت، نصبر على بلائه، ويوفينا أجور الصابرين. لن تشذَّ عن رسول الله لُحمتُه. بل هي مجموعة في حضيرة القدس تقرُّ به عينه وينجز به وعده. الا ومن كان فينا باذلاً مهجته موطناً على لقاء الله نفسه فليرحل معنا فإني راحل مصبحاً إن شاء الله)[١].

ومنها: إنه قال: **(أيها الناس انسبوني من أنا ثم ارجعوا إلى أنفسكم وعاتبوها وانظروا هل يحلُّ لكم قتلي وانتهاك حرمتي. ألستُ ابن بنت نبيكم وابن وصيه وابن عمه وأول المؤمنين بالله والمُصَدِّق لرسوله بما جاء من عند ربه؟ أو ليس حمزة سيد الشهداء عم أبي؟ أو ليس جعفر الطيار عمي؟ أو لم يبلغكم قول رسول الله صلى الله عليه وآله لي ولأخي هذان سيدا شباب أهل الجنة؟)**[٢].

ومنها: قوله: **(ألا ترى لهذا الدين لا يُعمل به، وإلى المنكر لا يُتناهى عنه، وأن الدين لعقٌ على ألسنتهم يحوطونه ما درَّت معايشهم، فإذا محصوا بالبلاء قلَّ الديَّانون)**[٣].

وأما كلمات رسول الله صلى الله عليه وآله فقد ورد أنه بكى على مقتل الحسينعليه السلام[٤] وبكى له أمير المؤمنين عليه السلام[٥] وفاطمة الزهراءعليها السلام[٦].

---

(١) مثير الأحزان لابن نما الحلي ص٢٩، البحار ج٤٤ ص٣٦٧، اللهوف في قتلى الطفوف لابن طاووس ص٣٨.

(٢) مثير الأحزان لابن نما الحلي ص٣٧، تأريخ الطبري ج٤ ص٣٢٢، إعلام الورى بأعلام الهدى ج١ ص٤٥٨.

(٣) تحف العقول ص٢٤٥.

(٤) البحار ج٣٦ ص٣٤٩، الأمالي للشيخ الطوسي ص٣٦٧.

(٥) البحار ج٤٤ ص٢٦٦.

(٦) البحار ج٤٣ ص٢٤٩، الأربعون حديثاً للشيخ الماحوزي ص٣٦٤.

وبكى أمير المؤمنين عليه السلام حينما رأى كفي العباس عليه السلام حين ولادته. وقد ورد عنه أنه قال: (**إني أعده لنصرة ولدي الحسين عليه السلام في طف كربلاء**)[(١)].

وأن الحسين عليه السلام حين كان صغيراً صعد على ظهر جده حال السجود وهو إمام في صلاة الجماعة في المسجد فبقي رسول الله صلى الله عليه وآله ساجداً والجماعة كلها ساجدة إلى أن نزل باختياره عن ظهره وعندئذ رفع رأسه[(٢)].

وهذا له معنى ظاهري ومعنى باطني. أما الباطني فمن الأسرار، وأما الظاهري فالإعلام بأهمية الحسين لدى جده إلى حد يتعب هو في سبيله ويتعب الناس في سبيله، فإن في إطالة السجود صعوبة لا محالة.

فيريد أن يبين بذلك عن العلاقة الإجتماعية التي بينه وبين الحسين، وباللغة الحديثة الإعلام أو الإعلان عن أهميته، وأخذه بنظر الإعتبار مائة بالمائة، حتى ولو كان طفلاً صغيراً.

فهناك اثنان فقط من خلق الله تعالى صعدا على رسول الله صلى الله عليه وآله وهما: أمير المؤمنين عليه السلام[(٣)] وولده الحسين عليه السلام[(٤)].

(١) أنظر نحوه في عمدة الطالب لابن عنبة ٣٥٧.

(٢) أنظر كتاب سليم بن قيس ص٢٧٦.

(٣) وذلك حينما صعد على كتف رسول الله صلى الله عليه وآله عندما أراد تحطيم الأصنام الموضوعة في الكعبة المشرفة. علل الشرائع للشيخ الصدوق ج١ ص١٣٦، وسائل الشيعة ج١٣ ص٢٠٧، الأربعون حديثاً للشهيد الأول ص٧١، البحار ج٢١ ص٣٩٨

(٤) عندما بحثت في المصادر لتحقيق الكتاب وتخريج مصادره في حال حياة الشهيد المقدس أخبرته بأن بعض الروايات تقول: إن الحسن عليه السلام فعل ذلك أيضاً. فأجابني: إن هذا يمكن أن يكون خطأً في النقل عن الحسين عليه السلام أي أن الروايات تعني الحسين وليس الحسن وحصل الاشتباه في النقل. فقلت له: فماذا نقول في الروايات التي تذكرهما معاً في سياق واحد بأنهما صعدا على ظهر رسول الله صلى الله عليه وآله ؟ فأجاب: إن هذه الروايات ضعيفة. ففهمت أنه يجزم بما قال، ولعله (قدس سره) قد استقاه من طريق باطني.

وورد عنه صلى الله عليه وآله : **(أحبهما وأُحب من يحبهما)**[١].

وورد عنه صلى الله عليه وآله : **(الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة)**[٢]. يعني سيدا أهل الجنة لأنهم كلهم شباب، وهما خير الناس على الإطلاق بعد الثلاثة الآخرين من أصحاب الكساء.

وورد عنه صلى الله عليه وآله : **(الحسن والحسين إمامان قاما أو قعدا)**[٣]، وذلك لعلمه صلى الله عليه وآله بأن أحدهما لن تتوفر له ظروف الحرب وسوف يقعد عنها، والآخر تتوفر له ظروفها فيقوم بها. والمهم وثاقتهما في نظر رسول الله صلى الله عليه وآله بحيث لا يختلف عنده أنهما قاما أو قعدا، يعني أن ما يريان أنه المصلحة هو الحق والصحيح.

وورد عنه صلى الله عليه وآله : **(الحسن والحسين ولداي)**[٤].

وهذا يعني أن انتساب الحسن عليه السلام والحسين عليه السلام إلى النبي صلى الله عليه وآله بالبنوة الحقيقية له. فهو والدهم الحقيقي والواقعي، وإن كان أبوهما الظاهري هو أمير المؤمنين عليه السلام .

ومن هنا قال: ولداي ولم يقل إبناي، وهذا أوكد من هذه الناحية، لأن

---

(١) البحار ج٢٧ ص١٠٦، ج١٠٩ ص٧٤، كامل الزيارات ص١١٢.

(٢) من لا يحضره الفقيه ج٤ ص١٧٩، عيون أخبار الرضا ج١ ص٣٦، الأمالي للشيخ الصدوق ص١١٢.

(٣) علل الشرائع ج١ ص٢١١، مناقب آل أبي طالب لابن شهر آشوب ج٣ ص١٦٣، البحار ج٤٣ ص٢٩١.

(٤) القواعد والفوائد للشهيد الأول ج١ ص١٥٦، نضد القواعد الفقهية للمقداد السيوري ص٩٨، عوالي اللئالي ج١ ص٣٩٠.

الابن قد يكون بالمعنى الأعم[١]، لكن الولد لا يكون إلا بالمعنى الأخص[٢]، فمن هذه الناحية إختار أصرح اللفظين وأوضحهما.

فإن انتساب الحسن والحسين (عليهما السلام) وان كان بحسب الاسباب الدنيوية إلى الزهراء. ولكن المسألة ألصق من ذلك، فهم أولاد النبي مباشرة. وهذه مزية لم تُعطَ لأحد من الخلق غيرهما.

ويمكن أن نفهم ذلك من القرآن الكريم، وذلك من قوله تعالى: ﴿وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ﴾[٣] فمحمد وعلي نفس واحدة، ونور واحد. فإذا كانا واحداً فما يكون لهذا يكون لهذا. وكما ورد عن النبي (صلى الله عليه وآله) أنه قال لعلي (عليه السلام): **(إنك تسمع ما أسمع وترى ما أرى)**[٤].

فإن بعض العلويين كالعباس ومحمد بن الحنفية وغيرهم، وإن كانوا علويين وأشراف، بل من الصلب المباشر لعلي (عليه السلام) وهذا مهم جداً، إلا أنه لم يرد فيهم **(ولداي)** كما ورد في الحسنين (عليهما السلام). بل حتى لو كانت الذرية من علي (عليه السلام) وفاطمة (عليها السلام) كمحسن وزينب (عليهما السلام) فإن الحسن والحسين أفضل.

إن قلت: إن قوله تعالى: ﴿وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ﴾ ليس دليلاً على وحدة محمد (صلى الله عليه وآله) وعلي (عليه السلام)، وذلك بأن نلتفت إلى أنه يكفي في صدق ﴿وَأَنفُسَنَا﴾ وحدة الجماعة بوحدة الهدف، ووحدة المصالح. أي جماعتنا وجماعتكم

---

(١) فإنه يشمل الولد بالمعنى الحقيقي ويشمل غيره كمن يعيش تحت تربية شخص أو تعليمه فهو أبنه وإن لم يكن ولده. ومن هنا ورد عن النبي (صلى الله عليه وآله): يا علي أنا وأنت أبوا هذه الأمة.

(٢) وهو الولد النسبي.

(٣) آل عمران ٦١.

(٤) نهج البلاغة ج٢ ص١٥٨، البحار ج١٤ ص٤٧٦، الطرائف لابن طاووس ص٤١٥.

بدليل أنه لا يحتمل أن يكون المسيحيون كل واحد منهم هو عين الآخر فكما أنه لا نقول بالنسبة للمسيحيين بالوحدة[١]، لا نقول بالوحدة بالنسبة إلى المسلمين.

قلنا: إنا نضم قضية خارجية قطعية، وهي أن النبي صلى الله عليه وآله لم يطبق عنوان **(أنفسنا)** إلا على اثنين: هو وأمير المؤمنين[٢]. في حين أنه طبق المسيحيون ذلك على جماعة متعددين[٣]. ف**(نساؤنا)** منحصرة بالزهراء عليها السلام، و**(أبنائنا)** منحصرة بالحسنين، و**(أنفسنا)** منحصرة بعلي عليه السلام بعد أن نلتفت أن النبي صلى الله عليه وآله هو الداعي.

والشيء الآخر الذي وددت الإشارة إليه، هو أن علياً نفس محمد ولكن ليس بالمنازل المتدنية. فهما في الدنيا إثنان، وفي الآخرة كذلك إثنان. وإنما هما نور واحد في قمة عالية جداً[٤]. وظاهر الكتاب والسنة مكرس على الاثنينية تقريباً، فلذا ورد أنه نام على فراش النبي صلى الله عليه وآله[٥]، وأنه وصي رسول صلى الله عليه وآله، ونحو ذلك من الأمور. فكل هذه الأمور تدعم بوضوح وصراحة الاثنينية، وإنما هي إثنينية في عالمها[٦].

---

(١) يعني المسيحيين الموجودين عند المباهلة.

(٢) راجع تفضيل أمير المؤمنين للشيخ المفيد ص٢١، إقبال الأعمال لابن طاووس ص٣٤٥، البحار ج٢١ ص٣٢١.

(٣) أنظر إقبال الأعمال ص٣٤١ وما بعدها، البحار ج٢١ ص٣١٨ وما بعدها.

(٤) وليس الوجود منحصراً في الدنيا والآخرة فقط، وإنما هناك ما هو أعلى منهما. ولذا ورد في الحديث: (الدنيا حرام على أهل الآخرة والآخرة حرام على أهل الدنيا والدنيا والآخرة حرام على أهل الله) وسادة أهل الله هما محمد وعلي. فهما نور واحد في ذلك المستوى من الوجود النوراني العالي.

(٥) مما يدل على أنهما شخصان.

(٦) أي في عالم الدنيا وعالم الآخرة لا فيما هو أعلى من ذلك.

إذن، فعلي (عليه السلام) فيه جهتان: جهة استقلالية، وجهة فنائية في رسول الله ﷺ أو قل جهة غيرية وجهة عينية، وقد حاز في كل جهة شيئاً من المميزات. فمثلاً أن قوله ﷺ: **(إنك تسمع ما أسمع، وترى ما أرى)**، وقوله ﷺ: **(ما عرف الله إلا أنا وأنت)**[1]، فإنه باعتبار الجهة الفنائية والعينية.

فقد وَلَدَ عليٌ (عليه السلام) الحسنين (عليهما السلام) من الجانب الفنائي، فأصبحا أولاد رسول الله ﷺ مباشرة. وقد وَلَدَ الآخرين بالجانب الاستقلالي، أي بصفته مغايراً له. والنتيجة فقد وَلَدَ كل أولاده بالجانب الاستقلالي ما عدا الحسنين (عليهما السلام).

فإن قلت: إن علياً (عليه السلام) فيه جانب فنائي وجانب استقلالي، فمن قال إنه ولد الحسنين بالجانب الأول دون الثاني. بل الأظهر أنه ولدهما بالجانب الإستقلالي والغيري.

قلنا: إن المسألة إذا بقيت على هذا المقدار فلا بأس، ولكننا نستطيع أن نقيم قرائن ودلائل على أنهما من علي (عليه السلام) بعنوان العينية والفنائية:

منها: ذلك الخبر الوارد: **(الحسن والحسين ولداي)**.

ومنها: شهرتهما أنهما إبنا رسول الله ﷺ حتى كان كل منهما ينادى بذلك[2].

ومنها: أهميتهما البالغة في نظر رسول الله ﷺ مما لم تعط لأحد من

(١) مختصر بصائر الدرجات ص١٢٥، المحتضر للحسن بن سليمان الحلي ص٣٨، تأويل الآيات ج١ ص١٣٩.

(٢) أنظر رسائل المرتضى ج٣ ص٢٦٤، السرائر لابن إدريس الحلي ج٣ ص٢٣٨، مختلف الشيعة للعلامة الحلي ج٩ ص١٢.

أخوتهما حتى من أبناء علي وفاطمة عليهما السلام أنفسهم.

على أنه يمكن القول: إن مميزات الحسين عليه السلام أكثر من مميزات الحسن عليه السلام مثل ما ورد: **(إن الشفاء في تربته واستجابة الدعاء تحت قبته والأئمة التسعة من ذريته)**[1]، مضافاً إلى أنه وُفق إلى نوع من الشهادة لم يرزق غيره منها بما فيها أبوه وأخوه. ولولا وجود الدليل على أن: **(أبوهما خيرٌ منهما)**[2] لقلنا إنه خير من أبيه، ولكن ليس إلى ذلك من سبيل.

مضافاً: إلى أنه ليس هنالك أحد غيره شاء الله في نساءه أن يراهن سبايا على أقتاب المطايا، أو أن يقتل إبنه الرضيع في يده، أو أن تدوس الخيل صدره وظهره، أو أن يقتل جائعاً عطشاناً. وأهمية الجوع والعطش عند الموت أمام الله سبحانه واضحة قد أرادها أمير المؤمنين عليه السلام لنفسه حين قال: **(إن هي إلا ثلاث وأود أن ألقى الله خميصاً)**[3] وأرادها العباس عليه السلام لنفسه حيث ألقى بالماء ولم يشربه[4]، وهذا ما ذكرناه في (الأضواء).

الشيء الآخر بهذا الصدد: إن هناك رواية أخرى تدل على فضيلة للحسين عليه السلام، وهي بحسب المضمون: إنه لما ولد الحسن عليه السلام أتاه النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأذَّن في أذنه اليمنى وأقام في اليسرى وقال للزهراء عليها السلام: لا ترضعيه إلى أن

---

(١) أنظر وسائل الشيعة ج١٤ ص٥٣٧، مناقب آل أبي طالب ج٣ ص٢٣٥، عدة الداعي لابن فهد الحلي ص٤٨.

(٢) البحار ج٣٩ ص٩٠، الصراط المستقيم لعلي بن يونس العاملي ج١ ص٢١٠، علل الشرائع ج١ ص١٧٤، عيون أخبار الرضا ج١ ص٣٦.

(٣) أنظر المسترشد للطبري الإمامي ٣٦٧، شرح الأخبار ج٢ ص٢٩١، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج١٩ ص١٨٧.

(٤) أنظر شرح الأخبار ج٣ ص١٩٢، مقتل الحسين لأبي مخنف ص١٧٩.

أرجع ثم خرج. فتأخر النبي صلى الله عليه وآله فبكى الحسن عليه السلام برهة من الزمان فأخذها ما يأخذ النساء (أي من الشفقة) وأرضعته.

ولما ولد الحسين عليه السلام جاء جده صلى الله عليه وآله أيضاً، وأذَّن في أذنه اليمنى وأقام في اليسرى، ثم قال لها: لا ترضعيه إلى أن أرجع. فلم ترضعه إلى أن رجع رسول الله صلى الله عليه وآله. حينئذٍ أقبل النبي صلى الله عليه وآله، فوضع إبهامه في فم الحسين عليه السلام. فارتضع الحسين عليه السلام من إبهام النبي صلى الله عليه وآله. ولعل ظاهر الرواية أنها ليست مرة واحدة، بل استمر على ذلك أياماً[1]. ولعل هذا من أسباب المميزات التي ذكرناها قبل قليل، فإنها مزية لم تكن لأخيه الحسين عليه السلام. فكان يتغذى بنفس رسول الله صلى الله عليه وآله.

والرواية حينما تقول: (فأخذها ما يأخذ النساء أي من الشفقة)، فهو بحسب الظاهر قول الراوي وإلا لو كان كذلك، لأخذها نفس الشيء في حالة الحسين عليه السلام، لأن الأمثال فيما يجوز وفيما لا يجوز واحد، وإنما ذلك حسب ما رأت (سلام الله عليها) من المصلحة والحكمة الواقعية.

فإن قلت: فهل أن الزهراء عليها السلام عصت رسول الله صلى الله عليه وآله وقد قال لها عند

---

(١) أنظر نحوه في المناقب ج٣ ص٢٠٩، البحار ج٤٣ ص٢٥٤. والرواية كما في البحار كما يأتي: (٣٢ - قب: برة إبنة أمية الخزاعي قالت: لما حملت فاطمة عليها السلام بالحسن خرج النبي صلى الله عليه وآله في بعض وجوهه فقال لها: إنك ستلدين غلاماً قد هنأني به جبرئيل، فلا ترضعيه حتى أصير إليك قالت: فدخلت على فاطمة حين ولدت الحسن عليه السلام وله ثلاث ما أرضعته فقلت لها: أعطينيه حتى أرضعه، فقالت: كلا ثم أدركتها رقة الأمهات فأرضعته فلما جاء النبي صلى الله عليه وآله قال لها: ماذا صنعت؟ قالت: أدركني عليه رقة الأمهات فأرضعته فقال: أبى الله عز وجل إلا ما أراد. فلما حملت بالحسين عليه السلام قال لها: يا فاطمة إنك ستلدين غلاماً قد هنأني به جبرئيل فلا ترضعيه حتى أجيئ إليك ولو أقمت شهراً، قالت: أفعل ذلك، وخرج رسول الله صلى الله عليه وآله في بعض وجوهه، فولدت فاطمة الحسين عليه السلام فما أرضعته حتى جاء رسول الله صلى الله عليه وآله فقال لها: ماذا صنعت؟ قالت: ما أرضعته، فأخذه فجعل لسانه في فمه فجعل الحسين يمص حتى قال النبي صلى الله عليه وآله: إيها حسين إيها حسين ثم قال: أبى الله إلا ما يريد هي فيك وفي ولدك يعني الإمامة.

ولادة الحسن عليه السلام : **(لا ترضعيه)**.

قلنا: إن جواب ذلك من عدة وجوه:

الأول: ضعف سند الرواية، فلعلها موضوعة، أو مزيد فيها[١]. ولو لم يكن إلا هذا الجواب لكفى.

الثاني: إنما تكون الزهراء عليها السلام مقصرة وحاشاها فيما إذا كان الأمر الزامياً، فيحرم عليها الإرضاع. وأما إذا لم يكن الأمر الزامياً فلا إشكال. ولعلهم متفقون ما بينهم أن هذه الأوامر لا تكون إلزامية، وإنما هي اقتراحات أو ترجيحات أو نحو ذلك.

الثالث: إنه ما من شيء حرمه الله إلا وأحله في وقت الضرورة، وهذا حكم شرعي نافذ على المعصومين وغيرهم. ومن الممكن القول ببساطة ووضوح: إن الزهراء عليها السلام شعرت بالضرورة والعسر والحرج. فالضرورة أسقطت الأمر بوجوب تأجيل الإرضاع.

الرابع: إنها تلقَّت من الله تعالى أمراً عن طريق الإلهام بأن ترضعه، لأن ذلك استحقاقه. والإلهام مقيد لأمر النبي صلى الله عليه وآله، ويكفي لنا أن نحتمل ذلك، في أن نحملها على الصحة[٢].

وهذا الخبر كما يدل على علاقته عليه السلام برسول الله صلى الله عليه وآله ، يدل على علاقته بالزهراء عليها السلام .

(١) وهذا وارد جداً، فإننا لا نعلم بالدقة الأمر الذي وجهه رسول الله صلى الله عليه وآله لابنته فاطمة عليها السلام فقد تكون هناك كلمة أسقطها الرواة أو غفلوا عنها تحل الإشكال تماماً.

(٢) وهي ملهمة ومسددة ولا يمكن أن تفعل إلا ما يريده الله سبحانه وتعالى، وإن لم تبين ذلك لمن روت هذه الرواية بحسب ما ورد في البحار حفظاً للظاهر، وهذا ما جعل الراوية تفهم بأن الأمر متعلق بما يأخذ النساء من الشفقة.

علاقته بالزهراء عليها السلام

وفيها عدة أمور رئيسية:

الأول: حديث الإطعام[١]، ونزول القرآن في ذلك: ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا﴾[٢].

ولا يخطر في الذهن: إنهم قالوا ذلك بلسان المقال، ولو قالوا ذلك لكانت نقطة ضعف فيهم، حيث أنهم يمنُّون على الطرف المقابل. ولكن الله تعالى نطق عنهم، وعن اتجاههم. ولو قالوه بلسانهم لفشلوا، بحسب فهمي.

الثاني: حديث الكساء[٣]، وهو مشار إليه حتى في كتب العامة: وله أهمية عالية، ولو كان هناك واحد من الخلق لا من البشر فقط يستحق الدخول تحت الكساء لقدَّر الله ذلك.

ومن جملة القرائن على ذلك: إن رسول الله ﷺ منع أم سلمة من

---

(١) أنظر عيون أخبار الرضا ج١ ص٢٠٥، أمالي الصدوق ص٣٢٩، روضة الواعظين للنيسابوري ص١٦٠، الإرشاد ج١ ص١٧٨.

(٢) الدهر ٨-٩.

(٣) أنظر كتاب سليم بن قيس ص٢٩٨، الكافي ج١ ص٢٨٧، الطرائف لبن طاووس ص١١٦، تفسير القمي ج١ ص١٨، خصائص الوحي المبين ص١٧، التفسير الصافي للفيض الكاشاني ج١ ص٤٦٣.

الدخول، وقال لها: **(أنت على خير)**[1] في حين أنها عظيمة ومهمة، والحسين قد أعطاها تراباً من تراب كربلاء، ومع ذلك فقد منعت.

إن قلت: إن القضية ليست بهذه الأهمية، فإن جبرائيل عليه السلام أذن له بالدخول تحت الكساء.

قلنا: إن جبرائيل دخل لأجل تكامل نفسه وبطلب منه[2]، بعد أن افتخر الله سبحانه بهؤلاء الخمسة، لا لأنه مستحق في المرتبة السابقة. فهؤلاء دخلوا لأن المكان مكانهم، ولكن جبرائيل دخل كشيء استثنائي. مضافاً إلى أنه دخل مفتخراً وليس غيره كذلك، ويتضح من ذلك أنه أدنى من أي واحد منهم.

وقد يخطر في الذهن: إنهم سلام الله عليهم قد دخلوا تحت الكساء مترتبين حسب الافضلية. ولكن هذا منقوض بأمرين:

الأول: إن الحسن عليه السلام قد دخل تحت الكساء قبل الحسين عليه السلام وليس الحسن عليه السلام أفضل من الحسين عليه السلام وإن كان هو ظاهراً إمامه في فترة حياته.

الثاني: تأخر الزهراء عليها السلام في الدخول، مع أنها أفضل من ولديها أكيداً. وإنما حصل ذلك لأنها المضيفة، والواقعة حدثت في دارها، فكان من الطبيعي لها أن تتواضع وتتأخر.

---

(١) كمال الدين وتمام النعمة للصدوق ص٢٧٨، أمالي الشيخ الطوسي ص٥٦٥، البحار ج٣٥ ص٢١٩، المعجم الكبير للطبراني ج٣ ص٥٤، شواهد التنزيل للحاكم الحسكاني ج٢ ص٩٦، تأريخ مدينة دمشق لابن عساكر ج١٤ ص١٤١، ينابيع المودة للقندوزي الحنفي ج٣ ص٣٦٨. وهي مصادر لحديث الكساء أكيداً، وبعضها من مصادر العامة. وغيرها كثير بطبيعة الحال.

(٢) وذلك حينما قال جبرئيل لرسول الله صلى الله عليه وآله بحسب الرواية: (السلام عليك يا رسول الله، العلي الأعلى يقرئك السلام ويخصك بالتحية والإكرام ويقول لك: و عزتي وجلالي إني ما خلقت سماء مبنية، ولا أرضا مدحية، ولاقمراً منيراً، ولا شمساً مضيئة، ولا فلكاً يدور ولا بحراً يجري ولا فلكاً يسري إلا لأجلكم و محبتكم، وقد أذن لي أن أدخل معكم، فهل تأذن لي يا رسول الله؟ فقال رسول الله: وعليك السلام يا أمين وحي الله، إنه نعم قد أذنت لك).

آية القربى

ثم إنه من الآيات التي تشمل الزهراء عليها السلام والحسين معاً، آية المودة في القربى، وهي قوله تعالى: ﴿قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًا إِلَّا ٱلۡمَوَدَّةَ فِي ٱلۡقُرۡبَىٰۗ﴾[1].

ونحن نعلم أن القربى لا يقصد منهم إلا أربعة: وهم علي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام، وأما باقي المعصومين فهم في الدرجة الثانية.

فالمودة في القربى هي أجر رسول الله صلى الله عليه وآله، مقابل ما ضحى في سبيل الله وفي سبيل كل مؤمن ومؤمنة.

فإن كانت في قلب الفرد الولاية لهم، إذن فقد أدّى أجر رسول الله صلى الله عليه وآله وإن لم تكن الولاية في قلبه، إذن فقد خان رسول الله صلى الله عليه وآله.

فإن قلت: إن المودة هي الحب والعاطفة، وأما الولاية فهي شيء آخر، وما هو المذكور في الآية هو المودة وليست الولاية. فكيف نحمل الآية على خلاف ظاهرها ؟

قلنا: إن جوابه من عدة وجوه:

الوجه الأول: إن العاطفة النفسية لا فائدة من ورائها، وهي ساقطة تماماً.

(١) الشورى ٢٣.

فإذا كان مجرد الحب لهم هو الذي ينجي، فإن كثيراً من الناس ممن هو خارج التشيع، وخارج الإسلام، يحبونهم ويحترمونهم بدرجة معتد بها. فهل نعترف بانهم ناجون؟

فالولاية تشير إلى شيء يكون سبباً للنجاة. والحب وحده لا يكون كذلك، إذن فلا بد لنا أن نصرف الآية عن ظاهرها إلى ما يكون سبباً للنجاة، وهو الولاية.

الوجه الثاني: إننا لو تعمّقنا بمقدار معتد به، نرى كثيراً ممن يدَّعون أنهم محبون لأهل البيت عليهم السلام كاذبين، لأن (المحب لمن يحب مطيع)[1] في حين أننا نرى أن حياتهم ليست مبنية على الطاعة. إذن، فالحب الحقيقي مساو للولاية الحقيقية تساوي المثلين، فيبدآن من نقطة واحدة وينتهيان إلى نهاية واحدة.

وكذلك من الآيات التي تشمل الزهراء عليها السلام والحسين عليه السلام آية التطهير.

---

(١) أنظر وسائل الشيعة ج١٥ ص٣٠٨ فقد روى بسنده عمن سمع أبا عبد الله الصادق عليه السلام يقول: ما أحب الله من عصاه ثم تمثل:

تعصى الإله وأنت تظهر حبه ... لو كان حبك صادقاً لأطعته
هذا محال في الفعال بديع ... إن المحب لمن يحب مطيع

آية التطهير

وهي قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾(١).

أريد أن أبين هنا بمقدار ما يناسب شيئاً من تفسير هذه الآية.

وأول شيء أبدأ به هو معنى البيت، في قوله تعالى: ﴿أَهْلَ الْبَيْتِ﴾ فهو معنى إضافي حذف طرفه في الآية الكريمة، فهو لم يقل أهل بيت من؟ فإن فيها أطروحتين:

الأطروحة الأولى: إنهم أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله وهي الأطروحة المشهورة.

الأطروحة الثانية: إنهم أهل بيت الله سبحانه.

وأنا أريد الآن أن أقيم القرائن على نفي الأطروحة الأولى وتعيين الثانية. وذلك ضمن خطوات :

الخطوة الأولى: أن نعطي المعنى اللغوي للبيت. فالبيت هو ما نسميه باللغة الحديثة الغرفة أو الحجرة. ويسمون الخيمة بيتاً، وأما المجموع من البيوت فتسمى داراً، لأن الحائط يدور على سائر البيوت.

---

(١) الأحزاب ٣٣.

ويظهر أن للنبي صلى الله عليه وآله في داره عدة بيوت (غرف) بعدد أزواجه، وكان يأوي في كل ليلة إلى واحدة منهن.

الخطوة الثانية: إنه لم يثبت إطلاقاً أن للنبي صلى الله عليه وآله بيتاً خاصاً به.

إذن، فما هو الذي يصدق عليه أنه بيت رسول الله صلى الله عليه وآله ؟ فإن ما يسمى بيت رسول الله صلى الله عليه وآله فيه عدة احتمالات. وكلها غير صحيحة:

الإحتمال الأول: الدار مجموعاً. وهي لا تسمى بيتاً بالضرورة.

الإحتمال الثاني: غرفة خاصة به، ولم يثبت أن له غرفة خاصة به، ولو ثبت ذلك لما شاركه فيها أحد.

الإحتمال الثالث: بيوت زوجاته. وهي إنما بيوتهن، وليست خاصة به.

فإن قلت: فإن لفظ **(أهل البيت)** يراد به تمثيل وجود رسول الله صلى الله عليه وآله كالخيمة على أهله، وهو تمثيل عرفي، فمن يكون تحت هذه الخيمة فهو من أهل البيت.

قلنا: إن هذا قابل للمناقشة من وجهين:

الوجه الأول: إن هذا معنى مجازي، والحمل على المعنى الحقيقي أولى، ولا يوجد عندنا معنى حقيقي لبيت رسول الله صلى الله عليه وآله.

الوجه الثاني: إن خيمته المعنوية غير خاصة بالمعصومين عليهم السلام، بل شاملة لسائر المسلمين والمؤمنين.

فإن قلت: فإن نسبة البيت لله سبحانه أيضاً مجازية وليست حقيقية.

قلنا: نعم، لاستحالة وجود البيت بالمعنى المادي لله سبحانه وتعالى،

فيتعين أن يكون بيته معنوياً.

فإن قلت: إن بيت رسول الله صلى الله عليه وآله المعنوي إذا كان شاملاً لجميع المسلمين، فإن بيت الله المعنوي شاملاً لكل الخلق، وليس خاصاً بأحد.

قلنا: نعم، إلا أنه يختلف بإختلاف المستويات والدرجات. ونستطيع أن نجعل لكل مجموعة بيتاً خاصاً بهم. فأخص الخلق أجمعين هم الأحق بالبيت الخاص بهم، وهم الخمسة أهل الكساء.

قد يقال: إننا إن تحدثنا عن النبي صلى الله عليه وآله خلال فترة حياته المتأخرة عن وفاة خديجة سلام الله عليها، فهذا الذي قلناه صحيح حيث كان في داره عدة بيوت، ويسكن في كل بيت واحدة من أزواجه. أما إذا تحدثنا عنه في عصر وجود خديجة معه فالحال يختلف، حيث أنه من الأكيد، ومن ضروريات التأريخ، أنه لم يتزوج غيرها إلى أن توفيت. ومعه فقد يكون له بيت مستقل، فيصدق عليه أنه بيت رسول الله صلى الله عليه وآله.

جوابه: إننا نسأل أن الآية الكريمة، هل أنها نزلت في حياة خديجة عليها السلام أم بعد وفاتها؟

وحسب فهمي أن خديجة عليها السلام ماتت، ثم تزوج النبي صلى الله عليه وآله المتعددات، ثم ولد الحسن والحسين عليهما السلام ثم نزلت الآية الكريمة وهذا ينبغي أن يكون واضحاً[1].

كما أنه ينبغي الإلتفات إلى أن دار رسول الله صلى الله عليه وآله كانت في حركة دائمة،

---

(١) إن وفاة خديجة عليها السلام كانت قبل الهجرة وآية التطهير كانت بعد الهجرة بعدة سنين. أنظر مناقب آل أبي طالب ج ١ ص ١٥٠ وبحار الأنوار للمجلسي ج ١٩ ص ١٥ في تحديد سنة وفاتها.

منذ وفاة خديجة، إلى حين وفاته صلى الله عليه وآله وسلم من حيث الزواج، فلربما كانت تضيق على عدد زوجاته، ويكفي أن نلتفت أنه صلى الله عليه وآله وسلم توفي عن تسع حرائر بالعقد الدائم، أي عن تسع زوجات. فهل كان في داره تسع غرف؟ كلا طبعاً. وربما يسكن عدة زوجات في غرفة واحدة. والمهم أنه -مع هذا الحال- لا يمكن أن تكون له غرفة مستقلة.

كما ينبغي الإلتفات إلى أنه على فرض وجود بيت مستقل له، فهو خاص به لا يسكنه أحد غيره. ولا أقل أن تكون نسبة غيره إليه مجازية جزماً كائناً من كان حتى علي وفاطمة عليهما السلام. فنحن أمام مجاز بكل تأكيد، أي بكل محتملات الفهم في الآية. ولا أقل أن يدور الأمر بين اعتبارهم أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم لحبه لهم، أو أهل بيت الله تعالى لحبه لهم، ودرجاتهم العالية عنده. والثاني أولى، لأن النسبة إلى الله تعالى دائماً هي الأولى.

فإن قلت: إنه قد تسمى الدار بيتاً مجازاً.

قلنا: إن المجاز يحتاج إلى قرينة وهي غير موجودة. وأعتقد أن هذا المعنى كان مستنكراً لغة.

فإن قلت: إننا نستصحب ذلك استصحاباً قهقرياً[1] إلى زمان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، أي أننا الآن نسمي الدار بيتاً، ونشك أنه كان كذلك فيما مضى، فنستصحبه استصحاباً قهقرياً، ونقول إنه كذلك في صدر الإسلام، أو في زمن نزول الآية الكريمة.

---

(١) الاستصحاب القهقري: ويعبر عنه بـ: «أصالة الثبات» أيضاً، وهو أن يتعلق اليقين بشيء فعلاً، ثم يحصل الشك فعلاً بذلك الشيء نفسه في الزمان السابق، فيكون المتيقن متأخراً زماناً عن المشكوك عكس الاستصحاب. الموسوعة الفقهية الميسرة - الشيخ محمد علي الأنصاري ج ٢ ص ٤١٩.

قلنا: إننا لا نريد أن ندخل في مناقشة الاستصحاب القهقري. وإنما كل ما في الأمر أن هذا الاستصحاب معارض باستصحاب أصلي معاكس، لأن الناس قبل الإسلام كانوا يطلقون لفظ الدار على مجموع الغرف، ولفظ البيت على الغرفة الواحدة، فهل انتفى ذلك في عصر النبي صلى الله عليه وآله أم لا؟

فنقول إنه بقي على هذا الإستعمال، إلا أن نحرز خلافه في العصور المتأخرة عن النبي صلى الله عليه وآله، حيث أخذ الناس يخطأون ويسمون الدار بيتاً.

حينئذ ينتج من ذلك نتيجتان:

النتيجة الأولى: إن أزواج النبي صلى الله عليه وآله ليس فيهن واحدة داخلة في مفهوم أهل البيت، وإن كن ساكنات معه في داره، وذلك لعدة تقريبات ظهرت مما سبق.

منها: إننا لو قبلنا أن له بيتاً خاصاً به، فليس إحداهن تسكنه.

ومنها: إن كل واحدة من زوجاته هي أهل بيتها، وليس بيتها بيت النبي صلى الله عليه وآله.

ومنها: إننا بعد أن قرّبنا أن المراد بالبيت بيت الله تعالى، فهل هن أهل لهذه النسبة ؟ فمن كانت أهلاً لذلك نسبناها، ومن كانت ليست أهلاً رفضناها كائنة من كانت.

فإنه لم يدع أحد عصمتهن، ولم يدع أحد عدم صدور ذنوب كبيرة من بعضهن، فهل تكون من قد حاربت إمام زمانها أهلاً لأن تنسب إلى المقام الأعلى القريب من الله تعالى حتى لو تابت؟ فلذا قال تعالى: ﴿لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾[1]. أي من أذنب في حياته ولو بذنب واحد فإنه لا يصلح أن يكون

---

(١) البقرة ١٢٤.

أهلاً للإمامة، لأن ذلك الذنب يؤثر فيه أثراً يبقى معه طيلة حياته حتى لو تاب. فإن عبادة الأصنام أو شرب الخمر أو الزنا، تجعل إمامة من قام بها متعذرة.

النتيجة الثانية: إن **(أهل البيت)** معنى خاص بأصحاب الكساء الخمسة، لأنهم خير الخلق على الإطلاق، ولا يشمل غيرهم بما فيهم التسعة المعصومون من أولاد الحسين عليهم السلام، وبما فيهم الأنبياء والأولياء السابقون.

مضافاً إلى أنه توجد الكثير من الروايات الواردة عن النبي صلى الله عليه وآله أنه يقول: **(إنها نزلت فيَّ وفي علي وفاطمة والحسن والحسين)**[1].

وإنما قال ذلك لكي لا يخطر في ذهن أحد كائناً من كان أنه منهم.

إن قلت: إنه لا يوجد فيها مفهوم مخالفة، فإنه حينما قال: **(إنها نزلت فيَّ وفي علي وفاطمة والحسن والحسين)**. لم ينف الزائد.

قلنا: إن لسان الحال يؤكد على أنها نزلت في هؤلاء فقط. ويقرب ذلك أمران:

---

(١) أنظر نحوه في أمالي الشيخ الطوسي ص٥٦٥، البحار ج٣٥ ص٢١٩، ج٣٦ ص٣٠٩، ج٦٩ ص١٥٤، ج٣٥ ص٢٢٧، المعجم الكبير للطبراني ج٣ ص٥٤، خصائص الوحي المبين للحافظ ابن البطريق ص١٠٢، شواهد التنزيل للحاكم الحسكاني الحنفي ج٢ ص٩٦، ترجمة الإمام الحسن لابن عساكر ص٧٠، ينابيع المودة للقندوزي ج٣ ص٣٦٨. فإنها تخصص أهل البيت بالخمسة أصحاب الكساء ولكن بلفظ آخر. وهناك روايات بنفس اللفظ منها ما ورد في شرح الأخبار للقاضي المغربي ج٢ ص٥١٥، البحار ج٣٥ ص٢٢٢، مجمع الزوائد للهيثمي ج٩ ص١٦٧، نظم درر السمطين للزرندي الحنفي ص٢٣٨، خصائص الوحي المبين لابن بطريق ص١٠٦. فهذه طائفة من الروايات تشير إلى اختصاص الآية بالخمسة أصحاب الكساء. وهناك طائفة من الروايات الأخرى تخصص نزول الآية بالخمسة مضافاً لهم التسعة المعصومون من ولد الحسين عليه السلام. ويمكن الجمع بين الطائفتين بأن الآية تشمل الخمسة بالمرتبة الأولى والتسعة بالمرتبة الثانية كما سوف يشير إلى ذلك في المتن فانتظر.

الأمر الأول: إن غيرهم أوضح في عدم الانطباق، وذلك لعدم معاصرتهم لرسول الله صلى الله عليه وآله.

الأمر الثاني: إن ظاهر الآية هو انطباقها على مصاديق متحققة فعلاً، وليس على مصاديق سوف تأتي.

فإن قلت: إذا كان المراد بالبيت بيت الله تعالى وليس بيت رسول الله صلى الله عليه وآله، فإن بيت الله شامل للأزمنة الثلاث أي الماضي والحاضر والمستقبل، ولا دخل لولادة التسعة المعصومين عليهم السلام. فإن لم يكونوا أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله، فهم أهل بيت الله.

قلنا: إننا لا بد وأن نلتفت إلى الفرق بالقرب الإلهي، بين هؤلاء الخمسة، وهؤلاء التسعة. فإن الفرق موجود، ودلت عليه الأدلة من الكتاب والسنة. إذن فإذا كان أهل الكساء عليهم السلام أعلى مرتبة من التسعة المعصومين عليهم السلام، فإن بيتهم خاص بهم ولا يتعدى إليه غيرهم.

فإن قلت: إن المعصومين التسعة عليهم السلام إذا خرجوا عن موضوع الآية، فقد خرجوا عن محمولها أيضاً. لأنها تقول: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾، فالموضوع هو أهل البيت، والمحمول هو التطهير. فأي واحد قد دخل في الموضوع، فهو داخل في المحمول، أي إذا كان من أهل البيت فهو مُطهَّر وإذا لم يكن منهم فهو ليس بمطهَّر.

فإذا زعمنا أن المعصومين عليهم السلام ليسوا من أهل البيت، إذن، فهم لا يدخلون في الوعد بالتطهير، فحيث أنهم خارجون موضوعاً، فسوف يكونون خارجين محمولاً.

وهذه النتيجة باطلة أكيداً لأنهم مطهَّرون أيضاً، وشمولهم محمولاً من دون

أن يكونوا مشمولين موضوعاً غير معقول، فما داموا مشمولين محمولاً فهم مشمولون موضوعاً. إذن، نعرف أنهم مندرجون في ضمن أهل البيت.

جوابه: إننا لو اقتصرنا على ظهور الآية فقط، إذن فأهل البيت هم أهل الكساء عليهم السلام، وهم المطهَّرون فقط. ولكننا يمكن أن نقيم أدلة خارجية على عصمة التسعة عليهم السلام، وعلى إمامتهم، وعلى ولايتهم العامة وعلى وجوب طاعتهم.

ومن هنا يتعذر الإستدلال بالآية على عصمتهم، بل نستدل بعصمتهم على كونهم مشمولين بالآية، وبعد شمولهم بالآية والتطهير يمكن أن نقول إنهم من أهل البيت على مقدار مستواهم من الوجود.

إن قلت: إننا بعد أن قربنا أن المراد (بيت الله)، فبيت الله معنى عرفي ومتشرعي ومفهوم يطلق على المسجد الحرام عامة وعلى الكعبة الشريفة خاصة. والألف واللام أظهر بالعهدية، فهي عهد إليه. وخاصة بعد أن نلتفت إلى أن البيت المعنوي مجازي، وهذا المعنى حقيقي ومتسالم على فهمه.

جوابه من أكثر من وجه واحد:

الوجه الأول: إن الأهلية لها سببان، إما أن للإنسان يداً عليه، وإما أن يكون ساكناً فيه، والكعبة لم يسكنها أحد أكيداً، ولم تكن لأحد يد عليها، فهم ليسوا أهل الكعبة بهذا المعنى.

الوجه الثاني: إننا إذا تنزلنا عن ذلك، وقلنا: بأن معنى الأهلية هنا هو الولاية العامة، فأولياؤها هم المشرفون عليها شرعاً. ولكن هذا المعنى مجازي فلماذا لم يقل (أولياءه)؟ فالأولياء يراد بهم معنى، والأهل يراد بهم معنى آخر.

فإذا قارنّا بين المعنيين، فلا بد أن نختار أهل بيت الله المعنوي وليس البيت المادي، لأنهم ساكنون سكنى معنوية بأنوارهم العليا، وأرواحهم المقدسة، في ذلك المكان العالي وليسوا ساكنين بالكعبة، لا بأجسادهم ولا بأرواحهم.

ويمكن الجمع بين الفكرتين بعد الإلتفات إلى فكرة أخرى قد سجلتها في بعض مؤلفاتي[١]، وحاصلها بأن الكعبة وجود تجريدي رمزي عن التوحيد، فإن المعنى المعنوي والتجريدي يحتاج إلى رمز مادي ليكون قريب المنال من العقول القاصرة والمقصرة، والمادية الدنيوية، فالكعبة مثال للتوحيد.

حينئذ نقول إن المفهومين قد أقترنا، أي البيت المعنوي لله والبيت المادي له، فهذا رمز وذاك مرموز إليه. وكما أن هذا البيت رمز لذاك، هو رمز عن ساكني ذلك البيت، وبتعبير آخر كما أن الكعبة رمز عن التوحيد، هي رمز عن الموحدين أيضاً.

فإن قلت: إنه قد ورد متواتراً قول النبي صلى الله عليه وآله : **(سلمان منا أهل البيت)**[٢]. ثم نضم إلى ذلك مقدمة أخرى، وهي أن التسعة المعصومين عليهم السلام أفضل من سلمان، ثم نضم إلى ذلك مقدمة ثالثة، وهي أن ما عند الأدنى عند الأعلى مع زيادة. فإن كان سلمان رضي الله عنه من أهل البيت، فإن التسعة المعصومين عليهم السلام منهم من باب الأولوية. مع العلم أن ظاهر الكلام السابق أنهم ليسوا من أهل البيت، وأن هذا العنوان خاص بأصحاب الكساء الخمسة عليهم السلام .

---

(١) فقه الأخلاق ج١ ص١٥٤ ط بيروت.

(٢) الناصريات للسيد المرتضى ص٣٢٩، الخلاف للشيخ الطوسي ج١ ص١٠٧، منتهى المطلب للعلامة الحلي ج١ ص١٦٦، سبل السلام لابن حجر العسقلاني ج١ ص٧٧، عيون أخبار الرضا ج١ ص٧٠، تحف العقول ص٥٢.

قلنا: إن هذا يمكن الإجابة عليه من عدة وجوه:

الوجه الأول: إننا نفهم أن سلمان من أهل البيت عليهم السلام من السنة، لا أننا نفهمه من الكتاب، إلا في صورة واحدة وهي أننا نجد أن الرواية شارحة ومفسرة للآية الكريمة. وإذا لم تكن مفسرة للآية، فإننا نفهم أن سلمان من أهل البيت بإخبار الرواية بذلك كما قلنا.

فإن أصحاب الكساء قد دلَّ عليهم الكتاب أنهم من أهل البيت، وأما الباقون بما فيهم التسعة المعصومون وسلمان، ولربما آخرون. فقد دلَّت عليهم السنة أنهم كذلك.

الوجه الثاني: إنه يمكن أن نقول كما قلنا: إن نفس هذا العنوان إذا فهمناه بمعنى أوسع، فسوف تكون له حصص ودرجات عديدة، أو أننا نقول فيه بالتشكيك باصطلاح المنطق وعلم الأصول.

حينئذ مإذا نفهم من (أهل البيت) في الآية ؟ هل نفهم مطلق الأهل أو الأهل المطلق؟ فمطلق الأهل أي جميع حصص ودرجات (أهل البيت)، والأهل المطلق أي الحصة الأرقى، والدرجة العالية من هذا العنوان.

فإذا فهمنا من ذلك مطلق الأهل، فإنه يشمل الجميع، بما فيهم أصحاب العصمة الثانوية من الأولياء، ويكون مقتضى الإطلاق ذلك. لكنهم قالوا في علم الأصول: بأن الإطلاق ينصرف إلى أكمل الأفراد. ومن جملة تطبيقات ذلك، أن أكمل الأفراد لظهور صيغة الأمر هو الوجوب، فمقتضى إطلاق صيغة الأمر الوجوب.

حينئذ نقول: إن أكمل الأفراد في (أهل البيت) هم أعلى تطبيقات وحصص و أشكال أهل البيت عليهم السلام ، وأعلى الحصص ليس أكثر من خمسة،

لأنهم خير الخلق على الإطلاق، ثم التسعة المعصومون عليهم السلام بدرجة أدنى من أهل الكساء، ثم سلمان رضي الله عنه بدرجة أدنى من التسعة المعصومين عليهم السلام، وهكذا.

مضافا إلى أن دليل أهل الكساء هو القرآن، وهو أعلى درجة من دليل الباقين الذي هو السنة.

فإن قلت: إن عدداً من الروايات قد وردت، تنص على اقتران نزول الآية بحادثة الكساء، وهي كثيرة ومستفيضة ومتواترة. وفيها يقول النبي صلى الله عليه وآله وسلم: **(اللهم هؤلاء أهل بيتي وخاصتي، فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً)**[1]، وكذلك ورد في بعض الزيارات: **(يا أهل بيت النبوة)**[2]، إذن فكيف نقول: إن المراد هو بيت الله؟

وجوابه من أكثر من وجه:

الوجه الأول: إنه لا منافاة بين الأمرين، فهم أهل بيت الله وأهل بيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم، لأنه لا منافاة بين الله وبين نبيه صلى الله عليه وآله وسلم.

الوجه الثاني: إنه من باب **(كلم الناس على قدر عقولهم)** فلو قال: أهل بيت الله فهل يفهم أحد كلامه؟

الوجه الثالث: إنه حينما يقول أهل بيتي فليس لكلامه مفهوم مخالفة، أي

---

(١) الخلاف للشيخ الطوسي ج٤ ص١٥٧، إيضاح الفوائد لابن العلامة ج١ ص٧، الذكرى للشهيد الأول ص٥، المغني لابن قدامة ج٦ ص٥٥٣، الخصال للشيخ الصدوق ص٥٦١، أمالي الصدوق ص٥٥٩، كفاية الأثر للخزاز القمي ص٦٦.

(٢) من لا يحضره الفقيه ج٢ ص٦١٠، وسائل الشيعة ج١٤ ص٣٩١، المحتضر ص١١٩.

أنه لا ينفي غيره الذي هو أهل بيت الله.

وفي بعض تلك الروايات عن أبى سعيد الخدري، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: **(نزلت هذه الآية في خمسة: فيَّ وفي علي وفي حسن وحسين وفاطمة، إنما يريد الله)** الحديث[1]. وهذا يخرج أي واحد من الآخرين، بما فيهم زوجات النبي صلى الله عليه وآله وبما فيهم التسعة المعصومون عليهم السلام المتأخرون من أولاد الحسين عليه السلام. وانما نعتبرهم من أهل البيت عليهم السلام باعتبار الدليل على إمامتهم كما سبق، ولن يكونوا في نفس المنزلة، لأن البيت الإلهي ذو درجات، كما قال الله تعالى: ﴿رَفِيعُ ٱلدَّرَجَٰتِ ذُو ٱلْعَرْشِ﴾[2].

ولو كانت الآية شاملة للزوجات، أو خاصة بهن لكن مشمولات لقوله صلى الله عليه وآله وهو خبر متواتر من الفريقين: **(ألا إني تركت فيكم الثقلين، أحدهما: كتاب الله، من اتبعه كان على هدى، ومن تركه كان على ضلالة، ثم أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي ثلاث مرات)**[3]. ولم يقل بشمولها للزوجات أحد، فيلزم من بطلان التالي بطلان المقدم. وإنما يذكر المجتمع بأهل بيته باعتبار علمه بظلمهم بعده، ولم تظلم بعده إحدى زوجاته إطلاقاً.

الخطوة الآخرى بهذا الصدد: إن الآية الكريمة لو كان مرادها أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله للزم خروج النبي صلى الله عليه وآله نفسه عنهم. فلو قلت: أولاد آدم لم يشمل آدم،

---

(١) البحار ج٣٥ ص٢٢٢، خصائص الوحي المبين لابن بطريق ص١٠٦.

(٢) غافر ١٥.

(٣) أنظر الخلاف للطوسي ج١ ص٢٨، شرح أصول الكافي للمازندراني ج٦ ص١٢٠، دلائل الإمامة للطبري الإمامي ص٢٠، كشف المحجة لابن طاووس ص٥٢، البحار ج٣٠ ص٥٨٨، فضائل الصحابة لابن حنبل ص٢٢، السنن الكبرى للنسائي ج٥ ص٥١، المعجم الكبير للطبراني ج٥ ص١٨٢، رياض الصالحين للنووي ص٢١١.

ولو قلت: آل النبي لم يشمل النبي، ولو قلت: بني تميم لم يشمل جدهم تميم نفسه. فأهل بيت النبي صلى الله عليه وآله غيره وليس هو منهم. وهذا غير محتمل إطلاقاً، فهو من المقدسين بهذه الدرجة، فنفهم من بطلان التالي بطلان المقدم. إذن، فلا يراد من أهل البيت في الآية أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله، وإنما يراد أهل بيت الله.

فإن قلت: إن أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله غيره، ولكنه قد دخل معهم بالأولوية.

قلنا: كلا، بل هو خارج تكويناً ولغة، ومعنى ذلك أن قداسته ورفعة شأنه ليست ناشئة من كونه من أهل البيت عليهم السلام، مع العلم أنه مندرج في الآية بضرورة الدين، وهو أولى من يندرج في الآية.

الفكرة الأخرى التي أود أن أتعرض لها: إن لفظ ﴿أَهْلَ ٱلْبَيْتِ﴾ ورد في القرآن مرتين: في هذه الآية، وفي قوله تعالى: ﴿أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ رَحْمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيْكُمْ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ﴾[1]، وذلك حينما بشرت زوجة إبراهيم عليه السلام بولد، فقالت: ﴿ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٌ وَهَٰذَا بَعْلِى شَيْخًا﴾[2] فأجابوها بذلك الجواب.

فإننا نقول هنا بأن المراد من أهل البيت، هم أهل الكساء، وليس هذه المرأة.

فإن قلت: إن القرينة المتصلة تقتضي أن يكون المراد من أهل البيت هم أهل بيت إبراهيم عليه السلام، لأن المخاطبة هي زوجته، ولا يحتمل صرف الخطاب من المخاطب إلى أشخاص سوف يولدون بعد آلاف السنين، والذين هم أهل الكساء.

---

(١) هود ٧٣.

(٢) هود ٧٢.

جوابه من عدة مستويات:

المستوى الأول: إن القرينة المتصلة في الآية على نفيه وعلى خلافه، فإن من يعترض على بشارة الملائكة، ويتعجب من أمر الله، وهو بوحي من الله قطعاً، هل يصلح لأن يكون من أهل البيت؟ وأن تكون تلك المرأة هي المخاطبة بذلك الخطاب؟ حاشا لعدل الله أن يكون ذلك.

المستوى الثاني: أن نقول ولو احتمالاً، إن عملاً تخريبياً قد أُنجز خلال التأريخ، وهو وضع الآيات الخاصة بأهل الحق بين قرائن مغلوطة، لكي تنسب إلى غير أهلها، كما نسبوا هذه الآية إلى أهل إبراهيم، ونسبوا تلك الآية إلى نساء النبي ﷺ[1]. وإنما هو قول بتغيير بعض الآيات.

فمن المحتمل أن هذه القرينة المتصلة ليست بقرينة أصلاً، ولم تنزل وحياً هكذا[2]. فتتوقف دعواهم على يقينية القرينة. فلا يمكن القول بذلك. لاحتمال الفصل بالوحي بين الآيتين. والإحتمال مبطل للإستدلال.

المستوى الثالث: إنني قلت في بحث التفسير بأن هناك اتجاهاً هو أقرب إلى الإتجاه الباطني في تفسير القرآن الكريم، وهو التفسير التجزيئي للقرآن. أي أن نأخذ كل لفظ وكأنه نزل وحده فنفهمه من دون استعمال القرائن المتصلة. إذن، فإنتفت القرينة المتصلة لأننا نفهم أهل البيت كأنها نزلت وحدها.

---

(١) لأن آية التطهير في سياق يتحدث عن نساء النبي ﷺ وهو قوله تعالى: ﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسۡتُنَّ كَأَحَدٖ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِنِ ٱتَّقَيۡتُنَّۚ فَلَا تَخۡضَعۡنَ بِٱلۡقَوۡلِ فَيَطۡمَعَ ٱلَّذِي فِي قَلۡبِهِۦ مَرَضٞ وَقُلۡنَ قَوۡلٗا مَّعۡرُوفٗا ﴿٣٢﴾ وَقَرۡنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجۡنَ تَبَرُّجَ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ ٱلۡأُولَىٰۖ وَأَقِمۡنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعۡنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذۡهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجۡسَ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِ وَيُطَهِّرَكُمۡ تَطۡهِيرٗا ﴿٣٣﴾﴾ الأحزاب ٣٢-٣٣.

(٢) وهذا ليس من القول بالتحريف، لأن التحريف هو نسبة الزيادة أو النقيصة للقرآن الكريم. أما ما نحن بصدده فهو تغيير مواقع بعض الآيات بالشكل الذي يختلف عن ترتيبها بحسب نزولها وحياً.

ولكن الإشكال في حجية الفهم التجزيئي للقرآن، فإننا ظاهراً وفقهياً لا نعتبره حجة، فحيئذٍ إما أن نشهد بصحة الباطن الذي يبتني عليه هذا الوجه، وإما أن نلزمهم بما التزم به كبرائهم من المتصوفة، أعني بصحة الفهم التجزيئي.

المستوى الرابع: إننا لو تنزلنا عن ذلك، أمكننا أن نفهم أطروحات أخرى غير أنهم: أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله أو أهل بيت الله. وإنما هم أهل بيت إبراهيم عليه السلام لأنه أبو المسلمين، وأبو النبي صلى الله عليه وآله. غاية الأمر أننا نحتاج هنا إلى مقدمتين:

المقدمة الأولى: أن يراد ببيت إبراهيم البيت المعنوي لا المادي.

المقدمة الثانية: أن يراد بأهله أهم من يمكن فيه ذلك، وهم ليسوا سكانه السابقين كزوجته وغيرها. وإنما هم أيضاً أهل الكساء. إلا أن هذا غير ممكن، لأن أهل البيت أفضل من أصحاب البيت، وهذا غير محتمل. مضافاً إلى البعد الزماني بين إبراهيم وبين أصحاب الكساء.

الأطروحة الأخرى المحتملة: أن يكون أهل بيت علي عليه السلام بعد التنزل عن الأطروحات السابقة، وهذا أيضاً يحتاج إلى مقدمتين:

الأولى: ما عرفناه من أنه لا يوجد لرسول الله صلى الله عليه وآله بيت ينسب الآخرون إليه.

الثانية: قرينية حديث الكساء، وهو نص بأن أهل الكساء هم خمسة، كما أنه نص على نزول الآية فيهم.

ومعه فنحن تأريخياً نعرف أن حادثة الكساء حدثت في بيت علي عليه السلام وأن

أربعة منهم هم أهل بيت علي عليه السلام نفسه، ولا يبقى إلا النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وهو أولى بانطباق الصفة عليه منهم لأنه خيرهم.

مضافاً إلى أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان يزورهم صباحاً ومساءً، فيصدق ظاهراً وباطناً، أن بيت علي عليه السلام هو بيت النبي. ومعه تخرج زوجات النبي يقيناً، لأنهن غير ساكنات في بيت علي عليه السلام، كما أننا يمكن أن ندخل التسعة المعصومين مجازاً في الدرجة الثانية بعد أهل الكساء. وأنا أعتقد أن بيت علي عليه السلام بيت واحد، أي غرفة واحدة يسكنون كلهم فيها (في المدينة). ويقرب ذلك طريقة زواجه (سلام الله عليه)، ومقدار الزهد المدقع الذي تزوج به، وإنما اكتسب أهميته معنوياً لا مادياً.

فإن قلت: فماذا نقول في قوله صلى الله عليه وآله وسلم : **(سلمان منا أهل البيت)**؟

قلنا: إنه من أهل البيت إلحاقاً وتنزيلاً، أياً كان البيت المقصود.

معنى التطهير والرجس

ثم أنه بعد أن انتهينا من الحديث عن موضوع الآية، الذي هو (أهل البيت) نتحدث الآن عن محمولها، الذي هو (التطهير)، فإنه وإن كان وارداً في الآية بلفظين، هما: ﴿لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ﴾ و ﴿وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾، لكننا الآن نغض النظر عن الفرق بينهما، ونعتبر أن محصلهما واحد.

فإن الطهارة يدور أمرها بين أمرين: إما أن تكون بمعنى مطلق الطهارة، التي تنطبق على الكثير، بما فيها الطهارات المتدنية أو القليلة. وإما أن تكون بمعنى الطهارة المطلقة، التي لا تنطبق إلا على أعلى المقامات من الطهارة. والمعنى الثاني هو الذي ينبغي أن نفهمه، لأنه المناسب مع ارتفاع شأنهم، وخاصة بعد أن نلتفت إلى أن كل مرتبة من الكمال لها نحو من التطهير سبباً ومسبباً. فنقول: طهر فوصل إلى هذه المرتبة من الكمال. أو نقول: وصل إلى هذه المرتبة من الكمال، فاستحق الطهارة التي تناسبه. فإذا وصل الفرد إلى أقصى مراتب الكمال وأصبح خير الخلق كلهم أجمعين، فإنه يستحق الطهارة المطلقة والمركزة. ونحن لا نفهمها أكيداً، لأننا لم نعشها، وإنما نرى آثارها، إذا كنا نعقل ونفهم بعض آثارها من المعصومين عليهم السلام.

وأما الرجس فبالعكس، فإننا نفهم منه مطلق الرجس لا الرجس المطلق، فعندما نقول: (ليذهب عنكم الرجس) فالمراد مطلق الرجس أي يذهب عنكم

كل رجس، وأي رجس، لكي تحصل الطهارة المطلقة. فلو فسرناها بالرجس المطلق، لكان المعنى أن الرجس المطلق ذهب وزال، وأما ما هو أدنى منه فهو موجود، ولا دليل على نفيه. فبقرينة أننا نفهم التطهير المطلق، فلا بد أن نفهم مطلق الرجس.

ونحتاج هنا إلى أن نحمل فكرة عن معنى الطهارة واذهاب الرجس من خلال مقدمتين:

المقدمة الأولى: إن خلقة البشر عموماً فيها خير وشر، كما دل عليه قوله تعالى: ﴿وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ﴾[١] فالشر مركوز في النفس البشرية وجداناً وعياناً.

بل بمعنى آخر فإن عالم الإمكان كله لا يخلو من شر وحد وقصور وتقصير، بمعنى دقي أو عقلي أو باطني. لا أقل من فهم معنى الإستقلالية لنفسه وللأسباب أيضاً، وهو كذب صريح وباطل كامل[٢]. وكل ذلك وعلى كل المستويات مما يراد تطهير أهل البيت عنه، بعد أن كانوا بمقتضى خلقتهم الأصلية ينبغي أن يكونوا متصفين به، لأنهم من البشر ومن عالم الإمكان.

فإن قلت: فإن المراد تطهير أرواحهم عليهم السلام لا أبدانهم، وهي مطهرة أصلاً. وبتعبير آخر أن التطهير على قسمين: تطهير مادي، وتطهير معنوي. فالتطهير المادي يخص البدن، والتطهير المعنوي يخص الروح. فأما التطهير المادي فهو شيء جيد، وهو نعمة من نعم الله، ولكنه ليس برئيسي، وليس

(١) البلد ١٠.

(٢) أي أن البعض لنقصه وتدنيه وجهله يرى لنفسه الإستقلالية في وجوده عن الله سبحانه وتعالى، أو يرى للأسباب الطبيعية نحواً من الإستقلالية عنه جل وعلا، وهذا كله على خلاف الواقع فهو إدعاء كاذب وقول باطل لا محالة.

خاصاً بهم، فكثير من الناس أصحاء الأجسام ومعتدلوا المزاج والعقل من الناحية البدنية. فالتطهير تطهير معنوي فهو يخص الروح. فحينئذ نقول: الروح طاهرة. وتطهيرها من تحصيل الحاصل وهو محال.

جوابه: إن هذا جهل بمعنى الروح، وأنا لا أريد أن أعطي معنى الروح، وإنما أريد أن أقول بأن هذا الذي قلناه: وهو أن النفس فيها جانب الخير وجانب الشر، فإنما هو بالجانب الروحي من الإنسان لا في الجانب الجسدي. إذن فالروح ليست منزهة عن الشر كما زعم السائل. فإذا كانت غير منزهة عن الشر فلا بأس أن يشملها التطهير.

فإن قلت: فإنه بالتطهير يزول الجانب السيء من الروح بعد أن كان مركوزاً بالخلقة، فحينئذ تتغير خلقتهم الروحية والمعنوية عن البشر. فيبقى في أرواحهم عنصر الخير فقط، في حين أن باقي الناس فيهم عنصر الخير وعنصر الشر. إذن، فسوف تصبح خلقة هؤلاء مختلفة عن البشر، والحال أن القرآن الكريم يقول: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾[1] فنعرف من بطلان الملزوم بطلان اللازم. إذن، فهذا المعنى غير صحيح.

قلنا: إن هذا سوء فهم، فليس المراد من التطهير تغيير الخلقة، فجانب السوء يبقى مركوزاً فيهم، لكي لا يحصل فيهم نقص فيكونون أقل من غيرهم. وإنما المراد قطع معلولاته ونتائجه، فالبعض يستعملون جهاتهم السيئة، ولكن هؤلاء ليسوا كذلك، فإن النتائج قد عصموا عنها بإرادة الله سبحانه وتعالى.

فإن قلت: فما مزيتهم عن الباقين، ولماذا حصل ذلك لهم دون غيرهم؟

---

(١) الكهف ١١٠.

قلنا: إن ذلك لمزيتين نعرفهما على الأقل:

الأولى: إنه اقتضت الحكمة الأزلية خلق الكون بشكل هرمي، فكلما صعدنا قلَّ العدد، وكلما نزلنا ازداد، وذلك لضبط العلل العليا في الكون وترتيبه، فنحن نؤمن بالصادر الأول، لأن مقتضى الحكمة وجوده.

فالمهم أن تلك الموجودات الأولى والعليا هي أرواح المعصومين عليهم السلام وهي أفضل الخلق لأنها الأقرب في تسلسل العلل إلى الله سبحانه، وهي الفاعلة في الكون، فكان مقتضى الحكمة تطهيرها لمنعها من الخيانة، رحمة بها ورحمة بمعلولاتها ونتائجها.

الثانية: قضية الميثاق، فإنه قد حصل تجلي لله عز وجل هناك[1]، وسأل البشر أجمعين: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾[2]؟ وفي حدود فهمي أن جوابه لم يكن في زمان واحد، وفي رتبة واحدة، فكلما كان السوء في الإنسان أكثر كان جوابه أبطأ، وكلما كان خيره أكثر كان جوابه أسرع. وأول من بادر بالجواب هو رسول الله صلى الله عليه وآله وأمير المؤمنين عليه السلام ثم الأمثل فالأمثل[3].

فإن قلت: لماذا خلق الله سبحانه وتعالى روحاً ذات رداءة عالية لتبطئ بالجواب؟

قلنا: إنه يمكن أن يجاب عليه بجوابين:

الأول: إننا لو تنزلنا عن الهرمية، فإننا نقول إن عالم الإمكان عبارة عن

(١) لا بالمعنى البصري بل بالمعنى المعنوي أو القلبي.

(٢) الأعراف ١٧٢.

(٣) أنظر الكافي للكليني ج١ ص٤٤١، الخصال للشيخ الصدوق ص٣٠٨.

علل ومعلولات متدرجة، فكل شيء مادي أو روحي في أي مرتبة، أو بأي عالم من العوالم، يوجد بحسب عليته وبمقتضى صفات عليته، وكل علة توجد بمقدار ما تستحقه.

الثاني: في حدود فهمي أن الله عز وجل يخلق كل الإحتمالات، كشخص طويل وآخر قصير، وشخص أبيض وآخر أسمر وهكذا. فإنه يخلق كل الإحتمالات إبرازاً لقدرته. ولا يمكن أن يكون إثنان في نفس الشكل بالضبط، فلا بد من الإختلاف قليلاً أم كثيراً، بفرق جسدي أو فرق نفسي أو فرق عقلي أو أي شيء آخر. حينئذ نقول: إنه أبرز قدرته في أن خلق البعض وجعل جانب الخير فيهم كثيراً، وكذلك خلق البعض وجعل جانب الخير وجانب الشر متساويين، وخلق البعض وجعل جانب الشر فيهم كثيراً. فلا بد أن توجد كل هذه الإحتمالات. فكانت النتيجة أن الناس اختلفوا في سرعة الجواب في عالم الميثاق.

فإن قلت: فلماذا أجابوا[1] قبل غيرهم؟

قلنا: هذا باعتبار إختيارهم ووعيهم ومعرفتهم. ولا يبعد القول: إن التطهير حاصل مسبقاً، إذ لا يوجد مانع يوجب التأخير، بينما يوجد هذا المانع في الآخرين، والآية الكريمة أعربت عن طهارة قديمة لا في عصر نزول الآية، وإلا وجب أن نقول بعدم طهارتهم قبل ذلك، أو عدم عصمتهم، وكل ذلك باطل.

الخطوة الأخرى بهذا الصدد: إن نفس الدليل على الإختيار في الدنيا، يمكن تطبيقه على عالم الميثاق. فلا يخطر في الذهن أنهم قالوا ذلك مجبورين

(١) أي أهل البيت عليهم السلام.

أو مسيرين. كلا، فالذي نطق نطق باختياره أو الذي سكت سكت باختياره، ولذا حملَّهم الله المسؤولية، أي مسؤولية قول: **(بلى)**، أي أنه يقول لنا الله تعالى: إنك قلت: **(بلى)** ومع ذلك عصيت.

فهذه المسؤولية موجودة، وستبقى في ذممنا إلى الأبد ما دمنا موجودين.

فكما أن الدليل على الإختيار في عالم الدنيا هو أننا نقول: إن الإختيار لو لم يكن موجوداً، لبطل الثواب والعقاب، أي بطلت المسؤولية الأخلاقية، وإشتغال الذمة بالتكاليف. ولكنها لم تبطل أي يوجد ثواب وعقاب وتكاليف، إذن يعرف من بطلان التالي بطلان المقدم. فلو كان هناك جبر لبطلت المسؤولية.

ونحن قلنا قبل قليل: بأن الله تعالى حمَّلنا مسؤولية **(بلى)**، التي قلناها. فلو كان جبراً لما حمَّلنا مسؤوليتها، لأننا عندئذ نكون كالقلم بيد الكاتب، والعصا بيد الضارب.

فالإختيار كان موجوداً عند الناس بما فيهم الأئمة عليهم السلام، وكلما كان الفرد أعلى وأوعى وأفهم وأكثر إدراكاً للواقعيات، فإنه سيبادر إلى الجواب أسرع.

الخطوة الأخرى بهذا الصدد: إنه نتج من ذلك، أن النبي صلى الله عليه وآله هو أول من أجاب، ثم من بعده المعصومون عليهم السلام فذلك يعني أنهم معصومون من ذلك الحين، فلو لم يكونوا معصومين لكان حالهم حال غيرهم.

وكذلك، فإنهم إنما كانوا معصومين لأنهم كانوا أطهاراً، إذن فالطهارة التي يريد أن يطهرهم بها كانت قبل ذلك العالم الذي سألهم فيه: **(ألست بربكم)**، فهم في أعلى الهرم بالتكوين منذ أول الخلق، سواء اعتبرناه قديماً[1]، أو

(١) أي الخلق على القول بقدمه وتأخره رتبة عن الخالق.

اعتبرناه حادثاً.

المقدمة الثانية: إننا نلتفت إلى المفعول المطلق في الآية، أو التأكيد في الآية ﴿وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ فلماذا قال: ﴿تَطْهِيرًا﴾؟

جوابه من مستويين:

المستوى الأول: مستوى المعلول: وهو أن نقول: إن هذا هو دليل على عمق التطهير وكثرته وتركيزه في نفوسهم إلى حد قد يبدو أن ماهيتهم تختلف، مع العلم أن الخلقة الأصلية لا تختلف، فأصل الخلقة فيه ما في الكون من مصالح ومفاسد، ولكن الفاسد يقف ويبطل عمله تماماً، وتكون كل مراتب وجودات الأئمة عليهم السلام طاهرة، إذن فعمق التطهير مهم جداً.

المستوى الثاني: مستوى العلة، فإن الله عز وجل قادر على كل شيء، ولكن مع ذلك يمكن أن نقول ولو مجازاً، إن هذا الشيء[1] صعب ومعقد في غاية التعقيد. أليس أن الله تعالى يفتخر بوجود نور علي بن أبي طالب عليه السلام[2]، فهو يفتخر أن قدرته استطاعت أن تخلق نوراً متكاملاً إلى هذه الدرجة من التكامل[3]، فالعلة ينبغي أن تكون بالغة القدرة حتى تستطيع أن توجد شيئاً من هذا القبيل.

ولذا فإنه قد يقال: إن زكريا عليه السلام أشكل نفس الإشكال الذي أشكلته إمرأة إبراهيم عليه السلام على الملائكة، حينما بشروه بيحيى، وهو نبي معصوم[4].

---

(١) هذا المستوى من التطهير الذي اختص الله تعالى به أهل البيت عليهم السلام.

(٢) أنظر نحوه في الفضائل لشاذان القمي ص١٥٩، البحار ج٣٦ ص١٥١، تأويل الآيات لشرف الدين الحسيني ص٤٩٦، مستدرك الوسائل للنوري ج٤ ص١٨٧.

(٣) وهو نور أمير المؤمنين عليه السلام.

(٤) كما قال تعالى: ﴿يَٰزَكَرِيَّآ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ ٱسْمُهُۥ يَحْيَىٰ لَمْ نَجْعَل لَّهُۥ مِن قَبْلُ سَمِيًّا﴾ مريم ٧.

فإن جوابه: إنه معصوم، ولكنه لم يطهر الطهارة التي عند أهل البيت عليهم السلام، ولو كان واحداً من أهل البيت عليهم السلام لما أشكل، فإن العصمة مراتب، والتطهير مراتب.

فإن قلت: إنه تطهير الأعمال، أي يوفقكم للأعمال الحسنة، ويردعكم عن الأعمال القبيحة.

قلنا: إن ذلك إن كان بالإرادة التكوينية، للزم الجبر، أي يجبرهم على الأعمال الصالحة، وترك الأعمال القبيحة، وهو قبيح عقلاً. وإن كان ذلك بالإرادة التشريعية، أي يعطيكم تشريعات طيبة ومنتجة، يأمركم بالطاعات وينهاكم عن المعاصي. فإن هذا ليس خاصاً بهم، وإنما هو عام لكل البشر. فكلهم مسؤولون أمام الله تعالى أن يعملوا الحسن ويتركوا القبيح.

نعم، حينما تطهر العلة يطهر المعلول، أو قل: حينما تطهر النفس يطهر العمل، وتطهير الأعمال حاصل ولكن ليس بالمباشرة، وإنما لسببها وعلتها. وإذا طهرت العلة ولم يعمل الإنسان إلا العمل الصالح، لا يكون ذلك جبراً، وإنما يصل الإنسان إلى درجة بحيث يرى المعاصي بدرجة من القذارة فلا يقترب إليها إطلاقاً.

يبقى الإلماع إلى شيء قلما يلتفت إليه، وهو أن الآية الكريمة قالت: ﴿لِيُذْهِبَ﴾ ولم تقل: (أن يذهب) فلمذا حصل ذلك؟

جوابه أن نقول: إن اللام هنا بمعنى (أن) والحروف يستعمل بعضها في محل بعض مجازاً كما قلنا ذلك في علم الأصول. فنقول: زيد يريد ليذهب أي يريد أن يذهب. وهو معقول على أي حال. ولكن لو تنزلنا عن ذلك فيكون المراد أن الله يريد شيئاً لكم لكي يكون هو سبب التطهير، فلنا أن نتساءل عن ذلك الشيء ما هو؟

جوابه: إحدى أطروحات:

منها: الطاعة أو التكاليف المشددة، أي إنما يريد طاعتكم المناسبة لشأنكم ليذهب عنكم الرجس. إلا أنه يلزم منه عدم وجود الطهارة إلا بعد حصول الطاعة بأي واحد من مستوياتها، وهذا ينافي عصمتهم الذاتية، وولادتهم على العصمة. أو قل: عصمة أرواحهم قبل أبدانهم.

ومنها: إن الأفعال على مستويات ولا أقل على مستويين: مستوى ظاهري ومستوى باطني. فإن الذي تكلمنا عنه في الأطروحة السابقة هو الطاعات الظاهرية، ولكن هناك أعمالاً باطنية كثيرة، فكلما كانت النفس أطهر فسوف تكون أعمالها أكبر وأحسن.

فإن قلت: فإننا سوف ننتهي إلى نفس النتيجة، أي أن الطهارة مترتبة على الأعمال، ولكنها الأعمال الباطنية وليست الظاهرية.

قلنا: إننا إذا تكلمنا بالمستوى الدنيوي، فإننا نقول: إن الأعمال الباطنية موجودة من حين ولادة الإمام، أو قل: منذ أن فتح عينه على الدنيا. فتكون نتيجة هذا الكلام أنه لم يولد معصوماً. ولكننا نتجاوز عالم الدنيا إلى ما قبل الدنيا، فإن محمد بن عبد الله ﷺ، ليس هو هذا الرجل الذي يأكل ويمشي فقط، وإنما الأصل فيه هو روحه العليا والتي هي المخلوق الأول. فحينئذ نسأل: هل أن تلك الروح كانت عاطلة قبل ولادة النبي ﷺ؟

جوابه: كلا، فإن لها عملين:

الأول: ذكر الله تعالى، كما نصت على ذلك بعض الروايات[1]. فنقول:

---

(١) أنظر الخصال للشيخ الصدوق ص٤٨٢، البحار ج١٥ ص٤.

إن هذا العمل هو الذي حقق له الطهارة.

الثاني: تسلطه على الإدارة التكوينية للخلق، وهذا أيضاً منصوص عليه في الروايات. فإن الله تعالى خلق السماوات والأرض من نوره، وأعطاه السلطة والإدارة لها(١).

ومنها: إننا نقول: إن المقدر هو الوجود، أي وجودهم، فيكون المعنى: (إنما يريد الله أن يوجدكم ليذهب عنكم الرجس)، وكلاهما رحمة. فوجودهم رحمة وتطهيرهم أيضاً كذلك.

وهذا شيء في نفسه جيد، إلا أننا إذا التفتنا إلى الأطروحات الآتية لوجدناها أرجح.

ومنها: أن ننظر إلى مرتبتهم التكوينية المعنوية العالية. فيكون المعنى: (إنما يريد الله لكم هذه المرتبة ليذهب عنكم الرجس)، وهذه المرتبة ملازمة مع التطهير باصطلاح المنطق. وبتعبير آخر: يوجدكم في تلك المرتبة ليذهب عنكم الرجس ويطهركم تطهيراً.

ومنها: إننا لا نلاحظ قضية منزلتهم التكوينية، وإنما نلحظهم لمجرد أنهم أقرب إلى الله تعالى ممن سواهم، فيكون المعنى: (يريد الله أن يقربكم منه ليطهركم تطهيراً).

فإن قلت: فإن القرآن الكريم بعضه قرينة على بعض، فإذا نظرنا إلى الآيات السابقة وجدناها تؤكد على الأعمال والتكاليف الصعبة كقوله تعالى:

(١) راجع البحار ج١٥ ص٢٩، ج٢٥ ص٢٢، كشف الخفاء للعجلوني ج١ ص٢٦٥، ينابيع المودة للقندوزي ج١ ص٥٦، اللمعة البيضاء للتبريزي الأنصاري ص٢٩.

﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ﴾[١]، فلذا أراد الله تعالى اقناعهم بذلك فبرر الحكمة من هذه التكاليف، وهو أنه إنما كلفهم بها ليرتب عليها الطهارة.

جوابه من عدة وجوه:

الوجه الأول: إن التطهير إذا كان منوطاً بالعمل، فإن عمل الإنسان لا ينتهي إلى آخر حياة الانسان في الدنيا، فتكون النتيجة: أن التطهير سوف يكون في حال الإحتضار، وهذا القول باطل.

الوجه الثاني: ما قلناه من الشك في قرينية هذه الآيات السابقة، للشك أصلاً في مكان وجود هذه الآية الكريمة هنا.

الوجه الثالث: تغيير الضمير، فإنه قال: ﴿عنكم﴾ ولم يقل: (عنكن)، ولو أراد التكاليف الخاصة بالأزواج لقال: (عنكن). كم قال: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ﴾. إذن، يظهر بوضوح أن المخاطب أشخاص آخرون غيرهن. فلا توجد لأفعالهم ذكر في الآيات السابقة لتكون قرينة. وهذا يدل على أن هناك تغييراً أساسياً للسياق قد حصل، وهذه العروة الوثقى ينبغي التمسك بها[٢].

الوجه الرابع: إن التطهير المشار إليه في الآية الكريمة شديد ومركز ومهم، وهذا يعرف من الدال عليه، أي من سياق الآية، وسياق الآية مشدد فالمدلول

---

(١) الأحزاب ٣٣.

(٢) وهي تغيير الضمير في سياق آية التطهير إلى عنكم ولم يستعمل نون النسوة كما في السياق السابق، فهو قرينة واضحة على ما ذهب إليه (قدس سره) من أن عملاً تخريبياً حصل في دس بعض الآيات في غير سياقها.

وهو التطهير مشدد. وبتعبير آخر أننا نعرف شدة عالم الثبوت[١] من شدة عالم الإثبات[٢] والبيان. وهذا يتضح من عدة كلمات مثل: (إنما) التي تفيد الحصر، وكذلك: ﴿تَطْهِيرًا﴾ الذي هو المفعول المطلق، وكذلك التكرار المعنوي الذي هو: ﴿لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ﴾ و ﴿وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾. فهذا التركيز هو تركيز إعلامي لأجل معرفة أن التطهير الثبوتي الواقعي مركز جداً.

وهذه الأمور لا تكون بالأفعال مهما كثرت، بل بإرادة الله سبحانه وتعالى المباشرة. لأننا إذا قلنا: بأن الأفعال هي المنتجة للتطهير، فإن الإنسان العامل حال عمله غير طاهر بهذا المعنى، أي أن فيه شيئاً من النقص والرجس. فالعمل ناتج من شخص ناقص ورَجِس، فكيف يكون هذا العمل موصلاً إلى الطهارة المطلقة والمركزة. وإنما هي رحمة وفيض ابتدائي من قبل الله تعالى.

فإن قلت: فإن عمل الفرد الإعتيادي هو كذلك، ولكن عمل المعصومين ليس كذلك، فإنه يوصل إلى درجات عالية جداً.

قلنا: إن الأمر كذلك بعد تطهيرهم، ولكن مفروض الأطروحة هو أن عملهم ينتج التطهير، أي أنهم غير مطهرين في المرتبة السابقة على العمل.

نعم، الأفعال تنتج تطهيراً بمقدار ما، إلا أنه قليل. ولو بقي الحال عليه لكان العبد من الخاسرين. ولذا قيل: **(القدم الأولى من العبد والباقي على الرب)** [٣]، وقال: **(يا من دل على ذاته بذاته)**[٤]، وقال: **(فاجمعني عليك**

---

(١) عالم الواقع.

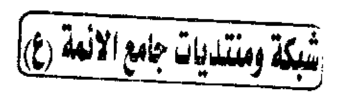
(٢) عالم الإبراز والإعلان.

(٣) يبدو أنها كلمة لبعض أهل المعرفة. فإننا لم نعثر على رواية في ذلك في حدود تتبعنا.

(٤) مقطع من دعاء الصباح لأمير المؤمنين عليه السلام التوحيد للصدوق ص٣٥، أمالي الشيخ المفيد ص٢٥٤، البحار ج٨٤ ص٣٣٩.

بخدمة توصلني إليك)[١]، وقال: (**ولم تجعل للخلق طريقاً إلى معرفتك إلا بالعجز عن معرفتك)**[٢]. إذن، فالعبد عاجز عن ذلك تماماً وإنما كل ذلك بالفيض الإلهي والرحمة المباشرة.

مضافاً إلى أنه لو كانت الزوجات مشمولات لنال الصالحات منهن ذلك كخديجة الكبرى وأم سلمة مع العلم اليقين بعدمه. بل هن كغيرهن في عدم التطهير. والخبر يدل على ذلك وهو إبعاد أم سلمة عن الكساء. فإذا علمنا أن نتيجة هذا التطهير هو العصمة، لزم القول بعصمتهن. أو دلالة القرآن الكريم على ذلك، ولم يقل بذلك أحد. فنعرف من بطلان التالي بطلان المقدم.



(١) مقطع من دعاء عرفة للإمام الحسين عليه السلام البحار ج٩٥ ص٢٢٥.

(٢) مقطع من مناجاة العارفين للإمام زين العابدين عليه السلام البحار ج٩١ ص١٥٠.

مقارنة بين التطهير وإذهاب الرجس

ثم أن الآية الكريمة أخذت في جانب المحمول عنوانين:

أحدهما: إذهاب الرجس.

ثانيهما: التطهير المركز.

فهل هما يعودان إلى معنى واحد، بحيث يكون ثانيهما إيضاحاً لأولهما؟

ويقرب ذلك، بأن الرجس نحو من القذارة، والطهارة إزالة القذارة. فإذهاب الرجس هو التطهير، والتطهير هو إذهاب الرجس، فهما متلازمان متساويان. بل أحدهما عين الآخر. فإن الإذهاب هو التطهير نفسه كالمترادفين، ويكون الثاني إيضاحاً للأول.

وبأزاء ذلك توجد عدة أطروحات تدل على المغايرة بينهما:

منها: إختلاف درجات الطهارة، فالبدأ يكون بالأدنى والإنتهاء بالأعلى. فالإذهاب هو الأدنى، والتطهير هو الأعلى. وهذا لا يتم بمجرده، لأنه حصل لهم دفعة لا تدريجاً.

ومنها: إن أحدهما بمنزلة الموضوع والآخر بمنزلة المحمول. والموضوع متقدم رتبة لا زماناً. فكل من يذهب عنه الرجس يطهر. وفاعلية الفاعل إما في

إيجاد الموضوع أو فيهما معاً.

ومنها: إن أحدهما تكويني وهو إذهاب الرجس، والآخر انتزاعي وهو التطهير، وهو متأخر رتبة. يعني من يذهب عنه الرجس نسميه طاهراً ومُطهَراً.

إلا أنه لا يتم، لأن فيه إقراراً بأن الجهة التكوينية واحدة، وهو إذهاب الرجس في حين أن الآية ظاهرة بالتعدد بمقتضى التعاطف[1].

ومنها: إن الإختلاف بينهما بإختلاف المتعلق، فإن الشرور في المكلف على مستويين، وكلاهما على مستوى المقتضي لا العلة التامة.

١- **الشرور الوجودية**: أي الشرور المركوزة في الخلقة.

٢- **الشرور العدمية**: أي ما يترتب على الأفعال من نواقص.

فإذهاب الرجس يكون بالنسبة إلى الشرور الوجودية لكي تذهب أو تنطفئ. والتطهير أي من الشرور العدمية لكي تتبدل إلى الوجود الأفضل.

ومنها: إن الإختلاف بينهما يكون في جانب العلة والمعلول، فإذهاب الرجس بمنزلة العلة، والتطهير بمنزلة المعلول. فإذهاب الرجس عن جانب العلة يعني تطهير الروح من الشرور والأدناس، والتطهير يعني تطهير الأفعال.

وأي شيء فسرناه فلا بد أن نفهم منه الإذهاب المطلق للرجس، وليس مطلق الإذهاب. وكذلك نفهم من التطهير التطهير المطلق وليس مطلق التطهير. لأن الإذهاب المطلق والتطهير المطلق هو المناسب مع تلك المرتبة العليا التي

---

(١) لأن الآية تقول: ﴿لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ فعطف التطهير على إذهاب الرجس. فكلاهما موجودان ومؤثران ومنتجان للنتيجة لا أننا نقول بأن التطهير نتيجة لإذهاب الرجس.

لا يشاركهم فيها أحد.

أما الآن فندخل إلى كلام لا ينبغي الإطالة فيه عن معنى الرجس. فإننا في حدود ما مشينا عليه من سلسلة التفكير يمكن أن نفسره بأحد تفسيرين:

الأول: هو الشر المركوز أساساً في الخلقة إلى جانب الخير كما قالت الآية الكريمة: ﴿وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ﴾.

الثاني: آثار هذا الحال ونتائجه غير المحمودة من عصيان وعيوب وذنوب.

حينئذ نعرض هذين الإحتمالين على آية التطهير لنرى إذهاب الرجس على أي المعنيين يصدق؟ فإذا كان المراد هو المعنى الأول فإنه غير زائل، بل يستحيل زواله لأنه من تبديل الخلقة، وليس في المصلحة زواله، لأنه يستلزم نقص الخلقة. فالملائكة فيهم عقل بلا شهوة، ومن هنا كانت خلقتهم أقل من خلقة البشر. فإذا كان الرجس هو هذا، إذن فإننا نحتاج إلى تقدير مضاف، يعني آثار الرجس أو نتائجه ونحو ذلك، وهو خلاف الأصل.

وأما إذا حملناه على المعنى الثاني بان يكون المراد أساساً هو النتائج، فهي ذاهبة لا محالة. فيصدق بالدلالة المطابقية، ولا نحتاج إلى تقدير.

ويمكن أن يقرب الوجه الثاني بأن المراد من الرجس ما يتنجس به الطبع الإنساني معنوياً، أو سلوكياً أو عقلياً، ونحو ذلك. وهذا ليس إلا نتائج السوء وليس السوء الخَلْقي. فإنه مما لا يوجب النجاسة وإنما يوجب فقط كمال الخلقة، فوجوده أصلاً خير، وإنما تأثيره شر ونجاسة. ولذا اتصف الكثيرون بالعصمة و بالولاية وبالقرب ولم يضر ذلك بهم، بل هو نافع لهم لأنه سوف يكون سبباً لكمالهم وإرتفاعهم في درجات اليقين.

الإستدلال
على العصمة بالتطهير

بقيت خطوة لا بد أن نخطوها ما دمنا بصدد آية التطهير، لأن الإمامية يستدلون بآية التطهير على العصمة، مع العلم أن إسم العصمة ليس موجوداً فيها. فبأي أطروحة، وبأي طريقة يستدلون منها على العصمة؟

حينئذ نحتاج إلى بعض التقريبات التي تؤدي بنا إلى نحو قناعة بهذا الكلام.

وتقريب ذلك بعدة أساليب:

الأسلوب الأول: وهو دنيوي، ومن خصائصه أنك تستطيع أن تتحدث به مع غير المتفقه، أو الذي لا يحمل فكرة كافية عن الإسلام، وعن أصول الدين وعن فروعه. وذلك بأن يقال: إننا إذا لاحظنا الأفراد المؤمنين بأي مذهب، أو أي دين أو أي عقيدة سماوية أو أرضية مادية أو إلهية، نجد أن الفرد منهم كلما كان أكثر إيماناً بمذهبه أو دينه أو عقيدته عموماً، كالرأسمالية أو الشيوعية أو الوجودية فضلاً عن الأديان كالمسيحية واليهودية. وكلما كان أكثر تحمسا لها، وعملاً في سبيل تطبيق أهدافها، كان أكثر إطاعة للتوقعات منه، حتى يصل إلى درجة العصمة من وجهة نظرها، ومن جهة الواجبات والمحرمات التي يكون

هو مسؤولاً عنها تجاهها.

وهذا أمر مجرب ولا بد أن يؤمن به الجميع، ولذا نجد المتعصبين إلى أي عقيدة على استعداد أن يتحملوا القتل وسائر المصاعب في سبيلها، فكيف لا يتحمل طاعتها وتطبيق مستلزماتها وأهدافها على نفسه أو غيره فيكون معصوماً من وجهة نظرها؟

وهذا واضح التطبيق والصغرى في محل كلامنا، فإن المعصومين عليهم السلام عامة وأهل البيت عليهم السلام خاصة هم من أعظم المتحمسين إلى إطاعة الله والملتزمين بتطبيق الدين وأهداف سيد المرسلين صلى الله عليه وآله.

الأسلوب الثاني: وهو أيضاً دنيوي وهو أن نتكلم بنفس الطريقة ولكن بأسلوب عقلائي فكما أن الحال في العقائد هكذا، فإن الأهداف الشخصية العقلائية أيضاً هكذا لكل ما يحبه الفرد ويكرس حياته من أجله، كخدمة الأبوين مثلاً أو التجارة أو السياحة أو تعلم اختصاص معين. فتراه يكرس كل وقته ويضحي بكل مصالحه ويلاحظ ذلك الهدف في الصغيرة والكبيرة فيكون معصوماً عن القيام بأي أمر يخالف ذلك أو يضاده، أو ترك أي عمل يكون مقرباً له وفي صالحه. فإذا كان عمل العقلاء هكذا، فأولى أن يكون أئمتهم كذلك فهم أهم المصاديق على الإطلاق.

الأسلوب الثالث: أن نلتفت إلى نقطة مشتركة بين الأسلوبين السابقين وهي الإخلاص. وكلما كان الإخلاص أشد وأكثر فسوف يكون إنجاز التوقعات أكثر. فمع وجود الإخلاص وجدت الهمة، ومع تصاعد الهمة توجد العصمة. والصغرى أيضاً محرزة في أهل البيت عليهم السلام، وهي وجود الإخلاص العالي جداً لديهم تجاه الله تعالى وتجاه شريعته.

الأسلوب الرابع: أن ننظر من هذه الزاوية، وهي جانب أخروي أو معنوي، وذلك بأن نقول: إن السبب الرئيسي للذنوب والعيوب والتجاوزات الصادرة من البشر، إنما هو النفس الأمارة بالسوء، والأمر بالسوء ناشئ من الرجس الموجود فيها. فإذا انقمع وانقطع زالت كل آثاره ونتائجه، فإذا حصل ذلك بشكل كامل وشامل حصلت العصمة لا محالة.

فإن قلت: إن هذا أمر ليس خاصاً بالمعصومين عليهم السلام بالذات، بل يشمل المعصومين بالعرض[1] وهم الأصفياء والأولياء والكمَّل من البشر، فإنهم لا يصلون إلى هذه المراتب إلا بعد انقطاع شهواتهم ونزواتهم لا محالة.

قلنا: نعم، إلا أن المراتب تختلف أكيداً. ومن المسلم والمجمع عليه بين المسلمين بل جميع البشر إلا من ندر، أن مرتبة هؤلاء أعلى وأجل وأفضل من جميع من اتصفوا بالعصمة. فإذا كان التطهير موجوداً بمجرد زوال النفس الأمارة بالسوء فهذا معنى عام، ولكنه قابل للتركيز والتأكيد في المراتب العليا من العصمة، كما سميته في موسوعة الإمام المهدي عليه السلام: **(تكامل ما بعد العصمة)**[2]، فإذا كان الفرد في مرتبة عالية جداً من التطهير، كان معصوماً بالذات. وإنما كانت عصمته واجبة لأنها بإرادة خاصة من الله سبحانه كما هو نص هذه الآية الكريمة.

الأسلوب الخامس: أن ننظر إلى درجة وجود أرواحهم وأنوارهم العليا،

---

(١) يعني المعصومين بالعصمة الثانوية، وهي العصمة التي يمكن أن يصل إليها الفرد عن طريق التكامل وجهاد النفس. وتفترق عن العصمة الواجبة بفارق رئيسي وهو أن العصمة الواجبة تعصم المتصف بها عن الخطأ والنسيان، وليست العصمة الثانوية كذلك وإنما تعصم المتصف بها عن الذنوب والمعاصي العمدية ولا تشمل الخطأ والنسيان.

(٢) أنظر اليوم الموعود ص٤٣٨.

فوجودهم أعلى وأقرب إلى الله سبحانه من الناحية التكوينية والمعنوية، لأنهم خير الخلق، وهم العلل العليا للكون بالأسلوب الهرمي الذي ذكرناه. فإذا نظرنا إلى تلك الدرجة، نجد أن تلك المرتبة العالية القريبة من الله تعالى لا بد وأن تكون منزهة من الذنوب والعيوب والقصور والتقصير مهما كان ضعيفاً أو قليلاً.

فإن قلت: فإن الروح العليا معصومة بلا شك، والكلام ليس في عصمتها، بل في الوجود الدنيوي للفرد المعصوم، والوجود الدنيوي ليس هو الروح العليا. فتكون روحه العليا معصومة، ووجوده الدنيوي ليس معصوماً.

قلنا: مادام هذا الوجود الدنيوي يمثل تلك الروح، فيكون معصوماً بعصمة روحه، لأنه يمثل الروح العليا.

فإن قلت: إن الوجود الدنيوي ليس دائماً يمثل الروح العليا، فالروح العليا إنما يمثلها عند الوصول إليها، والشعور بها، وليس حين يكون محجوباً عنها، والوصول إليها لا يكون إلا بالجهاد والسلوك. ومعنى ذلك أن يكون حدوث العصمة متأخراً نتيجة لفعل الخير وجهاد النفس وهو خلاف ما عرفناه سابقاً.

قلنا: نعم، إن الإنسان إنما تصل روحه إليه، أو يصل إلى روحه بالجهاد والسلوك الصعب، لكن هذا في العصمة الثانوية. وأما في العصمة الأولية، فمن الممكن القول إن الروح مفتوحة من الأول للفرد، فلا يحتاج التعرف إليها إلى سلوك، فالعصمة موجودة منذ الولادة. وذلك بعدة تقريبات:

التقريب الأول: إن تلك الارواح من العظمة والأهمية والتركيز بحيث لا تتخلف عن فتحها والتعرف عليها منذ حلولها في الجسد وهو جنين، بخلاف سائر الأرواح التي تكون أضعف من هذا المستوى بقليل أو بكثير. فتلك

الأرواح التي تكون أدنى، يكون السلوك إليها معقولاً، وأما هذه الأرواح العظيمة والمركزة فتنفتح دون سلوك[1].

التقريب الثاني: إننا نفهم ذلك من الآية الكريمة نفسها، لأنها تعيد الضمير إلى الشخص نفسه مرتين، فتقول: ﴿لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ﴾ وكذلك: ﴿وَيُطَهِّرَكُمْ﴾، لا أنها تعيد الضمير إلى مرحلة من حياته، والضمير ينطبق عليه منذ ولادته إلى موته. فالآية من هذه الناحية لها إطلاق، والتمسك بإطلاقها يقتضي ذلك، أي العصمة المستمرة.

التقريب الثالث: إن بعض المعصومين عليهم السلام تولى المسؤولية دون البلوغ كالجواد عليه السلام، والمهدي عليه السلام، ولا يحتمل أن يكون إماماً متحملاً لمسؤولية أهل البيت من دون عصمة، ولا يحتمل تأخير العصمة عن زمن الإمامة، ولا يحتمل تأخيرها إلى زمن البلوغ. حينئذ نقول: (الأمثال في ما يجوز وما لا يجوز واحد) أي أن المعصومين الآخرين عليهم السلام كانوا معصومين في زمن طفولتهم، فلا يحتمل اختصاصها في واحد دون واحد لأن الآخرين مثله في المستوى، فضلاً عن أهل الكساء الذين هم أفضل من الجميع.

التقريب الرابع: ما ورد في التأريخ من المميزات لهم حال طفولتهم، وهي مروية عن الجميع:

منها: إن شخصاً من أصحاب الحسن العسكري عليه السلام يقول: قلت للإمام من هو الخلف من بعدك؟ فدخل الإمام عليه السلام إلى البيت وأخرج طفلاً على

(١) المعروف عند أهل الذوق والمعرفة أن بعض الأفراد الإعتياديين يصلون من دون سلوك، وإنما يكون وصولهم فطرياً. وقد يعبر عنهم البعض بأنهم مجذوبون. فإذا أمكن ذلك لبعض البشر الإعتياديين فكيف لا يكون ذلك بالنسبة للمعصومين بالذات.

ذراعه، وقال: **(هذا هو الخلف)**، يقول فنطق الإمام المهدي عليه السلام قائلاً: **(عرفت الحق فلا تطلب أثراً بعد عين)**[١].

ومنها: ما ورد عن الإمام الجواد عليه السلام، وذلك إنه كان طفلاً صغيراً وكان إلى جانبه مجموعة من الأطفال يلعبون، فمر عليهم المأمون ومعه جماعة فهرب الاطفال إلا الإمام عليه السلام فقال له المأمون: لم لم تهرب مع الصبيان؟ فقال الإمام عليه السلام : ليس الطريق ضيقاً فأوسعه لك، ولم أعمل شيئاً أخافك منه. فمضى المأمون إلى الصيد فأرسل له طيراً فحلَّق بعيداً ثم رجع وفي فمه سمكة صغيرة. فأخذها المأمون من فمه ثم رجع فكان الإمام عليه السلام إلى جانب الأطفال، فلما أقبل المأمون هرب الأطفال وبقي الإمام عليه السلام وكانت السمكة في يد المأمون قابضاً عليها، فأراد أن يختبر الإمام عليه السلام عما في يده. فقال له: ما الذي في يدي؟ فقال الإمام عليه السلام ما مضمونه القريب: **(إن لله سبحانه في عالم قدرته بحاراً فيها أسماك تصادها بزاة الملوك لتختبر بها أولاد الأنبياء)**[٢].

ومنها: إن أمير المؤمنين عليه السلام كان يقول للعباس عليه السلام : قل: واحد فيقول: واحد. فيقول له: قل أثنين، فيقول: العباس عليه السلام : **(إني أستحي أن أقول اثنين بلسان قلت به واحداً)**[٣].

فإنه قد وصل إلى التوحيد الكامل من أول طفولته، فنقول: إن ما عند الأدنى عند الأعلى مع زيادة، أي أن المعصوم عليهم السلام أولى منه بذلك.

---

(١) أنظر كمال الدين وتمام النعمة للشيخ الصدوق ص٣٨٤، البحار ج٥٢ ص٢٤.

(٢) أنظر البحار ج٥ ص٩٢، كشف الغمة للأربلي ج٣ ص١٣٦، ينابيع المودة ج٣ ص١٢٥

(٣) نسبها السيد المقرم في كتابه العباس إلى خاتمة المستدرك للنوري ج٣ ص٨١٥ عن مجموعة الشهيد الأول.

ومنها: ما ورد عن الإمام الحسن عليه السلام أنه كان يذهب إلى بيت جده صلى الله عليه وآله فينزل الوحي على رسول الله صلى الله عليه وآله، وكان الإمام عليه السلام طفلاً فيسمعه ثم يذهب إلى أمه الزهراء عليها السلام فيروي ما سمعه لها، ودخل أمير المؤمنين عليه السلام في ذات يوم من إحدى الغزوات، فوجد الحسن عليه السلام يروي الوحي إلى أمه عليها السلام، فاحتضنه وقال: (**ذرية بعضها من بعض**)[1] وفي رواية أخرى أنه أقبل ليؤدي ما سمعه من الوحي إلى أمه عليها السلام فوقف ساكتاً، فقال له أبوه عليه السلام: لم سكت؟ فقال بما مضمونه: (**كيف أنطق وأنا بين يدي الله تعالى**)؟ فاحتضنه الإمام وقال: (**ذرية بعضها من بعض**)[2].

بقي الكلام في أمرين:

الأول: في درجة العصمة.

الثاني: في العصمة من الخطأ والنسيان.

لأن المشهور يفهم العصمة من آية التطهير، فهل تدل آية التطهير على العصمة من الخطأ والنسيان؟ فهل يمكن تقريب أطروحة لذلك أم لا؟

ينبغي أن نتذكر أننا قلنا في مناسبات سابقة: إن المعصومين عليهم السلام إنما هم معصومون عن الذنوب والعيوب العامة التي يتصف بها سائر الناس، ويكلفون بها حسب الشريعة الظاهرية. فهم معصومون منها لأنهم يرون وضوح القبح والصعوبة أمام الله سبحانه وتعالى، بحيث يتركونها بقناعتهم واختيارهم. ونحن لا نراها كذلك لتدنينا وبعدنا عن الواقعيات.

---

(١) أنظر مناقب آل أبي طالب ج٣ ص١٧٥.

(٢) أنظر المصدر السابق.

فإذا علمنا أن المتورعين والمتقين يرون الواجبات مهمة والمحرمات مهمة، وهو الهدف دينياً وإنسانياً، فكيف يكون عصيانها في نظر المعصومين عليهم السلام؟ فإنه يكون أقبح وأشد. فهي من الجميع قبيحة، ومنهم أقبح، فلا بد أن يتصفوا بالعصمة منها. ونحن إذا سرنا مع هذه القاعدة فسوف ينتج من ذلك، إن المعصومين عليهم السلام إنما هم معصومون من الذنوب العامة وليسوا معصومين مما فوقها. ومن هنا بدرجة من درجات تفكيري قلت: إنه توجد هناك توقعات منهم قد تعصى، أو سميتها: **(الذنوب الدقية)** لأنها ذنوب على مستواهم من التوقع والتفكير. فهم بالنسبة إلى التوقعات الخاصة برتبتهم ليسوا معصومين.

وإذا مشينا بهذا الطريق فسوف نصل إلى نتيجتين تقربهما كثير من ظواهر القرآن الكريم والسنة:

أحدهما: نسبة الذنوب إلى الأنبياء في القرآن الكريم، كآدم ويعقوب ويونس، بل حتى خير الخلق محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله. فهي ذنوب دقية وليست ذنوباً عامة.

فالمتوقع من يونس عليه السلام مثلاً أن يصبر أكثر، لكنه صبر أقل من المطلوب، فأبتلعه الحوت.

ثانيهما: اعترافات المعصومين عليهم السلام بذنوبهم في الأدعية. فهذا له عدة وجوه:

منها: التعليم للآخرين، فهم يستغفرون لكي نستغفر.

منها: إنهم فعلا يستغفرون من ذنوبهم الخاصة بهم، أما ما هي هذه الذنوب؟ فالله أعلم، فإنهم يعتبرونها من أسرارهم الخاصة.

مضافاً إلى فكرة أخرى: وذلك بأن يقال: إن مستويات العلة تختلف، وكذلك مستويات الكمال تختلف. فكلما ارتفع الإنسان في درجات التكامل، ازداد في درجة التوقعات منه، أي واجباته ومحرماته الخاصة به، وكلما كان كذلك كان معصوماً من الدرجة التي هو فيها. فلو كان عيسى عليه السلام أفضل من موسى عليه السلام في العصمة، وأعلى درجة في التكامل، فقد تصدر أشياء من موسى عليه السلام تكون جيدة، ولكنها إذا صدرت من عيسى عليه السلام تكون غير صحيحة، ولا تناسب شأنه.

ومن أمثلة ذلك أيضاً: إن المؤمن الإعتيادي، يمكن أن نعتبره معصوماً عن الذنوب الواضحة الضرورية، كالزنا وشرب الخمر وقتل المؤمن والسرقة. ولكنه غير معصوم من الذنوب التي تناسبه، كالكذب والغيبة وأكل حق الإمام عليه السلام بغير وجه شرعي وهكذا.

ومنه قصة الشريفين المرتضى والرضي، حيث يقال: إنه قدم لهما أبوهما كتاباً، وقال: أهديه لأحدكما ممن لم يعمل حراماً طول عمره. فقال كل منهما: إني لم أعمل حراماً. فقال: فإني أقدمه لمن لم يخطر في باله أن يفعل الحرام، فسكت أحدهما وقال الآخر: إني لم يخطر في بالي ذلك. فأعطاه له.

وبهذا ينتهي الكلام عن علاقة الحسين عليه السلام بأمه الزهراء عليها السلام .



علاقة الحسين عليه السلام بأخيه الحسن عليه السلام

والحديث هنا لا ينبغي أن يقع من الناحية الأسرية، وإنما ينبغي أن يقع في نقطتين:

الأولى: في إمامته عليه، مع العلم أنه مثله أو دونه.

الثانية: فيما قاله المفكرون المتأخرون من الإمامية، من أن صلح الحسن عليه السلام كان مقدمة لثورة الحسين عليه السلام، فهل هذا صحيح؟

النقطة الأولى: لا شك أن الحسن عليه السلام تولى الإمامة بعد أبيه، وهذا معنى يعترف به الخاصة والعامة، فقد كان في تلك الفترة هو الإمام المفترض الطاعة على كل البشر بما فيهم الحسين عليه السلام. وهنا يأتي الإشكال: بأن الحسن عليه السلام ليس أفضل من الحسين عليه السلام، بل هما مثلان، فكيف أصبح إماماً عليه؟ لأن الإمام لا بد أن يكون أفضل.

وجواب ذلك من عدة وجوه:

الوجه الأول: النقض بسائر الأئمة عليهم السلام فهذا حصل في كل الأئمة عليهم السلام. فإننا نعرف أنهم متساوون تقريباً، ومن نور واحد. ولكن مع ذلك قد صار الأب إماماً على ابنه إلى أن مات. فما تقوله هنا نقوله هناك.

فإن قلت: إن مورد النقض يختلف عن مورد الكلام، باعتبار الأبوة، وهي منتفية مع هذين الأخوين عليهما السلام .

قلنا: إن ولاية الأبوة وإن كانت شريفة، إلا أنها بسيطة ومتدنية بأزاء ولاية الإمامة. فحينئذ يلغى الفرق بين الأئمة عليهم السلام والحسن والحسين عليهما السلام لسقوط قيمة الأبوة من هذه الناحية، فيرجع النقض صحيحاً.

الوجه الثاني: الطعن بالقاعدة العقلية، فإن الإشكال ناشئ من قاعدة يؤمنون بها، وهي أن من القبيح جعل المفضول إماماً على الفاضل، فإننا نستطيع أن ننفي انطباق هذه القاعدة، من حيث أن هذا لم يحصل في المعصومين عليهم السلام وأما جعل المثيل، إماماً على مثيله، فهو مما لا يستنكره عقل ولا شرع.

الوجه الثالث: إن هذه القاعدة العقلية إن سلمناها، فإنما تنفذ في مورد عدم الأهلية، أي أن المفضول ليس أهلاً للإمامة، فإذا كان المفضول متدنياً جداً، قبح جعله إماماً على من هو أرفع منه بدرجة عالية. وأما مع حفظ الأهلية كما هي متوفرة فعلاً في أهل البيت عليهم السلام فلا مانع من جعل المفضول إماماً فضلاً عن المثيل.

الوجه الرابع: إننا لو تنزلنا جدلاً عن الوجوه السابقة، أمكن القول بنفي الولاية ووجوب الطاعة في هذا المورد، والحسن عليه السلام إمام على كل البشرية إلا الإمام الذي بعده، أو أي إمام بالنسبة إلى باقي الأئمة عليهم السلام . وإذا تعمقنا إلى حد ما، فإننا نستطيع أن نقدم جهلنا بوجه العلاقة الخاصة بين الامامين. ولم يرد في التأريخ أن الإمام السابق أمر الإمام اللاحق بشيء بنحو الولاية، وأن الثاني أطاعه. ومن الناحية العملية لا السابق يأمر ولا اللاحق يعصي، وكلاهما

موقف من مواقف الأدب تجاه الله سبحانه وتعالى.

الوجه الخامس: أن يقال: إن الامام المتقدم دائماً خير من الامام المتأخر، لا باعتبار أصل وجوده، بل باعتبار ما ورد: من أن المتأخر يعلم ما عند المتقدم عندما تصل روحه التراقي[1]. فينتقل ما عنده إلى ما بعده. إذن، فالثاني في حال وجود الأول لا يعلم ما عنده، فالأول أفضل من هذه الناحية، فتتعين له الإمامة والولاية. وهذا صحيح لو سلمنا به، وفيه بعض الروايات.

الوجه السادس: أن نتنزل عن كل ما سبق ونقول بالولاية الفعلية للمتقدم على المتأخر ما دام حياً، وهما مثيلان في المستوى الإلهي، فنقبله لثبوته بالتعبد الشرعي، بعد أن لم يكن قبيحاً عقلاً، فقد اقتضته الحكمة الأزلية لمصالح لا يعلمها إلا الحكيم المطلق.

الوجه السابع: في الإمكان أن يقال: إنه نحو امتحان للإمام المتأخر تجاه طاعة الله سبحانه وتعالى، بما فيهم الحسين عليه السلام تجاه أخيه الحسن عليه السلام، وذلك بأن يجد نظيره ومثيله في المستوى آمراً عليه، وولياً على حياته ومماته، ويجب عليه القبول والرضا بأمر الله سبحانه ورسوله صلى الله عليه وآله[2].

---

(١) فقد روي عن علي بن أسباط عن الحكم بن مسكين، عن بعض أصحابنا قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: متى يعرف الأخير ما عند الأول؟ قال: في آخر دقيقة تبقى من روحه. شرح أصول الكافي للمازندراني ج٦ ص٨٠.

(٢) يمكن لنا أن نضيف هنا وجهاً آخر: وحاصله إننا إذا نظرنا إلى حقائقهم النورانية العالية والتي يستحيل لنا الإحاطة بها، ولكننا يمكن أن نعلم إجمالاً بأن هذه الإثنينية التي نفرضها بينهم منتفية بحقهم بعد فناء ذواتهم بذات الله ولا آمر ولا متصرف حقيقة إلا الله سبحانه وتعالى. فحينئذ نقول: إن كل واحد منهم لا ينظر للآخر بالإستقلال ولا يرى لنفسه وجوداً أيضاً فارتفع الإشكال برمته. والكلام يشمل جميع الأئمة عليهم السلام فيما بينهم، بما فيهم الحسن والحسين عليهما السلام.

هل أن صلح الحسن مقدمة لثورة الحسين عليه السلام

النقطة الثانية: في ما قاله المفكرون المتأخرون من الإمامية ولعله قد أصبح من الضروريات في الفكر الشيعي بأن صلح الحسن عليه السلام مقدمة لثورة الحسين عليه السلام فهل الأمر كذلك أم لا؟ وما هو الوجه في هذه المقدمية؟

وينبغي الإلتفات هنا إلى أننا لسنا مضطرين حسب القواعد الشرعية المعروفة أن نقول بهذه المقدمية، بل يكفي فيه ما عليه المسلك التقليدي الإمامي القديم من أن كلاً منهما قد رأى المصلحة في زمانه ومكانه المعينين أن يقوم بما قام به. وأن المصلحة تلقَّاها بالإلهام عن ربه أو بالأمر من جده رسول الله صلى الله عليه وآله وقد أجازهما صلى الله عليه وآله في ذلك حين قال: **(الحسن والحسين إمامان قاما أو قعدا)**[1]. إذن، فكل منهما قد أدى المصلحة الوقتية التي رآها في زمانه بغض النظر عن الآخر.

وخاصة إذا التفتنا إلى أن هذه المقدمية إنما يصح قولها واثباتها إذا أحرزنا ردود الفعل والتصرفات من قبل جميع الناس من أصدقاء وأعداء وغيرهم بحيث تحصل كما حصلت فعلاً مع أن هذا لم يكن محرزاً في عصر الإمام الحسن عليه السلام بما فيه حصول يزيد على الخلافة وغير ذلك كثير.

(١) علل الشرائع ج١ ص٢١١، مناقب آل أبي طالب لابن شهر آشوب ج٣ ص١٦٣، البحار ج٤٣ ص٢٩١.

فإن قلت: إنه كان معلوماً في علم الله سبحانه وكان يعلمه الحسن عليه السلام.

قلنا: نعم، إلا أنه يمنع منهما مانعان:

أحدهما: الإختيار المعطى للإنسان من أصدقاء وأعداء ولا نقول بالجبر، فإذا كان الإختيار موجوداً كانت الإحتمالات عديدة، وإذا كانت الإحتمالات عديدة كان المستقبل مجهولاً.

ثانيهما: إحتمال حصول البداء، فإن كثيراً من الأشياء من أول الخليقة إلى آخرها نؤمن بحصول بالبداء فيها. فقد تحصل حوادث غير متوقعة. فإذا كان الولي يعلم أن التسلسل المعين سوف يكون إلى أن يقتل الحسين عليه السلام، فإن هذا كله قابل للبداء، فإذا كان كذلك كان المستقبل مجهولاً.

وفي الحديث عن أمير المؤمنين عليه السلام والدهما أنه قال: **(لولا آية في كتاب الله لأخبرتكم بما كان وما يكون إلى يوم القيامة، وهي قوله تعالى**: ﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾)[1].

فإن قلت: فإن الفكرة العامة للمجتمع كانت واضحة في ذهن الحسن عليه السلام وأنه سوف تؤدي نتائجه إلى ثورة الحسين ومقتله، ومن هنا أوجد صلحه.

قلنا: هذا نظر إلى المصالح الدنيوية والجانب الظاهري من المجتمع، ولا شك أن الإمام الحسن عليه السلام نظره أعمق من ذلك فهو يعرف الواقعيات بما هي، وإذا تعمقنا أكثر لم نعرف كيف ستكون النتيجة.

فإن قلت: فإن لكل نتيجة سبباً ولكل سبب سبب وهكذا، فيتعين أن يكون

---

(١) الإختصاص للشيخ المفيد ص٢٣٥، البحار ج٤ ص٩٧.

صلح الإمام الحسن(عليه السلام) واقعاً في سلسلة علل ثورة الحسين(عليه السلام).

قلنا: نعم، إلا أن هذه العلل غير خاصة بذلك، بل إن تولي يزيد الخلافة من جملة عللها، وكذلك إصراره على أخذ البيعة، وكذلك تعيينه لعبيد الله بن زياد وغير ذلك كثير.

مضافاً إلى أن هذا أمر كان يمكن إدراكه حين حركة الحسين(عليه السلام) أو بعدها، وأما قبلها فلم يكن متيسراً.

وهل بالإمكان القول: بأن الحسن(عليه السلام) صالح معاوية لأجل أن يتسبب في قتل أخيه الحسين(عليه السلام) بعد عشرة سنوات مثلاً؟!

فإن قلت: إن الحسن(عليه السلام) كان يعلم بوجود المصالح العظيمة التي سوف تترتب على حركة الحسين(عليه السلام) وثورته، ومن هنا كان راضياً بمقتل الحسين(عليه السلام). كما أن الحسين(عليه السلام) كان راضياً بمقتل نفسه. فلا يبعد أن يكون قد فعل الإمام الحسن صلحه من أجل أن يتسبب إلى قتل الحسين(عليه السلام)، ومن أجل أن يتسبب إلى المصالح المترتبة على مقتل الحسين(عليه السلام).

قلنا: نعم، إلا أن هذا الوجه غاية ما يثبت: العلم به والرضا به. وأما تسبيبه العمدي من أجل ذلك فلا. بل كان من أجل المصالح الوقتية في زمانه(عليه السلام). ولو قلنا بالتسبيب فإنما هو جزء العلة التكوينية في مجوع التسبيبات التي أدت إلى مقتل الحسين(عليه السلام)، فإن لكل شيء علة على أي حال.

فإن قلت: إنه لولا صلح الحسن(عليه السلام) لما حصلت ثورة الحسين(عليه السلام) لأنه جزء سببي مهما قل أو كثر. فهو مسبب بمعنى من المعاني ولو فلسفياً إلى ثورة الحسين(عليه السلام) كما أن الأسباب الأخرى موجودة، فيلزم من عدمه عدمه أي يلزم

من انعدام جزء العلة زوال المعلول مهما كان جزء العلة ضئيلاً. فيصدق فلسفياً أنه إذا لم يصالح الحسن عليه السلام معاوية لما حصلت ثورة الحسين عليه السلام، وإذا لم تحصل ثورة الحسين عليه السلام لم تحصل نتائجها المحمودة ومصالحها الكبيرة والعليا.

قلنا: إن جوابه من عدة وجوه:

الوجه الأول: إن هذا التعبير: وهو أنه لولا صلح الحسن عليه السلام لما حصلت ثورة الحسين عليه السلام ليس بأكيد، فلربما يجعل الله سبباً آخر بديلاً عن هذا السبب.

الوجه الثاني: إن المفكرين الإماميين يقولون: قد حصل شيء ناتج من صلح الحسن عليه السلام حتى استعمله الحسين عليه السلام في وقته. فهل حصل شيء من صلح الحسن عليه السلام ؟ وإنما هو مجرد صلح على ورق، فإن معاوية صعد بعده على المنبر وقال: ولقد عاهدت الحسن بأمور وهاهي تحت قدمي[1]. فإن معاوية لم يلتزم به. فإذا لم يُنتج شيئاً فكيف يقولون: إنه مقدمة لحركة الحسين عليه السلام.

الوجه الثالث: لو تنزلنا وقبلنا أنه لولا صلح الحسن عليه السلام لم تحصل ثورة الحسين عليه السلام، فقد نقول: إنه لا بأس أن لا تحصل ثورة الحسين عليه السلام، فيبقى الحسين عليه السلام وينفع الناس، وتترتب على ذلك مصالح أخرى كما تترتب على وجود سائر الأئمة عليهم السلام. والشيء الذي نعرفه أن الله تعالى يحفظ دينه على كل حال سواء صالح الحسن عليه السلام معاوية أم لا. وسواء ثار الحسين عليه السلام على يزيد أم لا.

(١) أنظر مقاتل الطالبيين ص٤٥، الإرشاد ج٢ ص١٤، مناقب آل أبي طالب ج٣ ص١٩٧.

فإن قلت: إنه لولا صلح الإمام الحسن عليه السلام لقتل كل الشيعة، ولأجل ذلك حصل الصلح. فإذا قتلوا لم تحصل ثورة الحسين عليه السلام لكونها سالبة بانتفاء الموضوع، ولم تحصل أي نتائج خير بعد ذلك. إذن، فصلح الحسن عليه السلام تسبب إلى حركة الحسين عليه السلام.

قلنا: إن هذا الوجه وإن كان مشهورياً مركوزاً في أذهان المتشرعة إلا أنه وحده لا يكفي ولا دليل عليه وذلك لأكثر من وجه واحد:

الأول: إننا نرى أن معاوية نقض العهد ولم يستطع مع ذلك قتل كل الشيعة.

الثاني: إن الله سبحانه وتعالى هو الحافظ لهم بصفتهم ممثلين للحق كما قال: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾[1]، وهذا ثابت سواء صالح الحسن عليه السلام معاوية أم لا.

الثالث: إن المظنون أن يكون المراد من الصلح تقليل الظلم عما هو موجود، لا دفع الزائد. فإن معاوية كان ذكياً ويدرك أن الزائد ليس في مصلحته.

مضافاً إلى أمر آخر مهم، وهو يتوقف على مقدمة وحاصلها أن لكل من هذين الإمامين الجليلين أهدافاً في عملهما بلا شك، أو بتعبير آخر أدق أن نقول: إن لله سبحانه أهدافاً من عملهما، وهما عالمان بتكليفهما الشرعي وقائمان به لنيل رضا الله وطاعته. فالهدف الحقيقي إنما هو منسوب إلى الله تعالى. فإذا نظرنا إلى مجموعة الأهداف المحتملة للحسن عليه السلام والاهداف المحتملة للحسين عليه السلام نرى أن نسبة هذه الأهداف بعضها إلى بعض على ثلاثة

(١) الحجر ٩.

مستويات:

المستوى الأول: أن يكون الهدفان متباينين لا ربط لأحدهما بالآخر فلا يصح أن يكون أحدهما مقدمة للثاني، كما هو الحال على التصور المشهوري للهدفين. فإن هدف الحسن عليه السلام هو حفظ الشيعة وعنصر الحق وإلا لأبادهم الظالمون، ولا أقل من أن من المحتمل أن يقتل نفس الحسن والحسين عليهما السلام فإذا قتلا يندثر الحق.

وهذا ما لا يراد بكل صورة، والأئمة عليهم السلام قدَّموا كل المقدمات وتنازلوا جملة من التنازلات وضحوا جملة من التضحيات في سبيل حفظ أهل البيت عليهم السلام واستمرار الأئمة عليهم السلام بما فيه عدم محاربة أو مشاركة زين العابدين عليه السلام.

وأما هدف الحسين عليه السلام على الأطروحة المتعارفة فهو إبراز أهمية الدين، وإمكان التضحية له بهذا المقدار العظيم. فهما متباينان باصطلاح المنطق وإن كانا مشتركين في جانب طاعة الله تعالى، فلا ربط لأحدهما بالآخر ليكون مقدمة له.

المستوى الثاني: أن يكون الهدفان متساويين أو قل: إن أحدهما عين الآخر، فلا يصح أن يكون أحدهما مقدمة للآخر، بدليل على أنه لو كان العكس لصحت المقدمية أيضاً. كل ما في الأمر أن أحدهما قبل الآخر وجوداً في خلقة الله سبحانه، وقد تشاركا لإيجاد هدف واحد فقط. وهذا ينطبق على عدة أهداف محتملة أو على عدة أطروحات مثل: فضح خيانة ولا إنسانية المعسكر الأموي، وكل أعداء الحق على مدى التأريخ، وبذلك يفشل الخصم على مدى التأريخ عن كسب الأنصار له والدعوة إلى نفسه عن طريق الجدل

النظري، وسيكون الحق النظري في جانبهما بوضوح ما لم يكن الفرد طالباً للدنيا.

ومثل: أن يكون هدفهما معاً إبراز أهمية الدين بدرجة عالية بحيث لا يعتنى بأزائه بالأمور الشخصية مهما كانت واضحة إجتماعياً ودنيوياً، كالتنازل إلى الأعداء من ناحية أو الإبادة من ناحية أخرى. وهما أقوى الحوافز الدنيوية التي قد تقع حجر عثرة دون انتصار الدين خلال الأجيال. فقد تصدى سبطا رسول الله صلى الله عليه وآله بأنفسهما لدحض هذا الإحتمال.

وهذا هدف مشترك ولكن كل واحد منهما أعطاه في صورة غير الصورة الأخرى. فمثلاً نقول إن الصورة التي أعطاها الحسن عليه السلام أنه لا يمكن أو لا ينبغي الحفاظ على هذا التكبر والسمعة، فحتى لو سحقت السمعة بالأرجل فهي في سبيل إرضاء الله تعالى. أما الصورة التي أعطاها الحسين عليه السلام فهي أنه لا ينبغي الحفاظ على الذات ولا على المال ولا على الأسرة إن كان ذلك يرضي الله تعالى. وهذا لا يعني المقدمية، فلو كان العكس حاصلاً لأمكن حصول نفس الهدف.

المستوى الثالث: أن يكون هدف الإمام الحسن عليه السلام سنخ هدف يصلح أن يكون إعداداً واستقراراً أو مقدمة لثورة الحسين عليه السلام. وهذا الحال أيضاً ينطبق على بعض الأطروحات:

منها: أن يكون هدف الإمام الحسن عليه السلام حفظ الشيعة، أو قل: حفظ أكبر عدد منهم. وحينئذ تم حفظهم بالصلح فاستطاع الإمام الحسين عليه السلام أن يقدمهم في ثورته وحركته. وهذا هو أوضح الإتجاهات المركوزة في أذهان المتشرعة التي تتحدث عن المقدمية. ولكن يمكن الجواب عنه: بأن هذا

صحيح لو كان الصلح قد انطبق فعلاً أما بعد أن رفضه معاوية فلا معنى لحصوله.

فإن قلت: فإن الحسن عليه السلام قد سعى بمقدار وسعه وإمكانه لأجل ذلك، وهو معاهدته المعروفة وليس في وسعه أخذ القبول الكامل والمستمر من خصمه.

قلنا: نعم، ولكن ذلك لا يكفي للمقدمية لوضوح أن هدف الإمام عليه السلام ينبغي أن يحصل لتحصيل نتيجته وهي ثورة الحسين عليه السلام، وأما إذا حصلت الخيانة من الطرف الآخر ولم يحصل الهدف، إذن فهذه المقدمية لم تحصل عملياً وإن حاولها الحسن عليه السلام.

ومنها: تربية إيمان المؤمنين من قبل الإمام الحسن عليه السلام لأجل أن يحصل جيل متكامل يستطيع أن يجاهد بين يدي الحسين عليه السلام.

وهذا النحو من الفهم له نحوان من الإنطباق: إنطباق مطابقي وإنطباق إلتزامي.

أما الإنطباق المطابقي فهو ظاهر القائل بذلك من حيث أنه يرى الصلح بنفسه أوجب زيادة درجات الإيمان للمؤمنين في المجتمع بحيث أُعد لثورة الحسين عليه السلام إلا أن هذا قابل للمناقشة من عدة جهات:

١- إنه عهد إجتماعي وليس موعظة إيمانية ليلزم منه ذلك.

٢- إنه لو كان منطبقاً ومنفذاً لصح ولكنه لم ينطبق إطلاقاً.

٣- إنه لو كان أثّر في هداية الناس لنجحت ثورة الحسين عليه السلام دنيوياً وسيطر على يزيد وأخذ الحكم، ولما خانه الشيعة بالكوفة، ولما خانوا مسلم

بن عقيل عليه السلام وقالوا لأفرادهم: (ما شأنك والدخول بين السلاطين)[١]، وكل ذلك لم يحصل. إذن، فلم يكن هو الهدف الحقيقي للإمام الحسن عليه السلام لاستحالة تخلف الهدف الحقيقي المقصود كما قلنا في كتاب الأضواء[٢].

وأما الإنطباق الإلتزامي فباعتبار أنه أوجد بعض الأمور التي أوجبت زيادة البلاء ضد المؤمنين كرد فعل معاكس من قبل المعسكر المعادي ونحو ذلك، وكل بلاء دنيوي فهو موجب لتكامل البعض لا أقل. فقد حصل الإعداد في التكامل لثورة الحسين عليه السلام عن هذا الطريق.

وجوابه:

١- إنه ليس هو المقصود للقائلين بالإعداد بلا شك.

٢- إن هذا الإعداد غير خاص به، بل كل الحوادث المضادة للمؤمنين والتي كانت تحدث يومئذ كفيلة بذلك، ابتداء بيوم السقيفة فما بعده من قتل الزهراء عليها السلام وقتل الحسن عليه السلام وغير ذلك.

إذن، صح ما قلناه من أننا غير مضطرين للإيمان بهذه المقدمية، أو قل: إنها مما لا برهان عليها من كتاب ولا سنة ولا إجماع ولا عقل. ولكننا مع ذلك لا نستطيع نفيها إذ لا برهان على عدمها أيضاً، فتبقى أطروحة محتملة طيبة على أي حال.

ونستطيع أن نطبق إحتمال ذلك على كل الأهداف التي ذكرناها في المستويات الثلاثة السابقة:

---

(١) أنظر الفوائد الرجالية للسيد بحر العلوم ج٤ ص٣٧.

(٢) أنظر الأضواء ص٥٨.

أولاً: إذا كان هدف الإمام الحسن عليه السلام حفظ الشيعة عن الإبادة فيمكن أن يكون الغرض له حفظهم لنصرة الحسين عليه السلام.

إما بمعنى أن لا يبادو جميعاً فتكون حركة الحسين عليه السلام سالبة بانتفاء الموضوع، أو بمعنى أن يبقى منهم عدد كبير ينصر الحسين عليه السلام في طف كربلاء.

ثانياً: إنه إن كان هدف الإمام الحسن عليه السلام فضح المعسكر الآخر كما هو هدف الحسين عليه السلام كما قلنا في أطروحة سابقة، فالأول منهما متقدم خلقياً وتأريخياً بمشيئة الله تعالى على الآخر، فهو بمنزلة المقدمة للآخر. وإن صح أنه لو كان العكس لكانت ثورة الحسين عليه السلام مقدمة لصلح الحسن عليه السلام. إلا أن الحسن عليه السلام ما دام مخلوقاً في الجيل الأسبق، إذن فله المقدمية والإعداد.

ثالثاً: إنا نقول نفس الشيء فيما إذا كان هدفهما معاً إبراز أهمية الدين وعظمته أزاء تحمل العناوين الثانوية والبلاء الدنيوي. فمن يكون متقدماً زمانه من المحتمل أن يكون معداً لمن هو متأخر عنه.

رابعاً: أن يكون هدف الإمام الحسن عليه السلام تربية إيمان المؤمنين ليشاركوا في ثورة الإمام الحسين عليه السلام وقد حصل في البعض، كهؤلاء الذين جاؤوا معه وقتلوا معه وهذا يكفي. ونحن نعلم أن عمق الإيمان لا يمكن أن يحصل للكثيرين إلا نادراً.

وهناك أطروحات أخرى للمقدمية نستطيع أن نسميها سلبية لم يذكرها المشهور:

أولاً: أن يقال: إن صلح الحسن عليه السلام أوجب رد فعل في المعكسر الآخر أو زيادة في الظلم والإضطهاد بحيث حصلت المصلحة في نظر الحسين عليه السلام

لبدء حركته.

ثانياً: أن يقال: إن الإمتحان الإلهي الذي أوجد صلح الحسنعليه السلام وإن أوجب قوة الإيمان لدى البعض، إلا أنه أوجب ضعفه في الكثيرين. بل في عدد ممن كان يعد نفسه من الخاصة والموالين. ومن هنا ضعف إيمان الشيعة نسبياً فحصلت المصلحة لثورة الحسينعليه السلام ليريهم أهمية الدين والإيمان.

ثالثاً: إن صلح الحسنعليه السلام كان (ظاهراً) نحواً من التنازل لمعاوية بالملك والإمامة كما عليه المسلك التقليدي لدى العامة، حيث أنهم يعتبرون الحسنعليه السلام إماماً خامساً لكنه تنازل إلى معاوية وانقطعت إمامته. إذن، سيكون ذلك اقراراً للمسلك العام للخلافة المدعاة لمعاوية وأمثاله. أو قل: إقراراً لخلافة الأمويين عموماً، وإن لم يكن ذلك مقصوداً حقيقة. فحصلت المصلحة لثورة الحسينعليه السلام في أن يبرهن عملياً على شجب ذلك وإنكاره في المذهب.

رابعاً: إن صلح الحسنعليه السلام ربما أوجب ظاهراً أن الموالين للأئمةعليهم السلام ضعفاء ومتخاذلون إلى حد يكونون على استعداد للمصالحة مع عدوهم، بالرغم من كونهم يعتقدون به معتدياً ظالماً. فاقتضت المصلحة للحسينعليه السلام إثبات التجربة بخلاف ذلك يقيناً.

وإلى هنا يمكن أن نكتفي بهذا المقدار من الحديث عن علاقة الحسينعليه السلام بأخيه الحسنعليه السلام وينتهي الحديث عن ذلك العنوان وهو علاقة الحسين بمن قبله.

علاقة الحسين عليه السلام بمن معه

وهنا نعرض سؤالاً مشهوراً وهو أن هناك أناساً صالحين مشهود لهم بالوثاقة، كانوا أحياءً عند واقعة الطف، ومع ذلك لم يحضروها، ومقتضى القاعدة أن يكونوا مشمولين لقوله عليه السلام : **(من سمع واعيتنا فلم ينصرنا أكبه الله على منخريه في النار)** مع أنهم لا يحتمل فيهم ذلك لمدى إيمانهم وإخلاصهم، ويسمي الفكر التقليدي بهذا الصدد (عبد الله بن جعفر) زوج زينب بنت علي عليه السلام على المشهور والمنقول، و(محمد بن الحنفية) و (ميثم التمار) و(المختار الثقفي). فكلهم كانوا أحياءً ولم يحضروا واقعة الطف مع العلم أنهم متدينون ومتشرعون ومتفقهون، فلماذا لم ينصروا الحسين عليه السلام في واقعة الطف؟

ويجيب الفكر التقليدي بأنهم جميعاً كانوا معذورين عن الحضور. فأما عبد الله بن جعفر فكان أعمى، والأعمى يسقط عنه الجهاد. وأما محمد بن الحنفية فكان ضعيف الساعدين لا يستطيع أن يضرب بالسيف، وقد نقل أنه كان قوياً فأصابته عين فضعف عن القتال[١]. وأما ميثم التمار والمختار فكانا مسجونين بسجن عبيد الله بن زياد في الكوفة[٢] حيث قام بحملة ضد مسلم بن عقيل عليه السلام وأصحابه.

---

(١) الأنوار العلوية ص٤٣٨.

(٢) ذوب النضار لابن نما ص٦٩.

أقول: أما أصل العذر فهو محرز، ولا ينبغي المناقشة فيه، كما أن عدم مشاركتهم في واقعة الطف بالرغم من وجودهم في ذلك العصر فهو من القطعيات، ولا يحتمل أنهم شاركوا ولم يصل الخبر. لأن خبرهم وصل بوجودهم بعد واقعة الطف كميثم الذي صلب في وقت متأخر من ذلك الحين، والمختار الذي أخذ بثأر الحسين عليه السلام.

ولكن مع ذلك يمكن المناقشة بالمبرر السابق التقليدي بعد الإلتفات إلى أن هؤلاء الأربعة على قسمين: اثنين منهم بالمدينة: وهما عبد الله بن جعفر ومحمد بن الحنفية، واثنين بالكوفة: وهما المختار وميثم. فلكل قسم حديثه الخاص به.

أما الإثنان اللذان في المدينة فلا يحتمل أنهما لم يعلما بحركة الحسين عليه السلام بل كانا معا ممن تحدث مع الحسين عليه السلام في عدم الخروج. إلا أن وجه العذر في عدم خروجهم معه أحد أمور:

الأول: العذر المذكور سابقاً، وهو الذي عرضه الفكر التقليدي.

الثاني: إن الحسين عليه السلام كلفهما بالبقاء بالمدينة بالوكالة عنه لقضاء حاجات المؤمنين ريثما يرجع، أو يرجع الإمام الذي بعده. وهذا وإن لم يثبت بدليل معتبر الا أنه راجح، لأنهما كانا أكثر الموجودين من بني هاشم وجاهة وعمراً وتفقهاً.

ثالثاً: إنهما وإن علما بخروج الحسين عليه السلام إلا أنهما لم يكونا يتوقعان ما حصل من نتائج، وهذا أمر مضنون وإن لم يكن أكيداً. ولا أقل أنهما يسليان أنفسهما باحتمال نجاح الحسين عليه السلام في حركته دنيوياً، وعدم مقتله، وأنهم يحملون عزمه الأكيد على الذهاب على نحو من التخطيط للإنتصار على الصعيد المادي الدنيوي.

مضافاً إلى نقطة أخرى، وهي أنه ليس من المفروض أن يأخذ الحسين عليه السلام معه جميع المؤمنين على الإطلاق لمجرد حصول حاجته إليهم بعد ذلك.

وأما حين يقوى احتمال مقتله بعد حادثة الحر الرياحي، فلم يصل الخبر إلى المدينة، وكانوا جاهلين ومعذورين عن ذلك. وحتى لو فرضنا وصوله فلم يكونوا يدركون الذهاب إليه مع صعوبة وسائط النقل، كما لم يكونوا يعلمون منطقة تواجده لكي يصلوا إليه.

إلا إن هذا الوجه قابل للمناقشة من أكثر من نقطة واحدة:

١- إن الوجه الذي قلناه وهو أنهما لم يكونا متوقعين النتائج التي حصلت ليس بصحيح. لأنه كان يصرح بحصول مقتله عليه السلام[(١)].

٢- إن هذا الذي زعمناه وهو إنه ليس المفروض خروج كل المؤمنين معه أيضاً ليس بصحيح، فإن المفروض خروج جميع المؤمنين معه. ولذا نجده يقول: **(خط الموت على ولد آدم مخط القلادة على جيد الفتاة)** إلى أن قال: **(ألا من كان باذلاً فينا مهجته موطناً على لقاء الله نفسه فليرحل معنا. فإني راحل مصبحاً إن شاء الله)**[(٢)]. وقوله: **(فليرحل معنا)** أمر إلزامي عام لكل المؤمنين.

والمفروض بهم الطاعة، كما أن المفروض بكل واحد منهم أن يكون باذلاً مهجته موطناً على لقاء الله نفسه، إلا أن أمثال هؤلاء في الواقع قليلون. ومن هنا يجب على هذين الرجلين وغيرهما أن يخرجوا معه، فيسقط هذا الوجه

---

(١) أنظر المحتظر لابن سليمان الحلي ص٤١، البحار ج٤٤ ص٣٦٤، اللهوف في قتلى الطفوف لابن طاووس ص٤٠.

(٢) شرح الأخبار للقاضي المغربي ج٣ ص١٤٦، المسائل العكبرية للشيخ المفيد ص٧١، مثير الأحزان لابن نما الحلي ص٢٩.

للعذر ويبقى الوجهان السابقان.

وأما المختار الثقفي فالظاهر أن العذر فيه صحيح، لمشاركته فعلاً مع مسلم بن عقيل عليه السلام في حركته، ونحن نسمع من التأريخ أن مسلم بن عقيل عليه السلام نزل أولاً في دار المختار الثقفي، ثم أنتقل إلى دار هاني بن عروة بعد مجيء عبيد الله بن زياد باعتباره أقوى عشيرة وأنصاراً وسلاحاً. فكان قبل ذلك في دار المختار وهو الذي يتولى شؤون مسلم بن عقيل عليه السلام.

وعلى أي حال، فمن الطبيعي أن يسجن فيمن سجن بعد مقتل مسلم عليه السلام[1]، ولم تكتب الشهادة للمختار كما كتبت لهاني عليه السلام. لكونه أقل مشاركة منه. في حين أن لهاني اليد الطولى في الدفاع عنه وإخفائه في داره.

وأما ميثم التمار فمشاركته لحركة مسلم عليه السلام احتمالها ضعيف، باعتبار عدم وصول اسمه خلالها، مع وصول عدد معتد به من الأسماء من كلا العسكرين. ومن ثم فالنتيجة المذكورة له تكون ضعيفة أيضاً، وهو كونه مسجوناً في سجن بن زياد بعد حركة مسلم عليه السلام. فما هو وجه سجنه إن لم يكن مشاركاً؟ ومن ثم يكون التمسك بهذا العذر له ضعيفاً.

إلا أن هذا الرجل ممن يتعين حمله على الصحة والتصرف المشروع، لما نعرف من إخلاصه وارتفاع شأنه، وخاصة في المنقول من تصرفه خلال شهادته، فإنه كان يروي فضائل أمير المؤمنين عليه السلام ويداه ورجلاه مقطوعتان إلى أن قطعوا لسانه[2]. ومن ثم تكون لعذره أطروحات أخرى:

الأطروحة الأولى: إن المشهور وإن كان هو شهادة ميثم بعد واقعة الطف،

(١) أنظر الأعلام للزركلي ج٧ ص١٩٢.

(٢) أنظر روضة الواعظين للنيسابوري ص٢٨٩.

إلا أن الخبر في ذلك ضعيف. فلعله قتل قبل ذلك كما قتل جماعة من المؤمنين كحجر بن عدي وغيرهم. ومعه لم يكن حياً في واقعة الطف ليشارك فيها.

الأطروحة الثانية: إنه بالرغم من اشتهار حركة الحسين عليه السلام في المنطقة بين مكة والمدينة والكوفة والبصرة، إلا أن ميثم عليه السلام كان في الأعراب في منطقة نائية لا تصلها الأخبار، وهي أطروحة محتملة سمعتها من بعض الفضلاء السابقين. ولعل أفضل ما فيها أنها الوجه الرئيسي لإمكان حمله على الصحة، بعد سقوط الوجوه الأخرى. وعلى أي حال فهي تكفي للإحتمال المبطل للإستدلال ضده، وإن لم نكن نستطيع أن نثبتها تأريخياً.

الأطروحة الثالثة: إن ميثم عليه السلام كان ممن يعلم علم المنايا والبلايا، ولا أقل أنه كان يعلم السبب في مقتل نفسه، ويرويه عن سيده وإمامه أمير المؤمنين عليه السلام، وكان يسقي الشجرة التي أشار إليها بأنه يصلب عليها، وكان يقول لها: (**خلقتِ لي وخلقتُ لك**)[1]. وعندئذ فهو يعلم أنه في قضاء الله وقدره الحتمي أن يكون موته هنا في محله الموعود، ولا يحتمل أن يكون في كربلاء ولا في أي مكان آخر، وكأنه فهم أيضاً عن أمير المؤمنين عليه السلام أن المسألة غير قابلة للبداء، أو أنه لم يكن ملتفتاً إلى البداء.

فكان طيب القلب من هذه الناحية، معتمداً على بشارة أمير المؤمنين عليه السلام له بالشهادة، ولا تفرق الشهادة في نظره بين هذه أو هذه. وخاصة إذا التفتنا إلى احتمال أنه لم يسمع قول الحسين عليه السلام: (**من سمع واعيتنا ولم ينصرنا أكبه الله على منخريه في النار**)، علماً أن هذه الكلمة قالها الحسين عليه السلام في كربلاء أمام الجيش المعادي، فكيف تصل إلى مسامع ميثم وأضرابه في الكوفة، إلا

(١) أنظر روضة الواعظين للنيسابوري ص٢٨٨، خصائص الأئمة للشريف الرضي ص٥٤.

بعد أن يكون الحسين عليه السلام قد قتل[١].

الأطروحة الرابعة: إن عاطفته تجعله منشداً إلى ولاية أمير المؤمنين عليه السلام خاصة دون غيره من الناس، حتى أولاده. وربما يرى الفرق بينهم كبيراً فلا يرى لهم أهمية بازاء عظمة الولاية العلوية، ولا يريد لها بديلاً حتى لو كان هو الحسين عليه السلام.

مضافاً إلى أنه إن حصل له أي ذنب في التخلف عن الحسين عليه السلام ، فقد غسله في شهادته. مضافا إلى ما يروى: **(حب علي شجرة من تمسك بغصن من أغصانها نجى)**[٢]. **وقوله: (حب علي حسنة لا تضر معها سيئة)**[٣] وقد كان ميثم أوضح مصاديق المحبين له عليه السلام.

الأطروحة الخامسة: إنه يعرف تكليفه الخاص بعدم الخروج لنصرة الحسين عليه السلام بالإلهام، كما قلنا: بأن الخاصة من المؤمنين يأتيهم الإلهام من الله سبحانه. وهو تكليف خاص به وعذر خاص به شخصياً، ولعل المصلحة فيه نفوذ نبوءة أمير المؤمنين عليه السلام في شهادته، والإحتمال قاطع للإستدلال[٤].

---

(١) تدل الروايات على أن الحسين عليه السلام قال هذه الكلمة في الطريق إلى العراق، ولكنه تكلم بها في مجلس مختصر. فبعضها يدل على أنه قالها لعبيد الله ابن الحر الجعفي حينما دعاه إلى نصرته في القطقطانة وهو موضع قرب الكوفة كما في أمالي الصدوق ص٢١٩، والبعض الآخر يدل على أنه قالها لعمر بن قيس المشرفي وابن عم له في قصر بني مقاتل كما في البحار ج٢٧ ص٢٠٤. وعلى أي حال فالمجتمع بعيد عنهم فلم يسمع هذه الكلمة، بما فيهم ميثم رضوان الله عليه.

(٢) أنظر شرح الأخبار للقاضي المغربي ج١ ص٢٢٣.

(٣) كتاب الأربعين للماحوزي ص١٠٥، ينابيع المودة للقندوزي ج٢ ص٧٥.

(٤) وإذا كان لديه تكليفه الخاص الذي تلقاه عن طريق الإلهام أو بالرواية عن أمير المؤمنين عليه السلام، فإننا نقول بأنه إذا تعارض الأمر الظاهري مع الأمر الباطني أو الخاص فإنه يقدم الأمر الباطني لأنه أخص، ولأنه جاء لمصلحة عليا قد لا تأخذها التكاليف العامة الظاهرية بنظر الإعتبار.

علاقة الحسين عليه السلام بمن بعده

نتحدث الآن عن علاقة الحسين عليه السلام بمن بعده، أو قل علاقتهم به بعد أن يكون قد فارق الدنيا من الناحية العملية. غير أن العلاقة المعنوية والعاطفية تبقى موجودة، ومتأججة بالقلوب على مدى التأريخ. وهي إحدى المزايا العظيمة والعجيبة التي وهبها الله سبحانه للحسين عليه السلام لشهادته وصبره. وأعتقد أنها موهوبة له بإرادة خاصة من قبل الله سبحانه وتعالى، يعني أنها نحو من أنحاء المعجزة. ويكفي أن نلتفت إلى أن سمعته الطيبة مما يشهد بها كل البشر على الإطلاق من مختلف أديانهم وثقافاتهم وطبقاتهم إلا من شذَّ وندر. أما الشيعة والموالون فلهم في ذلك خصوصية زائدة، كما نقل عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: **(إن لقتل الحسين حرارة في قلوب المؤمنين لا تبرد أبداً)**[1].

وهذه من النعم عليه وعلى شيعته وعلى كل فرد منهم، لأنها باب مهم يدخلون منه إلى طاعة الله سبحانه، وتنفيذ شعائر الدين. ولولا هذه الحرارة للشيعة لتسامحوا في أمر الحسين عليه السلام وتغافلوا عنه وتركوا شعائره، بصفتها أحد المستحبات التي يجوز تركها.

ولا أقل أن شأنه في ذلك يكون كشأن غيره من الأئمة عليهم السلام. في حين قلنا

(١) مستدرك الوسائل للنوري ج١٠ ص٣١٨.

في الأضواء إن كل مجلس عزاء لأي إمام لا يكون جميلاً وجامعاً للشرائط ما لم يقترن بذكر الحسين عليه السلام[١]. كما أنني قلت: إن الاحساس يؤيد ذلك، ولذا نجد العاطفة في العشرة الأولى من محرم تتصاعد فعلاً في القلوب ويميل الفرد إلى البكاء وإيجاد هذه الشعائر بشدة وهمة، وهو أمر عجيب ليس له تفسير الا تأييد الله وعنايته.

وعلى أي حال فالظاهر إن أول الحركات التي حصلت بعد ثورة الحسين عليه السلام وانتسبت إليه فعلاً اثنتان: حركة التوابين وحركة المختار الثقفي. فلا بد أن نحمل عنهما في ما يلي فكرة كافية.

وحسب نقل التأريخ، فإن حركة التوابين حصلت قبل حركة المختار، سنة خمسة وستين أي بعد واقعة الطف بأربع سنوات، بقيادة سليمان بن صرد الخزاعي وكان هدفهم إزالة عبيد الله بن زياد عن الكوفة وإسقاطها بأيديهم[٢].

إلا أن هدفهم المعنوي أرفع وهو نيل الشهادة للتكفير عن الذنب الذي يشعرون به من أنهم تركوا نصرة الحسين عليه السلام. ولم تبق حركة التوابين طويلاً، واستطاع المعسكر المعادي، أو الدولة يومئذ من السيطرة على الحال والإجهاز على التوابين، وقتل سليمان بن صرد وأصحابه[٣].

وهذا المعنى ثابت تأريخياً، وأنهم اتفقوا فيما بينهم لأجل ذلك، جزاهم الله خيراً. وسليمان بن صرد من المخلصين والمتعاونين مع مسلم بن عقيل عليه السلام لكنه لم يوفق لأن يكون مع الحسين عليه السلام ولا نعلم السبب فيه.

---

(١) أنظر الأضواء ص٨٤.

(٢) أنظر البحار ج٤٥ ص٣٥٨، تأريخ الطبري ج٤ ص٤٢٦.

(٣) أنظر ذوب النضار لابن نما الحلي ص٧٣، البحار ج٤٥ ص٣٥٥، تأريخ اليعقوبي ج٢ ص٢٥٧.

والشيء الرئيسي الذي ينبغي الإشارة إليه أنهم لم يستأذنوا من أحد في حركتهم في حين أن المختار أخذ هذا بنظر الإعتبار، وكان إخلاصهم واندفاعهم وعاطفتهم جعلتهم يقدمون من دون الإلتفات إلى الإستئذان. وكأنهم استأذنوا من سليمان نفسه، وهو ليس بقاصر. فهو مؤمن ومتفقه ومتعاون مع أصحاب الأئمة عليهم السلام كمسلم بن عقيل عليه السلام.

وينبغي الإلتفات أيضاً إلى هذه النقطة وذلك أنهم بعد أن ظهرت إمارات الفشل لحركتهم اجتمعوا وقالوا: بأننا نحارب لا لأجل حب الدنيا، والمهم أن نموت في سبيل الله تعالى، ولأجل التوبة من عدم الحضور في طف كربلاء[١].

وأما حركة المختار فبدأت بعد حركة التوابين مباشرةً، وهي أوسع وأقوى. وبدأ في العام الذي يليه سنة ست وستين. حتى باشر المختار الحكم واستطاع أن يقاتل أهل الشام، وأن يستدعي بقتلة الحسين عليه السلام فرداً فرداً ما استطاع إليه سبيلاً، ويقتلهم في نفس الطريقة التي فعلوا فيها. ومنهم عمر بن سعد وحرملة بن كاهل وعبيد الله بن زياد وغيرهم[٢].

وبحسب فهمي فإن الحكمة تقتضي ذلك، يعني ضعف حركة التوابين لينالوا الشهادة كما طلبوها، ولو كانوا أقوياء لما استشهدوا. وقوة حركة المختار ليستطيع أن يباشر الإنتقام الفعلي من قتلة الحسين عليه السلام، وإلا فمن الواضح أن جمعهم والبحث عنهم ومباشرة قتلهم مع كون الدولة الرئيسية إلى جانبهم وهي حكم الأمويين، ليس بالأمر السهل، ولا يستطيع ضعفاء الناس القيام به.

---

(١) أنظر تفصيل الحادثة في المصادر المذكورة في الهامشين آنفاً.

(٢) أنظر أمالي الطوسي ص٢٤٠، ذوب النضار لابن نما الحلي ص١٠١، البحار ج٤٥ ص٣٣٣.

في إخلاص المختار

تبقى كلمة، فيما قد يثار من التشكيك في إخلاص المختار﵁ ، وأن حركته فيها إشكالان:

أحدهما: إنه اعتمد في أخذ الإذن من محمد بن الحنفية﵁ وليس من السجاد﵇ وبذلك اتهم أنه من الكيسانية الذين يؤمنون بإمامة محمد بن الحنفية ومهديته على ما في بعض النقول[١].

ثانيهما: إنه حاكم طالب للدنيا، بدليل أنه لم يسلم حكمه لأهل الحق، بما فيهم زين العابدين﵇ .

وهنا ينبغي النظر إلى عدة مستويات:

المستوى الأول: إنه لا شك أنه مخلص بدرجة معتد بها، حيث شارك مسلم بن عقيل في حركته، وأعانه على أهدافه. وهو يعلم أن من نتائج ذلك السجن أو القتل، لأن الحكم الحقيقي لم يكن بيدهم، بل بيد أعدائهم. وقد تحمَّل السجن عدة سنوات ثم طالب بثأر الحسين﵇ ولم يكن ذلك شكلياً،

(١) أنظر من لا يحضره الفقيه ج٤ ص٥٤٣، شرح أصول الكافي ج٨ ص٩، شرح الأخبار للقاضي المغربي ج٣ ص٣١٥.

لأنه لو كان كذلك لما كانت هناك همة لقتل قتلة الحسين عليه السلام، مع إنه كان متحمساً إلى هذه الجهة ومهتماً بها. مضافاً إلى أنه قتل في سبيل عمله، ولو كان طالباً للدنيا لكان في الأولى أن يصالح أو يهادن أو يتنازل أو يختفي على أقل تقدير، ولم يفعل.

المستوى الثاني: إن الإمام السجاد عليه السلام كان بعد مقتل أبيه في تقية مكثفة، ووضع دنيوي لا يحسد عليه، ولم يكن في نظره من المصلحة أن يصرح بأي شئ سياسي أو اجتماعي طول حياته حفاظاً على البقية الباقية من أهل البيت عليهم السلام. وأنه يكفي ما أريق من دمائهم في كربلاء، وإذا كان للحسين عليه السلام هذا المقدار من الأنصار والتابعين فلن يستطيع السجاد أن يجد مثل عددهم. وأمامه عمل الحسن عليه السلام مثالاً، بحيث اضطر من الناحية الدنيوية أن يصالح معاوية. وهو إنما اضطر إلى ذلك بصفته قائداً لمعسكر ورئيساً لحركة. فالأفضل للسجاد عليه السلام أن لا يكون في مثل هذا الموقع حتى لا يضطر إلى إيجاد الصلح مع حاكم زمانه أياً كان. بل يستقر في بيته ويخدم دينه في حدود التقية المكثفة، ولم يقصِّر في ذلك.

وهذا المعنى مانع أكيد وشديد عن أن يأذن للمختار بالحركة والإنتقام من قتلة الحسين عليه السلام، بحيث يقول ذلك للمختار علناً بين الناس. ولربما أن الإتصال بينهما قد حصل، وقد أفهمه السجاد عليه السلام عدم وجود المصلحة في جوابه، وإعلان إذنه، أو أنه أذن له وأمره بالكتمان، أو أنه هو الذي وجهه إلى محمد بن الحنفية وإعلان رأيه.

غير أنه مما يبعد ذلك أنهما لم يلتقيا، لأن المختار بالكوفة، والسجاد بالمدينة. ولم يرد أن المختار ذهب إلى المدينة. ولكن ينتفي ذلك بسؤال ابن الحنفية فإنه أيضاً في المدينة، وقد تم الإتصال بالمراسلة حسب المنقول،

فيمكن أن يكون كذلك للسجاد عليه السلام[1].

وحيث أنه يتعين اجتماعياً ودينياً في نظر المختار أن تكون حركته مستندة إلى واحد من العلويين، أو من أهل البيت عليهم السلام فكان محمد بن الحنفية هو أوجه الناس عمراً وفقهاً وورعاً في إعلان اسمه في الإذن بهذه الحركة، بدلاً من السجاد عليه السلام. وهذا هو التبرير التقليدي المعروف، وأنا اعتقد بصحته.

نعم، لا يتعين على المختار استئذان أحد إطلاقاً بعد عجزه عن أخذ الإذن من السجاد عليه السلام، أو عجزه عن إعلان ذلك. إلا أن هذا تابع لقناعة المختار في ذلك الحين وما وجد من المصلحة في ذلك. فكأنه يرى أن أهمية حركته منوطة بأخذ الإذن من أحد العلويين، وأن أهمهم هو ابن الحنفية.

وأما علاقته بابن الحنفية أكثر من ذلك، فلم تثبت إطلاقاً. بمعنى أنه يعتبره إماماً مفترض الطاعة، أو أنه يعتبره هو المهدي عليه السلام الذي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً. بل نحن نجله عن ذلك، ويكفي معاشرته للمخلصين السابقين عليه في وعيه وثقافته الدينية، كمسلم بن عقيل عليه السلام وغيره. ومن هنا فمن غير المحتمل أن يكون كيسانياً.

على أنه من المحتمل القول بأن مذهب الكيسانية كذب، بمعنى أنه لم يحصل لأحد إطلاقاً. وإنما هو نبز الأعداء ضد مذهب الإمامية، ولو حصل ذلك لوصل الخبر إلى محمد بن الحنفية. ولو وصل الخبر إليه لكذبه بنفسه وانتهى الحال. وأما رضاه بالإمامة فهو بعيد جداً، مع أنه من تربية المعصومين عليهم السلام ويعلم أن الإمامة منوطة بشروط عظيمة في عللها ومعلولاتها،

---

(١) أنظر شرح الأخبار ج٣ ص٣١٥، أمالي الطوسي ص٢٤٢، ذوب النضار لابن نما الحلي ص ٥٣، ص٩٥.

لا تتوفر به.

مضافاً إلى أنه مسبوق لا محالة بالأخبار الدالة على وجود أثني عشر إماماً، بعددهم وأسمائهم وهو ليس منهم. كما أنه مسبوق بنص الحسين عليه السلام على ولده السجاد عليه السلام بالإمامة، وكل ذلك يمنع الظن برضاه بذلك.

ثم أنه قد ورد خبر عن تحكيم الحجر الأسود في إمامته وإمامة السجاد عليه السلام، وأن الحجر شهد للإمام السجاد عليه السلام[1]، وهذا أمر معقول ولا يدل على اعتقاد ابن الحنفية بذلك. بل هو لمجرد الإعلام لإمامة السجاد عليه السلام لكي لا يتخيل أحد أن محمد بن الحنفية وهو أكبر عمراً من السجاد عليه السلام فهو مستحق للإمامة. مضافاً إلى ما ورد من القاعدة العامة القطعية عند الإمامية وهي امتناع أن تكون الإمامة في أخوين بعد الحسن والحسين عليهما السلام. وهي تشمل عدة موارد منها محل الكلام. أعني تكون سبباً لنفي إمامة محمد بن الحنفية.

إذن، فلم يثبت أن أحداً من المسلمين أو من الشيعة كان كيسانياً إطلاقاً. نعم ينسب شعر إلى كثير عزة بمضمون اعتقاده[2]:

ألا أن الأئمة من قريش	ولاة الحق أربعة سواء
علي والثلاثة من بنيه	هم الأسباط ليس بهم خفاء
فسبط سبط إيمان وبر	وسبط غيبته كربلاء
وسبط لاتراه العين حتى	يقود الخيل يقدمه اللواء
تغيب لايرى عنهم زماناً	برضوى عنده عسل وماء

(١) أنظر الإمامة والتبصرة لابن بابويه القمي ص٦٠، بصائر الدرجات ص٥٢٢، الكافي للكليني ج١ ص٣٤٨.

(٢) أنظر شرح الأخبار ج٣ ص٢٩٧، الفصول المختارة للشيخ المفيد ص٢٩٩، الصراط المستقيم ج٢ ص٢٦٨، البحار ج٣٧ ص٤، تأريخ مدينة دمشق لابن عساكر ج٥٤ ص٣٢٢.

وهذا مضافاً إلى إحتمال الوضع والدس فيه، بل لعل كثير عزة قاله لأجل الدس. فإنه ليس فيه أن هذا الرابع المشار إليه هو محمد بن الحنفية. بل هو المهدي صاحب الزمان عليه السلام وليس في الكلام ما يدل عليه إلا قوله: (علي والثلاثة من بنيه) يعني الصلبين. إلا أن ذلك غير متعين كما هو واضح. فإن الإمام المهدي عليه السلام أيضاً هو من أولاد علي عليه السلام وفاطمة عليها السلام وإن محمد بن الحنفية ليس بسبط رسول الله صلى الله عليه وآله فتعين في صاحب الزمان.

وهكذا يتضح أن الإعتقاد بمهدوية محمد بن الحنفية أيضاً من الدس والمجعولات لا أكثر ولا أقل.

ولو فرض أن أحداً كان معتقداً بها فقد اندثرت في مهدها، بتكذيب محمد بن الحنفية نفسه، أو عدم انصياعه وحماسه لمصلحتهم على الأقل.

وكذلك للعلم والفضائل التي كانت تنتشر عن المعصومين عليهم السلام كالسجاد والباقر عليه السلام مما يجعل عدول الشيعة إليهم لا عنهم. وربما كانت مثل هذه الأفكار خطرت في ذهن البعض ثم تاب عنها. لا أننا نقول: إنها فرقة كانت موجودة، وإنما انقرضت بموت صاحبها، فإن ذلك خرافة ودس في التأريخ لا أكثر.

فإذا لم يكن للفرقة الكيسانية وجود حقيقي في التأريخ، أو قل وجودهم على أقل تقدير - لو كان لها وجود - ضعيف. فمن غير المحتمل انتساب المختار إليها.

على أنه ليس من مصلحته إعلان ذلك، أي إعلان إمامة ابن الحنفية دون السجاد عليه السلام . وإنما هو فقط اعتمد على إذن ابن الحنفية في حركته. وهذا ثابت تأريخياً في الجملة.

فإن قلت: إنه لماذا لم يتخذ محمد بن الحنفية مسلك التقية؟

قلنا: إن هذا جوابه من عدة جوه:

أولاً: لعل الإمام عليه السلام أمره بذلك إلزاماً خفياً، لحكمة هو يراها. فإذا صح ذلك يكون مخصصاً لأمر التقية. فكل تقية واجبة إلا ما خرج بدليل.

ثانياً: إنه رأى مصلحة عامة كبيرة فيما يريد المختار أن يفعله، مقدمة على مصلحة التقية، وخاصة إذا التفتنا إلى عظم مصيبة الحسين عليه السلام.

ثالثاً: إنه في نقطة قوة دنيوية أكثر من السجاد، فإنه من الناحية العملية لم يحارب الأمويين، ولم يحضر كربلاء، ولم يعلن العداء لهم بشكل إعلامي واضح. فمن الراجح أن لا يثير حفيظة الدولة ضده.

رابعاً: إنه بعد مضي هذا العدد من السنين كخمس سنين أو ست، وتبدل الخليفة الاموي. لم تبق محاربة قتلة الحسين عليه السلام مجابهة صريحة للدولة. وهي مجابهة ولكنها ليست بهذه الأهمية والوضوح. وكأنما يراد مطاردتهم كأشخاص والإنتقام منهم.

وهذه نقطة قوة كانت لمحمد بن الحنفية، في حين كان السجاد عليه السلام يحترس منها بعنوان أن هؤلاء وإن لاحظناهم كأشخاص، إلا أنهم أصدقاء الدولة ومموالوها من ناحية، وكانوا منفذين لأمرها ورغبتها في قتالهم للحسين عليه السلام من ناحية أخرى. إذن فمجابهتهم هي مجابهة للدولة ولو ضمناً، وهذا ما ينبغي السكوت عنه.

بخلاف محمد بن الحنفية الذي لم يعلن الحرب ضد الدولة إطلاقاً لا سابقاً ولا لاحقاً. فقد يكون معذوراً من جهة الدولة أن يدافع عن حق أخيه

الحسين عليه السلام وليس هو عن الحسين عليه السلام ببعيد.

المستوى الثالث: عن قضية طلبه للدنيا، وعدم تسليم الحكم للإمام عليه السلام. فهذا يمكن أن يكون جوابه من عدة وجوه:

أولاً: إن كل منصب ديني فهو محتمل للدنيا و محتمل للآخرة. بل الأمر هكذا في كل أمور الدنيا مما يمكن قصد القربة فيه. فيمكن للنفس الأمارة بالسوء أن تدخل شهواتها. كما يمكن للأعداء أن يطعنوا ويناقشوا. وهم طبعاً يريدون إفشال كل قادة الشيعة، من معصومين وغيرهم، والإعلام ضدهم. ونحن إذا طعنّا بالمختار فقد أعنّا أعداءنا على أنفسنا.

ثانياً: إن الإخلاص الذي وصفناه للمختار يتعين معه طلب الآخرة دون طلب الدنيا، فهدفه أعم من الدنيا وأوسع.

ثالثاً: إنه ضحى بدنياه في سبيل آخرته، وقد روي عن أهل البيت عليهم السلام: **(رحم الله عمنا المختار)**[1]. فهم راضون عنه، وهم لا يرضون إلا عمن رضي الله عنه.

(١) أنظر طرائف المقال للسيد علي البروجردي ج٢ ص٥٨٧، البحار ج٤٥ ص٣٨٦، ذوب النضار لابن نما الحلي ص١٤٤، رجال ابن داوود لابن داوود الحلي ص٢٧٧.

حول ثورات العلويين

والآن ينبغي أن نبدأ بإعطاء الفكرة العامة بعلاقة حركة الحسين عليه السلام بالتحركات ضد الظلم عموماً وخاصة التحركات التي حصلت من أولاده وأولاد عمه (الحسنيين والحسينيين) فإنها علاقة وشيجة بلا شك وأشهرهم زيد بن علي وهو ابن السجاد عليه السلام العامل بالتقية.

وخاصة حينما يسمعون قول الحسين عليه السلام : **(وإني لم أخرج أشراً ولا بطراً ولا مفسداً ولا ظالماً وإنما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدي رسول الله صلى الله عليه وآله آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر)**[1] أو يسمعون قوله عليه السلام : **(والله لا أعطيكم بيدي إعطاء الذليل ولا أقر لكم إقرار العبيد)**[2] وغير ذلك من الكلمات التي تلهب الحماسة في نفوسهم لتحمل الأذى والموت والشهادة في سبيل رفع الظلم عن المجتمع، أو التقليل منه حسب الإمكان. وقد أعطى مثالاً واضحاً وواسعاً وعظيماً للتضحية في سبيل الدين والحق.

وأنا الآن لست كفيلاً بنفس التأريخ فهم عديدون بالعشرات مذكورون في (مقاتل الطالبيين) وغيره. فلا بد من الكلام أولاً في موقفهم من التقية، وثانياً

(١) البحار ج٤٤ ص٣٢٩.

(٢) البحار ج٤٥ ص٧.

في موقفهم من العنوان الذي كانوا يعلنونه يومئذ وهو الرضا من آل محمد.

ويمكن النظر في هذه الحركات عموماً في عدة مستويات:

المستوى الأول: إنه يندر من العلويين من يكون موالياً للدولة يومئذ من أمويين وعباسيين، فإن العاطفة من الجهتين كانت منافية لذلك وكانت الدولة تتعمد ابعادهم عن كراسي الحكم من وزارة وقضاء وبيت مال وغير ذلك. وهذا معناه أن نحواً من المقاطعة كان موجوداً.

وكذلك هم لا يشعرون بأهمية الإشتراك في مثل هذا الكيان القائم، لأنهم يعلمون أن الدولة غير شرعية والظلم موجود. إذن، فإذا شاركوا في الدولة فسوف يشاركون في الظلم. ولكن يوجد من يتهم تأريخياً بذلك وهم قليلون جداً كجعفر الكذاب[١] أو التواب فإنه ذهب إلى المعتمد العباسي وقال له: اجعلني اماماً بعد أخي[٢].

المستوى الثاني: إنه من الممكن القول إن ظاهر أكثر الحركات العلوية ليس هو إقامة الحق والعدل، بل هو القيام ضد الظلم ومحاولة تقليله والكفكفة منه وشجبه وذلك لأمرين:

أولهما: عدم تجاوب المعصومين عليهم السلام معهم وليس من المستطاع إعلانهم موافقة أي واحد من المعصومين. فكان الذي يتحرك إنما يتحرك وحده، وطبعاً سوف لا يكون له نفس الإنطباع فيما إذا أعلن كونه مندوباً أو ممثلاً أو مجازاً

---

(١) أنظر كمال الدين وتمام النعمة للصدوق ص٣١٩، شرح أصول الكافي ج٧ ص٣١٧، خاتمة المستدرك ج٥ ص٢٠، دلائل الإمامة للطبري الإمامي ص٢٤٨، الاحتجاج ج٢ ص٤٩، الخرائج والجرائح ج١ ص٢٦٩.

(٢) أنظر كشف الغمة ج٣ ص٢١١.

من قبل أحد المعصومين عليهم السلام .

ثانيهما: إن كل واحد منهم يشعر أن حركته مهما كانت واسعة أو قليلة، فإنها لا تستطيع إسقاط الدولة ككل حتى لو قتل الخليفة نفسه، فإنهم يأتون بخليفة بعده. وبمعنى من المعاني أنه حتى الحسين عليه السلام نفسه لم يستطع إسقاط الدولة على عظمته فكيف بغيره؟ إذن، فهم مجرد تظاهرة بسيطة ونيل للشهادة ليس أكثر من ذلك.

المستوى الثالث: إننا قلنا في (تأريخ الغيبة الصغرى)[1] إنه من الممكن كأطروحة فيما إذا لم نعرف أو شككنا بمعنى من المعاني في نوايا العشرات من المتحركين والثوار بعد الحسين عليه السلام إلى زمن الغيبة الصغرى، فلا نعلم أنهم هل كانوا مخلصين أم لا؟ فما هو المحك في معرفة إخلاصهم؟ فيمكن أن نقيم قرائن خارجية، كمدح التأريخ له، مثل أن يكون زاهداً أو كان ورعاً أو عادلاً فلا بأس بذلك. ولكن يوجد هناك محك مختصر ومفيد وحاصله: إن جملة من الثورات والدعوات دعت إلى الرضا من آل محمد، فإنه لا يدعو إلى نفسه وإنما يرمز بذلك إلى الإمام الذي في عصره فهو لا يريد أن يحرجه.

فإذا شاء الله تعالى له التوسع فلربما يتصل بالإمام عليه السلام ، وأما إذا قتل فينال الشهادة وينتهي الحال، فلا يصل السوء إلى المعصوم عليه السلام . فمن دعى أو أعلن هذا الشعار أو هذا الهدف فهو مخلص، وأما من لم يعلن هذا الشعار وهذا الهدف فتبقى المسألة فيه مشكوكة.

المستوى الرابع: إن بعض هؤلاء الثوار المتحركين من العلويين مارسوا

---

(١) أنظر تأريخ الغيبة الصغرى ص٧٨ وما بعدها.

الحكم فعلاً من قبيل صاحب طبرستان[١] وغيره. فجملة منهم ليسوا على تربية المعصومين عليهم السلام فإنهم مارسوا الحكم والفتوى وصلاة الجماعة وإقامة الحدود والقضاء بدون إذن المعصوم عليه السلام، فمن الذي أذن لهم بالولاية العامة؟ فهل له ولاية عامة بصفته مجتهداً مثلاً؟ أو ربما بالعنوان الثانوي، فإنه يرى أنه لو لم يمارس الحكم أو الولاية لتسيب المجتمع واضطر إلى التنازل عن الحكم، فيمارس الحكم شكلياً. فيغلب على الظن أن جملة منهم فيهم هذا النحو من قلة التفقه وهم قلة.

اللهم إلا أن يكونوا قد اتصلوا بشكل غير منقول تأريخياً أو بشكل سري بالأئمة عليهم السلام، فلا بأس بها كأطروحة. وخاصة أن هذا الإحتمال نفسه ينطبق على كثير من المتحركين سواء حكموا أم لم يحكموا فإنه حتى لو لم يحكم فماذا كان يفعل لو حكم؟ فهو عازم على ممارسة الولاية فيكون الحال أن الإشكال سار إلى عدد معتد به منهم.

ولكن في الإمكان أن يدفع الإشكال بأن نقول: إن أولئك الذين أعلنوا (الرضا من آل محمد) قد اتصلوا بالإمام بشكل غير منقول تأريخياً وأما بالنسبة إلى من لم يعلن هذا الشعار فتبقى نقطة فارغة لا نستطيع أن نملأها.

المستوى الخامس: إن بعض الثوار كان فعلاً على اتصال بالمعصومين عليهم السلام ولعلهم أذنوا لأمثال هؤلاء سراً لأجل وجود مصلحة أكيدة في التحرك الشيعي ضد الظلم، من حيث لا يكون انتسابه إلى المعصومين عليهم السلام

---

(١) وهو الحسن بن زيد بن محمد بن إسماعيل بن الحسن بن زيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب، الملقب بالداعي إلى الحق قام بثورته في طبرستان سنة ٢٥٠ وسيطر عليها إلى أن توفي سنة ٢٧٠. أنظر البحار ج٤٣ ص٣١٤، الأعلام للزركلي ج٢ ص١٩١، تأريخ الطبري ج٧ ص٤٢٩ وما بعدها، سير أعلام النبلاء ج١٣ ص١٣٦.

موجوداً. ومن أوضح مصاديقه زيد بن علي عليه السلام فإنه ابن إمام وأخو إمام. وكذلك صاحب فخ[١] الذي كان في غاية القدس والتقوى وتمثل واقعته بطف كربلاء لا يفرق عنها إلا بشخصية الحسين عليه السلام.

المستوى السادس: روي عن يحيى بن زيد بن علي هذه الرواية: إنه سئل عن الأعلم هو أو محمد بن علي الباقر عليه السلام فأجاب: (إن عندي علم وعنده علم وهو يعلم كل ما أعلم ولا أعلم كل ما يعلم)[٢] أو نحو ذلك. وهو وإن كان شهادة له بالأعلمية إلا أنه جواب فيه التفاف وتعمد بعدم التصريح فما السبب في ذلك؟ وإذا كان يحيى نفسه هكذا وهو المعاصر والمعاشر للمعصومين عليهم السلام فكيف بغيره؟ وليس من العيب عليهم أن يكونوا دون المعصومين عليهم السلام حتى لو عرف الناس ذلك.

وعلى كل حال فلو صحت الرواية وأمثالها فإنما يراد بها الإعلام، أي حفظ السمعة العالية للفرد القائد لهذه الحركة أو تلك، وهو بالعنوان الثانوي وإن كان معقولاً وذا مصلحة وقتية، إلا أنه بالعنوان الأولي يصعب استساغته شرعاً.

المستوى السابع: إنه يمكن القول إن الإمام زين العابدين عليه السلام بالرغم من سلوكه مسلك التقية المكثفة وعدم التعرض للجهاز الحاكم لا بالقليل ولا بالكثير إلا أن عاطفته بينه وبين الله تعالى لم تكن كذلك بطبيعة الحال. فهو الموتور بأبيه وبأهله ونحو ذلك من الأمور، فكيف يستطيع أن يرضى عن الناس

(١) وهو الحسين بن علي بن الحسن بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام وقد كانت ثورته في زمن الإمام الكاظم عليه السلام ضد ملك بني العباس. أنظر مقاتل الطالبيين ص٢٨٥ وما بعدها، شرح الأخبار ج٣ ص٣٢٧، عمدة الطالب لابن عنبة ص١٨٣

(٢) أنظر مقدمة الصحيفة السجادية ص١٥.

الذين قتلوا أهله؟ فيمكن أنه قدم ولده الذي هو زيد كثائر ضد الأمويين ورفع الصوت بمناوءتها وشجبها. ومع ذلك فهو لم يتخل عن مسلكه ذاك ولم يدعه بصراحة، إلا أنه كان يستطيع أن ينهاه ولو نهاه لانتهى ولكنه سكت عنه على أقل تقدير.

بقي الإلماع إلى شيء بالنسبة إلى هؤلاء العلويين عن إلقاء أنفسهم بالتهلكة وعدم عملهم بالتقية مع أن جلهم بل كلهم لا يأتي فيهم الجواب الذي ذكرناه في كتاب (أضواء على ثورة الحسين (عليه السلام))[1]، من أنه [2] تلقى الأمر بذلك من جده (صلى الله عليه وآله) أو من الإلهام. وأصحابه تلقوا الأمر منه وهذا يكفي. وبالرغم من أننا قلنا هناك إن خاصة الأئمة عليهم السلام كان لهم الإلهام كمسلم بن عقيل (عليه السلام) والعباس (عليه السلام)، إلا أن هؤلاء جلهم بل كلهم ليسوا كذلك إلا أنه من الممكن أن يقال عنهم عدة أمور:

أولاً: إن دليل التقية الآن مشتهر، وأما في ذلك الحين فلم يكن معروفاً. وحتى لو صدر في زمان الصادقين (عليهما السلام) فإنما هي كلمات بين الناس في مجلس مختصر فليس بالضرورة أن تصل إلى أنحاء العالم الإسلامي أو كل الشيعة. فإذا لم يكونوا مسبوقين بالتشريع بالتقية فهم معذورون. فمن هذه الناحية يتصرفون على حريتهم.

ثانياً: أن يقال: إن حكم التقية في الشريعة مخير بين التقية والتضحية وليس التقية بعنوانها واجبة. بل في الإمكان أن يضحي الإنسان وفي الإمكان أن يتقي. كما ورد أنه قبض على اثنين وطلب منهما البراءة من أمير

(١) راجع الأضواء ص٥٤ ط بيروت.

(٢) أي الإمام الحسين (عليه السلام).

المؤمنين عليه السلام، فبرىء أحدهما وسلم من القتل، ولم يبرأ الآخر فقتل. فلما وصل خبرهما إلى الإمام عليه السلام قال: **(أما الذي برئ فرجل فقيه في دينه وأما الذي لم يبرئ فرجل تعجل إلى الجنة)**[1]. فإنه عليه السلام مدح كلا الرجلين، وهذا معناه أن كلا العملين مشروع في الدين.

ولكن هذا الوجه قابل للمناقشة، فإن هذا المورد لا ينطبق على حال هؤلاء لأنه خاص بمن دخل البلاء والضغط لا من يسير في هذا الطريق بإختيار نفسه.

ثالثاً: إن هذه الحركات والثورات مهما اتسعت أو ضاقت فإنها مقرة من قبل المعصومين عليهم السلام وإقرارهم حجة وذلك لوضوح أنهم لم يكونوا ينهون عنها.

وسكوتهم فيه عدة مبررات:

منها: إن الفرد في الدنيا ينبغي أن يوكل إلى أعماله وإلى قناعاته حتى يصل إلى جزائه الذي يريده الله تعالى له، فهو ضروري لأجل وصولهم إلى النتائج التي ينبغي في علم الله تعالى الوصول إليها. وهذا مبرر كاف لسكوت الأئمة عليهم السلام عن هؤلاء وكل واحد يحشر على نيته وعمله.

ومنها: إنه لعل في رضاهم النفسي عليهم السلام أن يتصدى جماعة إلى شجب الظلم والحركة ضده ومقارعته، بشرط أن لايكون من تكليفهم. فهم راضون لوجود هذا الشيء تكويناً.

ومنها: إنهم عليهم السلام لو كانوا نهوهم لكان هذا تاييداً لدولة الأمويين والعباسيين، وهو مما لا يرضون بحصوله منهم.

---

(١) الكافي للكليني ج٢ ص٢٢١، وسائل الشيعة ج١٦ ص٢٢٦، البحار ج٧٢ ص٤٣٦.

رابعاً: إن الفرد منهم كان يستعظم الهدف الذي يريده ويقدمه في التزاحم على حكم التقية، مثل التوابين والمختار. ويمكن أن نفهم ذلك لكل من دعا إلى (الرضا من آل محمد)، بعنوان أنه يعتقد أن هدفه هو إرجاع الحق إلى أهله لو وفق إلى النجاح. وهذا هدف جليل جداً، فمن هذه الناحية يقدمه على التقية في مقام التزاحم والتعارض.

علاقة الحسين عليه السلام بالسجاد وزينب عليها السلام

أما الآن فينبغي أن نتحدث عن علاقة الحسين عليه السلام بزين العابدين عليه السلام وزينب بنت علي عليه السلام وهذا شامل لحال حياته، أعني في واقعة الطف. وبعد شهادته، أعني الدور الذي أدياه بعد ذلك.

ونبدأ بالإمام زين العابدين عليه السلام فالأسئلة التي ترتبط ببحثنا هذا كما يلي:

السؤال الأول: لماذا حضر واقعة الطف مع العلم أنه كان مريضاً لا يجب عليه الجهاد؟ فمن المعقول أن يترك في المدينة كما بقي محمد بن الحنفية وعبد الله بن جعفر وغيرهما.

وجواب ذلك من عدة وجوه:

أولاً: إنه ربما تمرض خلال السفر ولم يحملوه مريضاً من المدينة وليس له فرصة الرجوع بطبيعة الحال.

ثانياً: إنه صحبهم ليحصل على ثواب المؤازرة لأبيه وإمامته في مصاعبه وبلائه وإن لم يشاركه في شهادته.

ثالثاً: إن النتيجة كانت معلومة للحسين عليه السلام فقد أخذه ليكون الرجل الوحيد في الركب بعد الشهادة ويمارس الإشراف والولاية عليهم.

رابعاً: إن النتيجة كانت معلومة للحسين عليه السلام فقد أخذه ليكون اللسان الناطق بعده ويمارس الدور الاعلامي المكثف الذي مارسه فعلاً. ولولا هذا الدور الإعلامي لانطمست ونسيت قضية الحسين عليه السلام، وكان المخطط لها أن تبقى ولا تنسى، وقد تكفل لها إثنان رئيسيان هما السجاد وزينب سلام الله عليهما.

السؤال الآخر: ورد أن الامام زين العابدين عليه السلام طلب من عمته سيفاً ليقاتل مع أبيه الحسين عليه السلام. فقال الحسين عليه السلام لأخته: **(خذيه لئلا تبقى الأرض خالية من نسل آل محمد** صلى الله عليه وآله**)**[1] ويراد بهم المعصومون عليهم السلام، وإلا فنسل آل محمد حفظ في الأطفال الذين تفرقوا في البلاد. ولكن المفروض أن السجاد عليه السلام إذا خرج للقتال فإنه يقتل لا محالة، وإذا قتل إنقطع نسل المعصومين عليهم السلام، في حين أنه في علم الله تعالى أن يولى إثنا عشر إماماً معصوماً عقباً بعد عقب. ولا يمكن انقطاع **الأبوة** منهم ولذا أمر الحسين عليه السلام بذلك.

ويرد عليه: إن المروي أن الإمام الباقر عليه السلام كان في واقعة الطف موجوداً. بمعنى أن الامام السجاد عليه السلام كان متزوجاً وله ولده الأكبر وهو محمد الباقر عليه السلام[2]. إذن، فإذا قتل الإمام زين العابدين عليه السلام لم تنقطع سلسلة المعصومين عليهم السلام لوجود الإمام الباقر عليه السلام على سطح الأرض.

(١) البحار ج٤٥ ص٤٦.

(٢) ولد الإمام الباقر أبو جعفر محمد بن علي عليه السلام سنة ٥٧، أنظر مصباح المتهجد للشيخ الطوسي ص٨٠١، مسار الشيعة للشيخ المفيد ص٥٦، البحار ج٤٦ ص٢١٣، جواهر الكلام ج٢٠ ص٨٨، الكافي للكليني ج١ ص٤٧٢، روضة الواعظين للفتال النيسابوري ص٢٠٧.

وجوابه من عدة وجوه:

الوجه الأول: الطعن بالخبر الثاني سنداً وهو وجود الإمام الباقر عليه السلام في كربلاء، فنقول إنه لم يكن مولوداً، فإن الخبر ضعيف وشهرته المتأخرة لاتقتضي مطابقته للواقع. وعلى أي حال فهذا يحاتج إلى بحث تأريخي لا يدخل ضمن منهجنا[١].

الوجه الثاني: إن المراد إبقاء الإمام السجاد عليه السلام ليمارس الإمامة بعد أبيه الحسين عليه السلام، فإننا وإن كنا نعلم أنه لا فرق في أهل البيت عليهم السلام بين الصغير والكبير، إلا أنه من الصعب تحمل الشيعة يومئذ وقبولهم بإمامة الباقر عليه السلام وهو ابن ثلاث سنوات تقريباً. فلا بد من بقاء السجاد عليه السلام كشخص كبير يمكن الإعتراف به إجتماعياً[٢].

فإن قلت: إنه يمكن للإمام تأجيل الإعلان عن إمامته إلى أن يكبر بالسن ثم يعلن إمامته.

قلنا: إن المجتمع عامة والشيعة خاصة بحاجة إلى الإمام دائماً. كما يمكن أن نلتفت إلى أنه لو حصل ذلك لم يبق أحد يشير إليه أو يدعو له بعد موت

(١) لا سبيل إلى قبول هذا الوجه بعد أن دلت الروايات بشكل يفيد الإطمئنان لا أقل على أنه عليه السلام كان مولوداً قبل واقعة الطف.

(٢) قد يقال: إن هذا الأمر قد حصل في زمان الإمام الجواد عليه السلام، فقد تولى مسؤولية الإمامة وهو ابن ثمان سنين ولم تحدث ردود أفعال سيئة لدى الشيعة.

جوابه: إن الأمر يختلف جذرياً، فإن المجتمع في زمن الإمام الباقر عليه السلام غض طري ولم يصل من الناحية الإيمانية والعقائدية إلى النضج الذي يتقبل بأن يواجه مثل هكذا تجربة، وأما المجتمع في زمن الإمام الجواد عليه السلام وما بعده وللتربية التي تلقاها على يد المعصومين عليهم السلام جيلاً بعد جيل فقد وصل إلى النضج الذي يؤهله لتقبل ذلك.

جده وأبيه. فإن كل إمام قد نص عليه الإمام الذي قبله. وأما في هذه الصورة فسوف ينقطع النص، وهي مسألة خطرة ينبغي التخطيط لإزالتها كما حصل. وهو أمر سهل لم يكن يحتاج أكثر من المحافظة على حياة الإمام زين العابدين عليه السلام ليمارس نشاطه ويشير إلى إمامة ولده الباقر عليه السلام بعد حين.

الوجه الثالث: إن يراد الحفاظ على حياة الإمام السجاد عليه السلام لكي يمارس الدور الذي مارسه بعد شهادة أبيه الحسين عليه السلام ولن تستطيع زينب عليها السلام ولا الباقر الصغير أن يقوما بما قام به الإمام السجاد عليه السلام.

فإن قلت: إن هذا لا يبرر عبارة الحسين عليه السلام بتلك الرواية لأنه بقي ليس لاجل حفظ النسل، وإنما للأداء الإعلامي، والمفروض أن الباقر عليه السلام موجود.

قلنا: إن هذا يجاب بأحد وجهين:

١- الطعن بسند الرواية التي أثارت الإشكال ونقول بأن السجاد عليه السلام لم يحاول الخروج إطلاقاً لكونه معذوراً، ولم ينهه أبوه عن ذلك. ويكفي أن نلتفت إلى أن الخطاب فيها موجه إلى زينب عليها السلام وليس إلى السجاد عليه السلام، مع أن مقتضى القاعدة العكس فهو الذي ينبغي أن يتصدى للكلام مع ولده.

٢- أن نؤول هذه الرواية، فإنقطاع النسل ليس انقطاعاً مادياً أو نسبياً، بل الإنقطاع المعنوي بأحد الأشكال التي ذكرناها فيما سبق. من حيث أن استمرار وجود الإمام السجاد عليه السلام كان ضرورياً لممارسة الإعلام بعد الحسين عليه السلام، وممارسة الإمامة بعده ما دام ولده صغيراً، وممارسة الإشارة إلى ولده بعده. وكل ذلك سوف ينقطع تماماً لو قتل السجاد عليه السلام وينسى الحسين عليه السلام وينسى الإمام الباقر عليه السلام نفسه. إذن، فالمراد من الحفظ الحفظ المعنوي وليس

المادي.

وفي حدود فهمي أن السجاد عليه السلام يفهم هذا المعنى والحسين عليه السلام أيضاً يفهم هذا المعنى. فلو كان هذا الموقف أمام الناس يمكن أن نقول بأنه يعطي مثالاً للآخرين في نصرة الحسين عليه السلام ويسقط ما في ذمته بأن ينهاه الحسين عليه السلام. ولكن هذا قد حصل بين خاصة الخاصة، فقيامه ليس فيه جانب إعلامي وهذا في نفسه استبعاد لصحة الرواية.

السؤال الآخر: قد يرد إلى الذهن في تفسير ما روي من أنه كان كثير البكاء بعد واقعة الطف، حتى كان يمزج طعامه وشرابه بالدموع ويذكر أباه وشهادة من معه بكل مناسبة ونحو ذلك[١].

مع العلم أننا يمكن أن نلتفت إلى أمرين:

الأول: إن المعصومين عليهم السلام ليس لهم عواطف دنيوية، لأن اهتمامهم بالدنيا ساقط بالمرة ولا معنى للبكاء بدون عاطفة.

الثاني: إن البكاء لا معنى له، لأن ثورة الحسين عليه السلام موجبة للإستبشار، فالحسين عليه السلام وفق إلى توفيق عظيم، ورزق مثل هذه الشهادة، فينبغي أن نفرح للحسين عليه السلام. وكذلك أصحابه نالوا الشهادة والسعادة أيضاً، فإننا نسعد بسعادتهم ونرضى لهم هذا المقام الكبير فلا تحتاج المسألة إلى بكاء.

نعم، إن الإستبشار الذي قلناه للحسين عليه السلام وأصحابه لا يعني أن يزيد قد فعل فعلاً حسناً، وإنما يعني أن الله تعالى فعل الفعل الحسن. فالله تعالى حكيم

---

(١) أنظر الحدائق الناضرة ج١٣ ص٨٣، الخصال للشيخ الصدوق ص٥١٨، الوسائل ج٣ ص٢٨٢، مسكن الفؤاد للشهيد الثاني ص٥، البحار ج٤٥ ص١٤٩، اللهوف في قتلى الطفوف لابن طاووس ص١٢١.

ومدبر وهذا لا ينافي أن المخلوق معاتب على جرائمه وأعماله.

جوابه: لو لاحظنا هدف الحسين عليه السلام الشخصي الذي يرتبط بمصلحته الشخصية فهو ليس شيئاً إلا طاعة الله سبحانه. وأما إصلاح المجتمع وهداية الناس فإن الحسين عليه السلام يعلم بها ويريدها، لكنه لا ينبغي أن نقول إنه يهتم بها. فإن الله تعالى هو الذي يهتم بالمجتمع. فهو يريد أن يهدينا عن طريق قتل الحسين عليه السلام. فإذا نظرنا إلى هدف الحسين عليه السلام الشخصي فينبغي أن نستبشر لأنه وصل إلى هدفه، ولكننا إذا نظرنا إلى هدف الله تعالى في حركة الحسين عليه السلام أو قل من توجيه الأمر إليه بالقيام بهذه الحركة، فإنه بحسب ما نعرف فإن ذلك مربوط بمصلحة الأجيال الآتية من المسلمين بعد واقعة الطف يعني أنه قتل من أجل هدايتنا ومصلحتنا.

وهذه الهداية تتوقف على جانبين:

١- جانب عقلي.

٢- جانب نفسي.

فإذا تمت السيطرة عليهما بعون الله تعالى، فقد تم الأمر وأصبح الفرد من المهتدين.

ولا يمكن الإكتفاء بأحد الجهتين دون الأخرى، لأن ذلك يستلزم نقصاً كبيراً جداً، ومن ثم لا يترتب ما هو المطلوب من الهداية للفرد والمجتمع والأجيال.

أما الجهة العقلية، فقد مارسها وغذَّاها السجاد عليه السلام بخطبه في الكوفة والشام، وتعاهدها بعده المعصومون عليهم السلام بكثير من الأقوال والتوجيهات.

وأما الجهة النفسية، فهي لا تكون إلا بالبكاء. فالأمر الرئيسي والأفضل هو توجيه المجتمع إلى البكاء. والنفس هي مركز العواطف، والعواطف مشروعة ومفهومة اجتماعياً لدى الجميع. والعواطف الصعبة أكثر تاثيراً في التربية من العواطف السهلة أو المفرحة. وأول من نفَّذ البكاء هو السجاد عليه السلام ، فهو يعلم بهذه المصلحة وهذه التربية وهذه الهداية الناتجة عن البكاء.

وقد كان أولى من يقوم بذلك وأن يبدأه هو الامام السجاد عليه السلام وليس النساء، لأن بكاء النساء في نظر المجتمع أمر متدني ومؤقت ومفروض. وإنما لا بد أن يقوم بذلك الرجال وأن يتصدى له شخص عظيم وزعيم مثل السجاد عليه السلام ليشتهر بالتدريج بين الناس فيكون سبباً للتربية والتكامل في الأجيال.

مضافاً إلى أن السجاد عليه السلام لم يكن قادراً على أن يعارض الدولة لأنه في تقية مكثفة، ولكن هناك مستمسكاً يمكن التركيز عليه ضد الجهاز الحاكم من دون أن يكون غير مشروع في نظرهم. فهو يبكي على أهله وهذا جعله من نقطة قوة من هذه الناحية، لأنه من الطبيعي إجتماعياً أن يبكي كل أحد على أهله فهذا نحو من الطعن فيهم من حيث لا يستطيعون النقاش، وهو يدرك هذا المعنى بكل تأكيد.

وهذا لا يحصل ببكاء يوم أو يومين، بل ممارسة ذلك طول عمره. ولم يقصِّر عليه السلام في ذلك، حيث يعرفه كل الناس بهذه الصفة حتى عد من البكائين الخمسة من البشر كلهم(١).

---

(١) أنظر نحوه في مناقب آل أبي طالب ج٣ ص١٠٤، البحار ج٤٣ ص٣٥.

السؤال الآخر: إن هذا البكاء صوري مجرد لإطاعة الله تعالى. فكيف يستطاع البكاء الصوري؟ لأنه خارج عن القدرة البشرية. أو بتعبير آخر: إنه من أين يأتي بالبكاء وسبب البكاء، إذا كان لمجرد المصلحة العامة؟

جوابه: إن الله عنده أمر تشريعي وأمر تكويني، فالأمر التشريعي هو أن يأمر الإمام بالبكاء، وأما الأمر التكويني فهو أن يعطيه التوفيق والعاطفة الكاملة لتنفيذ أمره التشريعي، وإقداره على البكاء. فهدف الله من وراء كل ذلك هو هدايتنا وتربيتنا.

السؤال الآخر: إن الأئمة (عليهم السلام) قد تعلقت قلوبهم بالملأ الأعلى كما يعبرون، وحينئذ إذا انشغل الإنسان بالبكاء فهل ينسى الله تعالى؟ فإن هذا قد يكون حجاباً بينهم وبين الله تعالى.

وهذا السؤال بعينه وبفكرته فيه سؤال مشهور عن عمل أمير المؤمنين (عليه السلام)، وهو أنه كيف تصدق الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) في الصلاة؟ وهل هذا إلا حجاب وعمل أو التفات دنيوي؟ والمفروض أنه متوجه بكل وجهته في الصلاة إلى الله تعالى.

فإذا علمنا أن الأئمة (عليهم السلام) دائماً في صلاة ودائماً في ذكر ودائماً في عبادة، فأي التفات عن ذلك الموقف يضرهم ويكون حجاباً بينهم وبين الله تعالى.

ويمكن الجواب على ذلك بجوابين أحدهما نقضي والآخر حَلِّي.

أما الجواب النقضي: فبأن نعطيه صورة مشابهة ونسأله ماذا تجيب؟ فكما تجيب هناك نجيب هنا.

فكل الأنبياء كانوا كذلك. أوَليس قد فكَّر رسول الله (صلى الله عليه وآله) بالأصنام فكسَّرها؟

أوَليس فكَّر بعشيرته الأقربين ودعاهم؟ أوليس حارب أعداء الإسلام؟ أوليس قد جعل حياته في مصلحة المجتمع؟ فماذا تقول؟ هل هذا حجاب؟ كلا بكل تأكيد، فلا نستطيع أن نعترض على رسول الله صلى الله عليه وآله. فما تقوله هناك نقوله هنا. وكل الأنبياء كذلك، فإبراهيم عليه السلام بنى الكعبة، ودعى أن تكون له ذرية، وقد بشرته الملائكة بالذرية. وأراد أن يذبح ولده ونحو ذلك من الأمور، فهل هذه حجب؟

وأما الجواب الحلِّي الذي يشمل كل هذه الأمور فيكون على عدة مستويات:

المستوى الأول: إنها طاعة لله تعالى. وأما في المورد الذي لا يكون فيه إطاعة لله تعالى فإنه يكون حجاباً. ولكن، إذا كان هناك أمر وتوجيه ودفع من الله تعالى إلى شيء ما فلا يكون حجاباً، فإنه يضحي في سبيل الله تعالى بنفسه وبإرتفاعه فينزل ويتدنى في سبيل طاعة الله تعالى.

المستوى الثاني: إن السائل يفترض أن هذه الأمور تضرهم بالإصطلاح الباطني، فنقول: إن هذه الأمور لا تضرهم إطلاقاً. وذلك لأنهم أعلى مستوى من أن تضرهم. فالدنيا بالنسبة لهم بمنزلة الصفر لا تنفعهم ولا تضرهم كما قال الشاعر:

يسقي ويشرب لا تلهيه سكرته عن الشراب ولا يلهو عن الكاس

المستوى الثالث: إن السجاد عليه السلام أدنى مستوى من أمير المؤمنين عليه السلام لأن أمير المؤمنين عليه السلام إمام الأئمة وخير الأئمة، وليس غيره من قد نزلت فيه: ﴿وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ﴾. وقد ورد عن الإمام السجاد نفسه قوله: **(من يقوى على**

عبادة علي بن أبي طالب)[(١)]. فمن الممكن أن يقال: إن تكليف السجاد أدنى من تكليف أمير المؤمنين عليه السلام. إذن، فمن الممكن القول: بأن أمير المؤمنين عليه السلام يعاتب على هذا المقدار من الحجاب لو كان حجاباً، وأما السجاد فلا. وإذا لم يكن معاتباً عليه، إذن فهو محض الطاعة والثواب، لأنه أحد الطاعات الظاهرية العظيمة بكل تأكيد.

المستوى الرابع: إن الأئمة عليهم السلام عموماً كانوا مبتلين بحفظ الظاهر ومعاشرة الناس، وكان واجبهم ذلك. فاللازم لهم تحمل الحجاب لو كان حجاباً. أو قل هو من الذنوب الدقية الواجبة عليهم بحسب تكليفهم الدقي الخاص بهم أيضاً. كل ذلك تضحية منهم في سبيل الآخرين من هدايتهم وقضاء حوائجهم وضمان طاعتهم لله عز وجل. والله سبحانه أمر الأئمة عليهم السلام بذلك لأجل ذلك، وعليهم التنفيذ كما أمر رسول صلى الله عليه وآله بالرسالة والتبليغ.

وعلى أي حال، فالمتشرعة الذين يسألون هذا السؤال بعنوان أن البكاء حجاب للسجاد عليه السلام، عليهم أن يفسروا سائر تصرفاته بل وتصرفات المعصومين عليهم السلام بل ورسول الله صلى الله عليه وآله.

وأما كلامه في التوجع والتفجع على واقعة الطف، فهي للجانب الإعلامي المستمر، والذي فيه كلا الهدفين أيضاً.

وقد وجدت في بعض كتب التراجم من العامة في ذكر السجاد عليه السلام ومناقبه: إنه كان حافظاً لأسرار الله تعالى ويستدل على ذلك بقوله عليه السلام[(٢)]:

---

(١) الوسائل ج١ ص٩٢، شرح الأخبار ج٣ ص٢٧٢، الإرشاد ج٢ ص١٤٢، الخرائج والجرائح ج٢ ص٨٩١، مناقب آل أبي طالب ج١ ص٣٩٠.

(٢) راجع ينابيع المودة ج١ ص٧٦، طرائف المقال ج٢ ص٦٠٣، كتاب الأربعين للماحوزي ص٣٤٥.

إني لأكتم من علمي جواهره كي لا يضل أخو جهل فيفتتنا
يا رب جوهر علم لو أبوح به لقيل لي أنت ممن يعبد الوثنا
ولاستحل رجال مسلمون دمي يرون أقبح ما يأتونه حسنا

فالناس غير مؤهلين لتحمل السر، وسوف يكون رد فعلهم ضد السر وضد صاحب السر.

العقيلة زينب بنت علي عليها السلام

الأمر الآخر الذي أريد الدخول به هو التعرض إلى الأمور المربوطة بأخته العقيلة زينب بنت علي عليه السلام . فإن عدداً من الأسئلة تخامر الذهن بالنسبة إليها. يحسن عرضها ومحاولة الجواب عليها.

وأول سؤال يواجهنا في هذا الصدد عن أصل وجودها، فإنه قد يشكك حتى من هذه الجهة. ويقول المستشكل بأنها لم يوجد لها ذكر قبل واقعة كربلاء. ومن هنا فمن الراجح أن تكون شخصية وهمية. وأن الحوادث المنسوبة إليها إما مكذوبة، أو حاصلة من نساء عديدات ونحو ذلك، وقد حصرت في شخصية نسوية واحدة من قبل بعض المفكرين الشيعة القدماء، لزيادة المصاب تطبيقاً لما ورد: إنه من بكى أو أبكى أو تباكى وجبت له الجنة[١]. يعني حتى بالسبب الكاذب حسب ما يفهمون من إطلاق هذه العبارة، أو بإختلاق شخصيات وهمية.

ويدعم السائل سؤاله بعدة أمور:

أولاً: إنه لم يردنا تأريخ ولادتها، ولا حوادث الولادة، بينما وردت بالنسبة إلى الحسن عليه السلام والحسين عليه السلام شقيقيها مفصلاً. فتوجد فيها روايات

(١) أنظر مثير الأحزان ص٥، كامل الزيارات ص٢٠٩.

مطولة ومختصرة، في حين أنها لم توجد لولادتها ولا لتربيتها ولا لطفولتها.

ثانياً: لم يرد ذكر لها في عائلة علي وفاطمة خلال وجودهم في المدينة المنورة. فمن جملة الروايات التي تدل على ذلك، رواية التصدق وإطعام الطعام. فلا يوجد في هذه الرواية ذكر لزينب عليها السلام، ولو كانت لبانت.

ثالثاً: لم يرد لها ذكر في وفاة أمها الزهراء عليها السلام. فتوجد عدة روايات بألسنة مختلفة، تصف وفاة الزهراء عليها السلام. فكانت أسماء موجودة إلى جانبها، فقالت لها الزهراء عليها السلام: سوف أدخل فأبدأ بقراءة القرآن الكريم. ومتى انقطع صوتي فناديني، فإذا أجبتك وإلا فاعلمي أنني لحقت بربي. ثم جاء الحسنان ووجدا أن أمهما قد ماتت. ثم خرجا يبكيان، فسألهم الناس: ما لكم تبكون؟ فأجابا: أو ليس قد ماتت أمنا فاطمة[1]. فأين زينب من هذه الروايات؟ أفلا يناسب أن تكون موجودة.

رابعاً: لم يرد نقلها من المدينة إلى الكوفة حينما خرج أمير المؤمنين عليه السلام بعائلته إلى الكوفة، بينما كان الحسنان معه أكيداً، وقد ذكرا.

خامساً: لم يرد ذكرها خلال معيشتهم في الكوفة.

سادساً: لم يرد ذكرها عند وفاة أبيها وبعدها، مع أن الروايات متوفرة في نقل تأريخ الوفاة وتذكر التفاصيل جميعاً.

سابعاً: لم يرد ذكرها في زمن إمامة أخيها الحسن عليه السلام إلى حين وفاته وبعد وفاته.

ثامناً: لم يرد ذكرها في عصر إمامة الحسين وجميع إرهاصات ومقدمات

---

(١) كشف الغمة ج٢ ص١٢٣.

واقعة الطف. وإن كان الشعراء في مثل ذلك يتعرضون لها، إلا أن المهم ليس هو الشعر بل النقل والرواية التأريخية.

تاسعاً: لم يذكر لها شخص حين سفر الحسين عليه السلام إلى كربلاء إلى حين وصوله، بل حتى من قبل البدء بالحرب. وإنما ذكرت خلال الحرب وما بعدها.

عاشراً: تحدث التأريخ إجمالاً واحتمالاً عن زواجها بعبد الله بن جعفر، وذريتها الذين قتلوا في الطف، ولم يرد من ذلك خبر أكيد.

حادي عشر: من الواضح لدى الأجيال المتأخرة أنها مدفونة في الشام، إلا أن هذا ليس أكيداً أيضاً، أعني في حدود هذا السؤال. فنحن لا نعلم بحجة شرعية تأريخ وفاتها ولا محلها، ولا موقع قبرها.

لم يرد عنها في المدينة إلا خبر واحد، وهو وصية الزهراء عليها السلام لها في أن تقبل الحسين عليه السلام في صدره، وتشمه في نحره، إذا رأته وحيداً فريداً. وهو نحو من تأييد الزهراء عليها السلام لموقف ولدها الحسين عليه السلام أرسلته باليد الأمينة.

ولم يرد عنها في الكوفة إلا رواية واحدة أيضاً، وهي أن أمير المؤمنين عليه السلام كان يذهب بها إلى المسجد ليلاً، ويخفت القناديل لكي لا يرى الرجال خيالها[1].

فما هو الرأي الحاسم بعد كل هذه التفاصيل؟ فعلينا أولاً أن نثبت وجودها بأدلة، ثم نبين السبب الذي جعل ذكرها لم يرد.

وجواب ذلك من عدة مستويات:

المستوى الأول: نصوص التأريخ بوجودها أصلاً، وهي مذكورة في

(١) وفيات الأئمة ص ٤٣٦.

المصادر القديمة. وقد جرت العادة في مثل هذه المصادر أنه إذا انتهى الكلام عن أي إمام من الأئمة عليهم السلام، أن يقال: إنه توفي في يوم كذا، ودفن في مكان كذا، وله من الأولاد كذا وكذا. فالشيخ المفيد له عبارة مطولة عن ذرية أمير المؤمنين عليه السلام، والظاهر أنها هي نفسها التي نقلها الأربلي في كشف الغمة، في نهاية التعرض إلى مناقب أمير المؤمنين عليه السلام.

قال المفيد رضي الله عنه[١]: أولاد أمير المؤمنين عليه السلام سبعة وعشرون ولداً ذكراً وأنثى. الحسن والحسين وزينب الكبرى وزينب الصغرى المكناة بأم كلثوم، أمهم فاطمة البتول سيدة نساء العالمين بنت سيد المرسلين محمد خاتم النبيين صلى الله عليه وآله. إلى آخر ما قال. ومعنى ذلك أنه أثبت اثنين ذكوراً للزهراء عليها السلام واثنين إناثاً. وخبره حجة.

قال الأربلي في كشف الغمة[٢]: وقال كمال الدين بن طلحة(الفصل الحادي عشر) في ذكر أولاده، إلى أن قال: الإناث: زينب الكبرى وأم كلثوم الكبرى وأم الحسن ورملة الكبرى أم هاني وميمونة وزينب الصغرى ورملة الصغرى وأم كلثوم الصغرى ورقية وفاطمة.

وذكر قوم آخرون زيادة على ذلك، وذكروا فيهم محسناً شقيقاً للحسن والحسين عليهما السلام، كان سقطاً. فالحسن والحسين وزينب الكبرى وأم كلثوم، هؤلاء الأربعة من الطهر البتول فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله إلى آخر ما قال.

وقد وجدت ما ينقله[٣] عن المفيد في الإرشاد ولعله أقدم نص تأريخي

(١) الإرشاد ج١ ص٣٥٤.

(٢) كشف الغمة ج٢ ص٦٧.

(٣) نفس المصدر والصفحة.

شيعي مضبوط واصل إلينا.

ويقول عمر رضا كحالة في أعلام النساء[1]: زينب بنت علي بن أبي طالب. (يقول في الهامش) شقيقة الحسن والحسين. ثم يقول عنها: سيدة جليلة ذات عقل راجح ورأي وفصاحة وبلاغة. ولدت قبل وفاة جدها بخمس سنين. وتزوجت بابن عمها عبد الله بن جعفر، فولدت محمداً وعلياً وعباساً وأم كلثوم وعوناً الأكبر. وحدثت عن أمها فاطة بنت محمد، وأسماء بنت عميس. وروى عنها محمد بن عمرو وعطاء ابن السايب وفاطمة بنت الحسين بن علي. وصحبت زينب أخاها الحسين لما التقى بجيش عبيد الله بن زياد. فأظهرت من الجزع وشدة الألم ما يفتت الأكباد. ثم يذكر كثيراً من حوادث الطف، وما بعده عدة صفحات مما يرتبط بها بصلة.

ثم يقول في الهامش: السيدة زينب لمحمود الببلاوي. وفي الإصابة رواية عن ابن الأثير، أنها ولدت في حياة النبي ﷺ ولم يذكر سنة ولادتها.

ثم قال في آخر كلامه: وينسب إليها في مصر مسجدها، وفي سنة ١١٧٣ جدد بنائه. وتوفيت نحو سنة خمسة وستون، ودفنت بقناطر السباع بمصر ويزار ويتبرك به. ومصادره: تأريخ الطبري، بلاغات النساء لطيفور، الكامل للمبرد، الإصابة لابن حجر، إسعاف الراغبين لمحمد الصبان، تأريخ ابن عساكر. مضافاً إلى مصدرين حديثين ذكرهما في الهامش هما السيدة زينب لمحمود الببلاوي و الأعلام للزركلي.

وقال خير الدين الزركلي في الأعلام[2]: زينب بنت الإمام علي بن أبي

(١) أعلام النساء ج٢ ص٩١ وما بعدها ط دمشق.

(٢) الأعلام ج٣ ص٦٦.

طالب شقيقة الحسن والحسين. تزوجها ابن عمها عبد الله بن جعفر بن أبي طالب. فولدت له بنتا تزوجها الحجاج بن يوسف. وحضرت زينب مع أخيها الحسين وقعة كربلاء، وحملت مع السبايا إلى الكوفة ثم إلى الشام. وكانت ثابتة الجنان، رفيعة القدر، خطيبة، فصيحة لها أخبار.

ويقول في الهامش عن مصادره: الإصابة، ونسب قريش، وطبقات بن سعد، والدر المنثور، وجمهرة الأنساب، وليس في هذه المصادر ما يشير إلى مكان وفاتها أو دفنها.

ويقول علي مبارك في الخطط التوفيقية: تعليقاً على المتداول من أن صاحبة الترجمة هي المدفونة في الحي المعروف الآن بإسمها في القاهرة، ولم أرَ في كتب التأريخ أن السيدة زينب بنت علي رضي الله عنهما جاءت إلى مصر في الحياة أو بعد الممات[١].

أقول: وأيضاً لا تذكر هذه المصادر دفنها في الشام.

وقال ابن الأثير في الكامل[٢]: ذكر نسبه -يعني أمير المؤمنين عليه السلام - وصفته ونساءه وأولاده. كان آدم شديد الأدمة ثقيل العينين عظيمهما، ذا بطن، أصلع، عظيم اللحية كثير شعر الصدر، إلى القصر أقرب. وقيل: كان فوق الربعة، وكان ضخم عضلة الذراع دقيق مستدقها، ضخم عضلة الساق دقيق مستدقها. وكان من أحسن الناس وجهاً، ولا يغير شيبه، كثير التبسم. وأما نسبه فهو علي بن أبي طالب واسم أبي طالب عبد مناف، وأمه فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف.

---

(١) نفس المصدر ص٦٧.

(٢) الكامل في التأريخ ج٣ ص٢٦٢.

أقول: إنه يوجد احتمال معتد به أن اسم أبي طالب هو (عمران) وذلك لأمرين:

أحدهما: إلتزام هذا النسل بما فيهم عبد المطلب نفسه بالحنيفية، وهو لا يعبِّد أولاده لغير الله تعالى، فلا يسمي ابنه عبد مناف الذي هو اسم صنم.

ثانيهما: إن أولاده يكونون مصداقاً للعنوان الوارد في القرآن الكريم: ﴿وَءَالَ عِمْرَانَ عَلَى ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾[١] فيكونون هم الأفضل حقيقة.

ثم يقول ابن الأثير: وهو أول خليفة أبواه هاشميان، ولم يلِ الخلافة إلى وقتنا هذا من أبواه هاشميان غيره وغير الحسن ولده، ومحمد الأمين فإن أباه هارون الرشيد، وأمه زبيدة بنت جعفر بن المنصور.

وأما زواجه، فأول زوجة تزوجها فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله، ولم يتزوج عليها حتى توفيت عنده. وكان له منها الحسن والحسين. وقد ذكر أنه له منها ابن آخر يقال له: محسن، وأنه توفي صغيراً، وزينب الكبرى وأم كلثوم الكبرى. ثم تزوج بعدها أم البنين بنت حزام الكلابية، فولدت له العباس وجعفراً وعبد الله وعثمان، قتلوا مع الحسين بالطف، ولا بقية لهم غير العباس.

ويقول محمد فريد وجدي في دائرة المعارف[٢]: هي زينب بنت علي بن أبي طالب. كانت من فضليات النساء وجليلات العقائل. كانت مع أخيها الحسين في وقعة كربلاء، فلما قتل الحسين وكثير من أهل بيته وسلم الباقون، أخذهم قائد يزيد، عمرو بن سعيد (ونحن نسميه عمر بن سعد) إلى ابن زياد

---

(١) آل عمران ٣٣.

(٢) دائرة المعارف ج٤ ص٧٩٥ وما بعدها ط دائرة معارف القرن العشرين.

والي العراق، وهذا وجههم إلى يزيد. فلما مثلوا بين يديه أمر برأس الحسين، فأبرز في طست، فجعل ينكث ثناياه بقضيب في يده وهو يقول:

يا غراب البين أسمعت فقل	إنما تذكر شيئاً قد فعل
ليت أشياخي ببدر شهدوا	جزع الخزرج من وقع الأسل
حين حكّت بقباء بركها	واستحر القتل في عبد الأشل
لأهلوا واستهلوا فرحاً	ثم قالوا يا يزيد لا تشل
فجزيناهم ببدر مثلها	وأقمنا ميل بدر فاعتدل
لست للشيخين إن لم أثار	لبني أحمد ما كان فعل

فإنبرت له زينب بنت علي وكانت في الأسرى، فقالت له: صدق الله ورسوله حيث يقول: ﴿ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةَ الَّذِينَ أَسَاءُوا السُّوأَىٰ أَن كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِئُونَ﴾[1]. ثم يذكر كلامها وخطبتها كاملة، ثم يذكر خطبة أم كلثوم.

ثم يقول بعد ذلك: زينب، هي السيدة زينب بنت الحسين بن علي بن أبي طالب، كانت من كرائم العقائل، وشريفات الكرائم، ذات تقى وطهر هاجرت إلى مصر وتوفيت بها. ولها قبر يزار في القاهرة.

أقول: أريد أن أعلق على هذه الأبيات بعض التعليقات:

يقول: (حين حكت بقباء بركها) البرك هو الصدر، لأن الناقة تبرك على صدرها. فكأنه يسخر باعداءه الذين هم معسكر الحسين عليه السلام، لأن الشخص الخائف والجبان يحك بقباءه صدره.

وأما قوله: (ليت أشياخي) أشياخه الذين قتلهم رسول الله صلى الله عليه وآله وأمير

(١) الروم ١٠.

المؤمنين عليه السلام ببدر.

وأما قوله: (جزع الخزرج من وقع الأسل) الخزرج قبيلة في المدينة. والحسين عليه السلام ليس من الخزرج، لكنه مدني فيريد أن ينسبه إلى المدينة المنورة.

وقوله: (من وقع الأسل) هو السلاح.

وقوله: (واستحر القتل) زاد وتضاعف وتأكد.

وقوله: (في عبد الأشل) كأنه يتصور أن رسول الله صلى الله عليه وآله أشل، وأن الحسين عليه السلام عبده.

وقوله: (لا تشل) أي يدعون له بأن لا تشل يده. ولا يحصل له الشلل.

وقوله: (وأقمنا ميل بدر فاعتدل) أي كما أنهم قتلونا في بدر، كذلك نحن نقتلهم في كربلاء.

وينبغي الإلتفات إلى أن هناك اختلافاً في النقل، فإنه لم يرو المصدر السابق البيت المشهور[1]، وهو قوله:

لعبت هاشم بالملك فلا خبر جاء ولا وحي نزل

وأما البيت الأخير وهو قوله: (لست للشيخين). فإن المشهور[2] هو:

(١) وقد ورد هذا البيت في الكثير من المصادر ومنها: روضة الواعظين ص١٩١، الاحتجاج للطبرسي ج٢ ص٣٤، تأريخ الطبري ج٨ ص١٨٨، اللهوف لابن طاووس ص١٠٥، كشف الغمة ج٢ ص٢٣٠.

(٢) أنظر المصادر السابقة باستثناء كشف الغمة وانظر أيضاً الخرائج والجرائح ج٢ ص٥٨١، المناقب ج٣ ص٢٦١، البحار ج٤٥ ص١٣٣، ص١٥٧، كتاب الأربعين للماحوزي ص٣٧٩، تفسير القمي ج٢ ص٨٦، التفسير الصافي للفيض الكاشاني ج٣ ص٣٨٨، ينابيع المودة ج٣ ص٣٢.

لست من خندف إن لم أنتقم من بني أحمد ما كان فعل

فإنه لم يقل: (لبني أحمد) لأن هذا معناه أنه ينتقم لأجل بني أحمد، وهو بعيد لأنه لا يدافع عن بني أحمد.

وأما تفسير (خندف) فمتعذر على ما يبدو. فاما أن نقول: إن هذا البيت مزاد في الشعر، وإما أن نقول كأطروحة: إن خندف واحدة من جداته[1]. فهو لا يفتخر بأجداده، وكأنه لا شعورياً يعلم أنه ليس من أجداده وإنما هو من جداته يقيناً. أو يقال: إنه اسم هند آكلة الأكباد. أو أن أصل البيت: (لست من هند إذا لم أنتقم)[2].

الشيء الآخر الذي لا يخلو من أهمية، هو أن بعض المصادر ومنها مصادر قديمة ومعتمدة، تصرح بأن هذه الأبيات لإبن الزبعرى[3]. وهذا الإنتساب غير مستقيم معنوياً، لأنه لا يوجد أي ارتباط لإبن الزبعري ببدر والإنتقام من البدريين. وإنما ينطبق الشعر فقط على مراد يزيد في واقعة الطف. وكان يزيد شاعراً، له شعر غير هذا أيضاً، فلا يبعد أن تكون الأبيات له قالها بنفس المناسبة.

ويمكن أن يقال أن نسبة الأبيات إلى ابن الزبعرى من الزور، بقصد إخراج يزيد عن الشهادة بالكفر مع كونه خليفة المسلمين في نظرهم. إلا أننا نلاحظ

---

(١) خندف هي ليلى بنت عمران زوجة الياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان جد النبي ﷺ وصار أولادها يسمون باسمها حتى صارت مضر تنقسم إلى قبيلتين هما خندف وقيس. أنظر عمدة الطالب لابن عنبة ص٢٧، فتح الباري لابن حجر ج٦ ص٣٩٩، البحار ج٤٥ ص١٣٣.

(٢) جاء في البحار ج٤٥ ص١٣٣ قوله: وفي المناقب: لست من عتبة إن لم أنتقم.

(٣) وممن قال أن الأبيات لابن الزبعرى تمثل بها يزيد، اللهوف لابن طاووس ص١٠٥، كشف الغمة ج٢ ص٢٣٠، البحار ج٤٥ ص١٣٣.

أن المصادر الإمامية نسبته أيضاً إلى ابن الزبعرى.

فإن قلت: إنهم نقلوا ذلك من مصادر العامة من دون تأمل.

قلنا: نعم، إذا وصل بهم عدم التأمل إلى هذه الدرجة التي لا يلتفتون بها إلى القرائن المتصلة كقوله: (ليت أشياخي ببدر) فهل هم أشياخ ابن الزبعرى أم أشياخ يزيد؟ وقوله: (ثم قالوا يا يزيد لا تشل) فلماذا لم يقل يابن الزبعرى لا تشل، وكذلك قوله: (ببدر) فمن الذي حارب في بدر؟ هل هم أجداد ابن الزبعرى؟

المصادر التي ذكرت زينب عليها السلام

نعود الآن إلى المصادر التي ذكرت زينب ، فقد ورد في هامش مقتل الحسين للمقرم[١] وصفها بذلك عن الطبري في تأريخه (ج٦ ص٨٩)، وابن الأثير في الكامل (ج٣ ص١٥٨)، وفي المعارف لابن قتيبة: أما زينب الكبرى بنت فاطمة كانت عند عبد الله بن جعفر فولدت له أولاداً.

وللكاتبة المصرية الملقبة ببنت الشاطئ (عائشة عبد الرحمن) كتاب كامل في ترجمتها يسمى (بطلة كربلاء). وبنفس الإسم للكاتب المصري المسيحي (جرجي زيدان) في ضمن مجموعة قصصه المعروفة: (روايات التأريخ الإسلامي) التي مزج فيها بين الواقع والخيال.

والظاهر أنه جاء ذكرها الحسن وبعض تفاصيل أمرها في عدد لا يستهان به في كتب العامة والخاصة، بغض النظر عن واقعة الطف. كالعقد الفريد لابن عبد ربه، ومقاتل الطالبيين، ومعالي السبطين، والمعارف لابن قتيبة، والبداية والنهاية لابن كثير وغيرها. وهو عدد كافٍ جداً لإثبات التواتر بوجودها سلام الله عليها.

المستوى الثاني: المصادر التي ذكرتها في واقعة الطف وقد أشرنا إلى

---

(١) مقتل المقرم ص٣٠٨ ط بيروت.

بعضها فيما سبق من كتب العامة، ونذكر الآن قائمة أخرى وهي كل الكتب التي تعرضت إلى شرح واقعة كربلاء أو بعضها أو ما بعدها كنقل تأريخي. كمثير الأحزان لابن نما، ومقتل الحسين للخوارزمي، والإرشاد للمفيد، وتذكرة الخواص لابن الجوزي، ورياض الأحزان للقزويني، وينابيع المودة للقندوزي، ومروج الذهب للمسعودي، ومدينة المعاجم للبحراني، ومقتل العوالم للبحراني أيضاً، والمنتخب للطريحي، ومقتل أبي مخنف، والمناقب لابن شهر آشوب، والمناقب للخوارزمي، ونور الأبصار للشبلنجي، ووفيات الأعيان لابن خلكان.

المستوى الثالث: التلقي جيلاً بعد جيل ذكرها وذكر مواقفها، بحيث تتصل الأجيال بجيل الأئمة عليهم السلام، ويتصل بجيلها التي كانت فيه من دون منكر أو مشكك أو غامز أو لامز، وإنما كل من يسمع يذعن بذلك من الخاصة والعامة، ومن العلماء والجهلاء، ومن المفكرين والبسطاء، ومن كل فئات الناس بمختلف مذاهبهم ومختلف مشاربهم ومختلف ثقافاتهم.

المستوى الرابع: إننا زعمنا في السؤال السابق أن ذكرها لم يرد في ما قبل حادثة الطف، لكن هذا قابل للمناقشة، فقد ورد ذكرها متعدداً قبل واقعة الطف كما سوف يأتي.

الوجه في خلو بعض الروايات عن ذكر زينب عليها السلام

بقي الكلام في الأمر الآخر وهو خلو بعض الحوادث أو الروايات التأريخية الواصلة إلينا من اسمها ووجودها مع العلم أنه كان من المناسب ذكرها حتماً.

وهذا يمكن جوابه على عدة مستويات:

المستوى الأول: إن مقتضى التعارف الإجتماعي الدنيوي والديني لمجتمعات الشرق خاصة المتقدمة منها في صدر الإسلام وخاصة لدى المتشرعين والمتورعين فضلاً عن المعصومين عليهم السلام أنفسهم، أن ظاهر المجتمع بيد الرجال وليس للنساء فيه نصيب وإنما لهن مجتمعهن وعلاقاتهن الخاصة.

والمهم في ذلك أن المرأة ينبغي أن تنفصل تماماً عن مجتمع الرجال ولا تكون تحت الأضواء ولا النقول التأريخية. فمن ناحية وصول النقل والخبر يكون وجودها كعدمها. لا يعرف أحد عنها شيئاً إلا خاصتها الذين يعيشون في بيتها وأسرتها. وأما الآخرون فينبغي أن يكونوا جاهلين بها، حتى ولادتها وطفولتها وشبابها، ما لم تقتض المصلحة أو الحاجة الماسة أو الضرورة الدينية أو الدنيوية ذلك. وإلا فالأصل هو الخفاء التام لجنس النساء.

ومن الواضح أن النقل التأريخي إنما يحصل في مجتمع الرجال. فمن

الطبيعي أن يكون خالياً عن ذكر النساء كائنة من كانت إلا أقل القليل. ولم يكن الحال على ما هو عليه الآن من بروز النساء واختلاطهن بالرجال وتجولهن في الشوارع والمشارع والأسواق فضلاً عما هو أكثر من ذلك أعاذنا الله من كل سوء.

فبطبيعة الحال ينتج من ذلك الكتم والتعتيم على كل أخبار النساء من قبل المعصومين عليهم السلام إلا في حدود ما اقتضت المصلحة نشره.

ومما يشير إلى ذلك قول من يقول: إني جاورتهم عشرين سنة فلم أسمع لزينب صوتاً ولم أر لها شخصاً [١]. وكذلك الرواية التي تقول: إن أباها أمير المؤمنين عليه السلام كان يخرجها إلى المسجد في الليل فيخفت القناديل لكي لا يراها الرجال. وكذلك الرواية التي تقول: إن النبي صلى الله عليه وآله سأل الزهراء قائلاً: ما يزين المرأة؟ فقالت: **(أن لا ترى رجلاً ولا يراها رجل)**[٢]. فالمعصومون عليهم السلام ملتزمون في جانب نسائهم بذلك.

فإن قلت: إن الأمر في الدين ليس كذلك بل الدين فتح للمرأة فرص العمل ومشاركة الرجل في العمل وفي الحياة وفي الدوائر وفي المحافل. وبدون ذلك تكون المرأة عضواً أشل غير منتج وغير كافل لمصلحة المجتمع.

قلنا: إن مسلك الصيانة والخدر مسلك إستحبابي أخلاقي وليس لزومياً، وحاشا للدين أن يعاتب أي شخص اتخذ هذا المسلك له ولأهله. ولا يقول أحد بأن من يفعل ذلك لنسائه يكون فعله حراماً في نظر الدين وجانياً على المجتمع، وإنما عامل بالنصيحة الإستحبابية الأخلاقية والرجحان الذي عليه

---

(١) وفيات الأئمة ص ٤٣٥.

(٢) مناقب آل أبي طالب ج٣ ص١١٩، البحار ج٤٣ ص٨٤.

مسلك المعصومين عليهم السلام والمتدينين عليهم السلام .

وأدل دليل على ذلك ما روي عن الزهراء عليها السلام حين سألها أبوها عن أفضل صفة للمرأة فقالت: **(أن لا ترى رجلاً ولا يراها رجل)**، أي حتى ولو كان من المحارم. وهذا زيادة في الزهد، وهو جانب أخلاقي عالي بالنسبة إلى المرأة، وليس كل امرأة تستطيع أن تكون كذلك لأن فيه رياضة نفسية وإعراضاً عن الدنيا، وليس مطلوباً من كل النساء عملياً. فلا يكلف الله نفساً إلا وسعها، وأغلب النساء الآن لا يتحملن هذه الدرجة من الصيانة والخدر.

وقد ذكرنا في موسوعة الإمام المهدي عليه السلام إن الإرداة الإلهية ماشية نحو اتجاه إيجاد المجتمع المعصوم. فسوف يكون المجتمع إما معصوماً وإما بالتربية التي توصله إلى العصمة، فكيف تكون نساء ذلك المجتمع؟ فلا بد ان يلتزم ذلك المجتمع بهذه الدرجة من الصيانة.

نعم، إذا تصورنا المجتمع بإنه مجتمع مسلم ومطبق للواجبات فقط ومبتعد عن المحرمات فقط، وأما الباقي فقد أطلق لنفسه العنان فيه فلا بأس أن تعمل المراة عملاً مناسباً مع وضعها الديني والإجتماعي. فكلا المستويين صحيح وكلاهما مأجور عليه صاحبه، ولكن المسلك الأول هو الأعلى والأكثر أجراً.

ولا شك أن مجتمع الأئمة عليهم السلام والمعصومين عليهم السلام الذين عاشوا في صدر الإسلام أعني المجتمع الخاص بهم وبعوائلهم كانوا يحاولون فيه تطبيق المسلك الأول للدين على أنفسهم رجالاً ونساءاً، كل واحد منهم حسب ما يرى المصلحة لنفسه وعائلته.

وهذا هو السر الذي ندركه للصيانة المكثفة التي أرادها الأئمة عليهم السلام لنسائهم، وقد طبقوا ذلك على كل نساءهم واحدة واحدة وجيلاً بعد جيل إلا

ما اقتضت المصلحة بخلافه.

ومن هنا يكون من الطبيعي أن لا يوجد ذكر معتد به لولادة أي واحدة من النساء أو طفولتها أو شبابها أو شيبها وحتى وفاتها، ما لم يتسرب الخبر على نحو الصدفة أو تكون هناك مصلحة لإتصال المرأة بالناس، أعني مجتمع الرجال كاتصال الزهراء عليها السلام بهم في فترة من حياتها واتصال زينب لفترة من حياتها.

ولا ينبغي أن يقول المجتمع: إنكم تطبقون علينا الدرجة الأدنى من الدين. فإننا نقول: إن هذا هو استحقاقكم وتحملكم بدليل أنكم ترفضون ما نصفه لكم ولا تعتبرونه من الدين، وترغبون ممارسة الدنيا بكل جوانبها. فإذا قبلتم منا ما نقول فابدأوا العمل على بركة الله سبحانه وتعالى.

فإن قلت: فإن الزهراء عليها السلام تختلف عن سائر نساء الأئمة عليهم السلام حيث نجد أن الإعلام عليها كثير والأضواء عليها مسلطة ومركزة وهو على خلاف القاعدة المذكورة.

قلنا: أولاً : إن القاعدة المذكورة تقول: **(لا ترى رجلاً ولا يراها رجل)** وهذا لا ينافي الجانب الإثباتي أو الإعلامي. فإنها لم تقل: أن لا يعرف خبرها رجل. نعم، هذا هو اللازم الغالب لذلك وليس الدائم.

ثانياً: إن من المصلحة التركيز على شخصية الزهراء عليها السلام وليست شخصيتها كسائر الشخصيات إطلاقاً. لأنها سيدة نساء العالمين على الإطلاق. ومن هنا كانت خارجة عن هذه القاعدة أساساً طول حياتها تقريباً. بالرغم من أنها هي التي قالت: **(أن لا ترى رجلاً ولا يراها رجل)**. إلا أنه (ما من عام إلا وقد خص)، وقد خرجت غالب حياتها بالتخصيص.

ويبدو من سياق جملة من الروايات أنها إذا دقت الباب في بيتها تذهب هي للباب وليس غيرها، ويمكن أن نقول إن ذلك أضرها دنيوياً إن صح التعبير، فسبَّب في كسر ضلعها وسقوط جنينها. فمن ذلك حين رأى أبو الدرداء أمير المؤمنين عليه السلام مغشياً عليه وأقبل إلى داره وطرق الباب، فكلمته الزهراء عليها السلام، فقال لها: لقد مات علي بن أبي طالب. فقالت: تلك الغشية التي تأخذه من خشية الله[1]. وكذلك عندما أرسل النبي صلى الله عليه وآله بلالاً إلى دار الزهراء عليها السلام ليأتي بالقضيب الممشوق وطرق الباب، فخرجت إليه الزهراء عليها السلام وأعطته أياه[2].

وهذا له عدة تفسيرات عديدة: **منها**: إقتضاء حالها المعنوي ذلك، وهو القيام بما تكره من باب جهاد النفس. أو قل: التضحية بهذه المرتبة من الصون المركز وهبته لله سبحانه كمن يضحي بالعزلة في سبيل الله سبحانه.

ونلاحظ أنه ليس غير الزهراء عليها السلام بهذه المثابة، حتى زينب عليها السلام إلا في وقت سبيها ووجودها في الكوفة وفي الشام. وإلا فهي قبل ذلك وبعد ذلك أيضاً اتخذت مسلك الصون المركز. وأما في تلك الفترة فهي قد أدت مسؤوليتها أمام الله سبحانه بإعتبار إقتضاء المصلحة والضرورة لذلك.

المستوى الثاني: لتفسير قلة ورود اسم زينب عليها السلام قبل واقعة الطف: إن ذلك حصل على سبيل الصدفة، فإن الأئمة كانوا يجيبون بمقدار السؤال، فإذا لم يقع السؤال عن شيء لم يحصل الجواب. وإنما يقضون حاجات الناس بمقدار أسئلتهم. كما أن المؤرخين كانوا يتفحصون بمقدار إمكانهم ويكتبون،

---

(١) أنظر أمالي الصدوق ص١٣٨، المناقب ج١ ص٣٨٩، البحار ج٤١ ص١٢.

(٢) راجع أمالي الصدوق ص٧٣٤، روضة الواعظين ص٧٣، المناقب ج١ ص٢٠٢، البحار ج٢٢ ص٥٠٨.

فإذا لم يعرفوا الخبر لم يرووه بالتأريخ.

وهذا أكيد، إلا أنه راجع في الواقع إلى المستوى الأول. إذ لولا وجود تعمد الكتمان والإبتعاد عن المجتمع لما حصل ذلك. ولو فرضنا أن نساء المعصومين عليهم السلام نازلات إلى السوق مثلاً والمسجد وغيره، لحصل الإتصال بهن كثيراً. كما أنه لو كان ديدن المعصومين عليهم السلام النقل عن نسائهم الحوادث والملابسات لحصل النقل كثيراً، إلا أنه لم يحصل. لأن كل هذا متعمد الترك ومتعمد الفصل بين المجتمع وما بين النساء.

المستوى الثالث: إنه لم يحصل في حياة المرأة ما يكون ملفتاً للنظر ومستحقاً للنقل إلا قليلاً، وهذا ثابت لنوع النساء عموماً. بخلاف الرجال، فإن أكثر ما يقومون به يستحق النقل حسناً كان أم سيئاً. وعلى أي حال فما لا يستحق النقل من الحياة الإعتيادية لا ينقل من رجل كان أم امرأة.

ونساء المعصومين عليهم السلام كن يعشن حياة فردية تقريباً من أمور العائلة والتزوج والأولاد والعبادة. مضافاً إلى أن الكثير منهن متعبدات بشكل مكثف، مما يستلزم انصرافهن عن الناس، حتى أنهن يعتبرن الإنصراف عن الناس عبادة.

ومن شواهد ذلك ما ورد من أن شخصاً خطب سكينة بنت الحسين عليه السلام من أبيها فقال له ما مضمونه: (**إنها لا تنفعك لأنها مستغرقة مع الله تعالى**)[1]. ولعلهن يلتقين قليلاً حتى بالنساء فضلاً عن الرجال، وليس هناك وضوح

---

(١) ورد أن الحسن بن الحسن بن علي خطب من عمه الحسين إحدى ابنتيه، إما فاطمة وإما سكينة. فاختار له فاطمة، وقال له فيما قال: (وأما سكينة فغالب عليها الإستغراق مع الله فلا تصلح لرجل). أنظر الكنى والألقاب ج٢ ص٤٦٥.

تأريخي بكثرة التقائهن بالنساء، إلا بالتقاء الزهراء عليها السلام بنساء المهاجرين والأنصار مرة، وقد ألقت عليهن خطبتها الثانية[١].

وأما ما قد يتخيله أنصار الوعي الإسلامي من أن هداية الرجال على الرجال وهم المعصومون عليهم السلام وأصحابهم في ذلك الحين. وهداية النساء على النساء وهن نساء المعصومين عليهم السلام. وهذا يستلزم كثرة ورود النساء على النساء ككثرة ورود الرجال على الرجال.

إلا أن هذا مما لم يثبت كبرى وصغرى. ونريد بالكبرى أن الأئمة عليهم السلام لم يكونوا مطبقين لهذه الفكرة ولا مؤمنين بها، وهي أن هداية النساء على النساء. ونقصد بالصغرى أنهم لم يكونوا يسمحون لنسائهم بذلك.

وإنما كان النساء في مسائلهم ومشاكلهم يرجعون إلى الرجال لكي يسألوا المعصومين عليهم السلام أو يذهبن إلى المعصومين عليهم السلام أنفسهم. ولا أقول أنهم لا يذهبون إلى نسائهم أحياناً، إلا أن هذا قليل على أي حال وليس بالسعة المطلوبة.

ويكفينا أن في الدين قرائناً تكون ضد هذه الفكرة، من قبيل منع المرأة من القضاء، ومن إمامة الجماعة للرجال، ومن الشهادة لرؤية الهلال وغير ذلك من الأمور. فيراد منها الإنسحاب عن مجتمع الرجال تماماً.

---

(١) راجع دلائل الإمامة للطبري الإمامي ص١٢٥، مناقب أهل البيت للشيرواني ص٤٢٣، بلاغات النساء ص١٩.

حول سكينة بنت الحسين عليه السلام

شبكة ومنتديات جامع الائمة (ع)

بقي أن نشير إلى نقض واحد مؤسف جداً ذكرته مصادر العامة. والظاهر أن أول من تورط به هو أبو الفرج الأصفهاني في الأغاني وتابعه الكثيرون ومنهم كحّالة في أعلام النساء وغيره. وهو أنهم يدَّعون ويروون بتفصيل: إن سكينة بنت الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام كانت تجتمع مع الشعراء وتحضر مجالس الغناء والطرب والشعر، وتحكم وتفاضل بين شاعر وآخر ونحو ذلك من الأمور، مما هو دس قطعي ضد المعصومين عليهم السلام وذريتهم وشيعتهم.

وأنا أعتقد أن اسمها ليس مصغراً (سُكَيْنة) كما يلفظه العامة والمشهور. وإنما هو مكبر (سَكِينة) ماخوذاً من القرآن الكريم: ﴿فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيۡهِمۡ﴾[1]، ويعني هي السكينة النازلة تشبيهاً. وأما المصغر فهو أنثى الحمار بنص اللغويين ومنهم ابن منظور في لسان العرب[2]. وهذا مما يجهله المثقفون والمتفقهون من الناس مع الأسف ولا يحتمل أن الحسين عليه السلام يجهله.

ونحن نجد أن أبا الفرج الأصفهاني الذي هو أول من كتب هذه القضية يمثل شخصيتين متهافتيين، لأنه صاحب مقاتل الطالبيين وصاحب الأغاني. فهو

---

(١) الفتح ١٨.

(٢) أنظر لسان العرب ج١٣ ص٢١٣، تاج العروس ج٩ ص٢٣٩.

في مقاتل الطالبيين يكون أقرب إلى الدين من ناحية وأقرب إلى المذهب من ناحية أخرى وأقرب إلى حب أهل البيت عليهم السلام من ناحية ثالثة. في حين أنه في الأغاني بريء من كل ذلك.

فأما مقاتل الطالبيين فهو مصدر رئيسي في التأريخ بالنسبة إلى كل المذاهب، وهو أقدم كتاب وصل إلينا بعد تلف الكتب الأخرى. فإن هذا الكتاب وفق وأصبح مصدراً لجميع المسلمين.

وأما الأغاني فقد فشل ولم يكن مصدراً لجميع المسلمين حتى باقي المذاهب، وذلك لأن نسبة المحرمات لقادتهم وسادتهم وخلفائهم فيه كثيرة. فأحسن حل لذلك أن يهملوه ويتناسوه ولا يعتبرونه مصدراً إطلاقاً حتى لا يفتضحوا. ولكن حينما يذكر فيه شيء ينفعهم فإنه يكون مصدراً تأريخياً مقدساً. فإذا كانوا يعتمدون عليه فإنه يضرهم، وإذا لم يكونوا يعتمدون عليه فلا بد أن يكفوا عنه بمجموعه، فهو كاذب من جميع الجهات.

قال كحالة في أعلام النساء[1]: (سكينة بنت الحسين بن علي بن أبي طالب سيدة جليلية ذات نبل ومقام رفيع كانت تجالس الأجلة من قريش وتجتمع إليها الشعراء والأدباء والمغنون، فيحتكمون إليها فيما أنتجته قرائحهم فتبين لهم الغث من السمين وتناقش المخطىء مناقشة علمية فيقتنع بخطأه ويقر لها بالفضل وقوة الحجة وسعة الإطلاع. فمن ذلك أنه اجتمع بالمدينة راوية جرير وراوية كثير وراوية نصيب وراوية جميل وراوية الأحوص وادعى كل رجل منهم أن صاحبه أشعر، ثم تراضوا بسكينة بنت الحسين عليها السلام فأتوها فاخبروها فقالت لصاحب جرير... إلى آخر القصة.

(١) أعلام النساء ج٢ ص٢٠٢ وما بعدها ط دمشق.

قال: وفي رواية أنه اجتمع في خباء سكينة بنت الحسين، جرير والفرزدق وجميل والنصيب فمكثوا أياماً، ثم أذنت لهم فدخلوا فقعدت حيث تراهم ولا يرونها وتسمع كلامهم، فأخرجت إليهم جارية وضيئة وقد روت الأشعار والأحاديث فقالت: أيكم الفرزدق؟ فقال الفرزدق: ها أنا ذا. فقالت: أنت القائل... إلى آخر القصة.

ثم يذكر قصصاً كثيرة بإجتماعها بعمر بن أبي ربيعة، وابن سريج، والغريض، وكثير آخرين. ويذكر أنها تزوجت بعدة أزواج.

ويقول: وكانت سكينة عفيفة سلمة برزة من النساء (أي تخرج إلى الرجال) ظريفة مزاحة قيل لها: أمك فاطمة يا سكينة وأنت تمزحين كثيراً وأختك لا تمزح. فقالت: لأنكم سميتموها باسم جدتها المؤمنة فاطمة، وسميتموني بإسم جدتي التي لم تدرك الإسلام تعني آمنة بنت وهب أم رسول الله صلى الله عليه وآله.

وهذا دس واضح وذلك لعدة أمور:

١- إن آمنة لم يكن أسمها سكينة.

٢- ثبت عندنا إن أهل البيت عليهم السلام من أرحام طاهرة وأصلاب مطهرة، ولا يحتمل أن تكون آمنة بنت وهب كافرة وإن كانت قبل الإسلام.

٣- التسمية وحدها لا دخل لها في التربية.

وقد اكتفى السيد المقرم في مقتل الحسين بأن أجاب بالرواية المنقولة: أنها مستغرقة مع الله تعالى، فإذا كانت مستغرقة مع الله سبحانه فكيف تصدر منها هذه الأمور؟ فإنها تنافي الإستغراق أكيداً. وإذا كانت لا تنفع رجلاً واحداً الذي هو زوجها وأخص الناس بها فكيف تنفع الكثيرين من الرجال؟

إلا أن نقطة الضعف في ذلك هو ضعف الرواية بأزاء استفاضة النقل من ذلك الطرف. فإن كحالة يذكر بعد كل ترجمة مصادرها ويذكر بعد ترجمة سكينة بنت الحسين عليه السلام حوالي عشرين مصدراً وهذا يكفي في الإستفاضة فلا تقاومه تلك الرواية.

وجواب ذلك من عدة وجوه:

الأول: أن يقال بأن روايتهم عندنا ليست بحجة كما أن روايتنا عندهم لسيت بحجة. فلو كانت روايات فقهية ويترتب عليها أثر فقهي من وجوب أو حرمة أو استحباب أو غير ذلك من الأحكام الشرعية لما عمل بها المذهب الآخر. وهذا ينبغي أن يكون أكيداً فكل تلك الروايات التي تحدثت عن سكينة بذلك النحو ليست من أخبارنا. إذن، فهي ليست بحجة وكل تلك الروايات من المراسيل وليست لها أسانيد إطلاقاً. فمن هذه الناحية كيف نستطيع أن نأخذ بها حتى لو كانت من الخاصة فضلاً عما لو كانت من العامة.

الثاني: إننا قلنا بدرجة من درجات التفكير إن القضية مستفيضة ولعلهم يدَّعون أنها متواترة ولكن هذا يمكن أن يجاب عليه بجوابين :

١- إن التواتر هو اجتماع جماعة لا يحتمل تطابقهم واتفاقهم على الكذب، وهذا شرط غير متوفر هنا، وإذا كان كذلك فهو ساقط عن الحجية. فإن الملايين من المسيحيين مثلاً أو من اليهود أو من البوذيين أو غيرهم يشهدون بصحة بعض المرتكزات عندهم مما يخالف الإسلام فهل أن هذا الواتر حجة؟ طبعاً لا، فإنه يوجد اتفاق على أن يغلِّطوا أنفسهم وأن يسيروا في الطريق المعوج.

٢- التواتر هو اجتماع عدد كبير من الناس بحيث يحصل الإطمئنان بصحة

كلامهم فهل أن هذا العدد متوفر هنا أم لا؟ فلو فرضنا أن هذه الروايات متواترة لأن الكثير من المؤرخين يروونها، ولكن الذي ذكرها من المصادر القديمة هو واحد وهو أبو الفرج الأصفهاني في كتابه الأغاني. إذن، فينقطع التواتر بالأغاني، وحمله على الصحة بلا موجب فلا تحصل الإستفاضة بواحد فضلاً عن التواتر.

الثالث: إن الدس المتعمد الذي كان مدعوماً من قبل الدولة في القرون الأولى كان كثيراً، فكان هناك مجموعة من القصاصين يروون الروايات مقابل الأموال وما أسهل أن تشترى بعض الضمائر. فليس من الغريب أن يقولوا هذا لأجل أن يفضحوا المعصومين عليهم السلام حسب اعتقادهم. فقد سب علي بن أبي طالب عليه السلام وشتم على المنابر سنين طويلة، فليس من العجيب أن يهتكوا إبنه أو إبنته. فما دام سبب الكذب المتعمد موجوداً فحتى لو كان هناك ملايين المجلدات فلا قيمة لها لأنها مشتراة بالمال.

الرابع: إن كحالة يريد أن يوهم أن كل مصادره تعرضت لهذه الأمور التي ذكرها، بينما أن الأمر يختلف جداً والأمر يحتاج إلى فحص في كل تلك المصادر على أي حال ولا يتيسر ذلك بسهولة.

الخامس: إنه في الإمكان أن يقال: إن نطفة الإمام المعصوم عليه السلام طاهرة ومطهرة معنوياً، لا أقل أن أولادهم الصلبيين يكونون أطهاراً. لأنهم منعقدون مباشرة من نطفة الإمام عليه السلام. إذن، فلا يمكن أن يصدق فيهم مثل هذه الأمور التي تنسب إليهم.

فإن قلت: فكيف بجعفر الكذاب وغيره من القلائل المنحرفين؟

قلنا فيه أكثر من جواب:

١- هذا مما دل الدليل على خبث النفس فيه ووجود المانع من قبول

التربية. على أن جعفر الكذاب وردت توبته وورد النص على قبولها[(١)] ولذا يسمى بجعفر التواب[(٢)] بدل الكذاب.

٢- إننا لو تنزلنا عن سائر الأئمة عليهم السلام لا نستطيع أن نتنزل عن الحسن والحسين عليهما السلام الذين هما خير من الباقين، فهما من أهل الكساء الذين هم خاصة الخلق وأئمة الأئمة. فإن تصورنا أن النطف ليست طاهرة من غيرهم فيتعين أن تكون طاهرة منهم، وإن تصورنا أن بعضهم فشلت تربيتهم وحاشاهم فإننا لا نستطيع أن نتصور ذلك في أهل الكساء عليهم السلام.

٣- إننا سمعنا ما سبق من مسلكهم في الصيانة المكثفة لنسائهم فكيف تستطيع بعض النساء أن تكون كذلك، يعني ضد هذه الصيانة، إلا أن تبيع دينها وشرفها بأبخس الأثمان وتفتضح. ولوصل خبرها إلى مصادر الشيعة فضلاً عن مصادر السنة مع أنه لم يصل.

السادس: إننا نتساءل: إن هذا المسلك الذي ينسب إلى هذه السيدة الجليلة هل كان في زمن أبيها أم كان بعده؟ فإن كان في زمن أبيها فهو مشرف عليها ومراقب لها، وبالتأكيد أنه يطبق القانون العام عليها كما طبقه على غيرها من سائر بناته وزوجاته. فلو فرضنا حصول شيء من ذلك فسوف تواجه بمنع صارم لا محالة.

وأما بعده فالنساء قضت كل أعمارهن تقريباً بل تحقيقاً بالبكاء والنوح على واقعة الطف وشهدائها. فالسيدة سكينة عليها السلام هل كانت مع الباكيات أو

---

(١) وذلك في التوقيع الذي ظهر من الإمام المهدي عليه السلام والذي يقول فيه: وأما سبيل عمي جعفر وولده فسبيل أخوة يوسف. كمال الدين وتمام النعمة ص٤٨٤، الغيبة للشيخ الطوسي ص٢٩٠، الإحتجاج ج٢ ص٢٨٣.

(٢) أنظر الأعلام للزركلي ج٢ ص٣٤٠.

بدونهن؟ فإن كانت مع الباكيات كما هو الأمر الواقع فلا معنى لأن تكون باكية ومزاحة في عين الوقت. وإن لم تكن معهن يعني كانت هي مزاحة وأخواتها وعماتها وغيرهن باكيات فهذا هو العار نفسه وإسقاط المصلحة الدينية الخاصة والعامة التي كان يعرفها الجميع من أسرتها في وجوب إعلان مصيبة الحسين عليه السلام ومظلوميته في المجتمع، ومعارضة الدولة القاتلة له بذلك.

السابع: إن الأئمة عليهم السلام كانوا معها طول حياتها، الحسن والحسين وزين العابدين والباقر عليهم السلام وربما طال بها العمر إلى زمن الإمام الصادق عليه السلام. ولا شك أن الأئمة كلهم كان لهم إهتمام خاص بصيانة أسرهم وكثافة الستر في نسائهم، فلا يحتمل أن يكون شيء ما يفلت بهذه السعة والوضوح وهم لا يعلمونه، أو أنهم يعلمونه ويسكتون عنه أو أنهم يعلمونه ولا يستطيعون تغييره، فكل ذلك غير محتمل. لأن الضغط على امرأة منهم ليس مخالفاً للتقية لكي يتركونه.

الثامن: في حدود المصادر المتوفرة من الجماعة لم أستطع أن أجد ذكراً لما إذا كانت سكينة عليها السلام حاضرة واقعة الطف أو في السبايا، ليكون ذلك قرينة أخرى على نفي الحال المنسوب إليها دنيوياً، لأنها إذا كانت من السبايا الباكيات فلا معنى للجمع بين المزاح والبكاء.

إلا أن ابن الجوزي في تذكرة الخواص يقول: وكانت في السبايا الرباب بنت امرؤ القيس زوجة الحسين عليه السلام وهي أم سكينة بنت الحسين عليه السلام وكان الحسين عليه السلام يحبها حباً شديداً وله فيها أشعار منها:

لعمرك إنني لأحب داراً ... تحل بها سكينة والرباب
أحبهما وأبذل فوق جهدي ... وليس لعاذل عندي عتاب
ولست لهم وإن عتبوا مطيعاً ... حياتي أو يغيبني التراب

فخطبها يزيد والأشراف من قريش فقالت: والله لا كان لي حمواً آخر بعد ابن رسول الله صلى الله عليه وآله، فعاشت بعد الحسين عليه السلام سنة ثم ماتت كمداً ولم تستظل بسقف.

التاسع: وهو يخص مذهبنا فقد ورد في الزيارة الجامعة[1]: السلام عليكم يا أهل بيت النبوة وموضع الرسالة ومختلف الملائكة ومهبط الوحي ومعدن الرحمة وخُزَّان العلم ومنتهى الحلم وأصول الكرم وقادة الأمم وأولياء النعم وعناصر الأبرار ودعائم الأخيار وساسة العباد وأركان البلاد وأبواب الإيمان وأمناء الرحمن وسلالة النبيين وصفوة المرسلين وعترة خيرة رب العالمين ورحمة الله وبركاته.

السلام على أئمة الهدى ومصابيح الدجى وأعلام التقى وذوي النهى وأولي الحجى وكهف الورى وورثة الأنبياء والمثل الأعلى والدعوة الحسنى وحجج الله على أهل الدنيا والآخرة والأولى ورحمة الله وبركاته.

السلام على محالّ معرفة الله ومساكن بركة الله ومعادن حكمة الله وحفظة سر الله وحملة كتاب الله وأوصياء نبي الله وذرية رسول الله ورحمة الله وبركاته.

السلام عى الدعاة إلى الله التامين في محبة الله والمخلصين في توحيد الله والمظهرين لأمر الله ونهيه وعباده المكرمين الذين لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون ورحمة الله وبركاته.

ومن يكونون هكذا، لا يحتمل فيهم أن تكون بعض نسائهم هكذا.

(١) من لا يحضره الفقيه ج٢ ص٦١٠، عيون أخبار الرضا ج١ ص٣٠٥، مستدرك الوسائل ج١٠ ص٤١٦، المحتضر لابن سليمان الحلي ص١١٩، البحار ج٩٩ ص١٢٧.

العاشر: إننا نعتبر بقصة ترويها المصادر القديمة عندهم وعندنا وهي بما مضمونه أن الرواية تقول: (كنا في سفر فرأينا امرأة وسألناها: من أين أنت فكانت لا تجيب إلا بالقرآن، فسألنا عنها فقيل لنا هي فضة خادمة الزهراء عليها السلام)[١].

فهي تستشكل من الكلام الإعتيادي، فوجدت خير كلام هو كلام الله سبحانه وتعالى وهي حافظة للقرآن كله وذكية في اختيار آياته. وقد تطرَّق القرآن لمواضيع كثيرة جداً بحيث تستوفي الحياة الإعتيادية وأكثر من الحياة الإعتيادية، قال تعالى: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَيْءٍ﴾[٢]. فقد فضلت أن تحتاط لنفسها أمام الله سبحانه ولا تتحدث إلا بالقرآن.

وهي إنما كانت هكذا لأنها مربأة في دار الإمام أمير المؤمنين عليه السلام فقد عاشرتهم فترة من الزمن وعرفت مقاصدهم وحقيقة عقائدهم وحقيقة عملهم بمقدار ما تستحق.

فإذا كانت خادمة غريبة ومع ذلك تصبح من الورع والتقوى إلى هذه الدرجة فكيف ببنات الأئمة عليهم السلام؟ فهن أولى بذلك بكثير.

والفكرة الأخرى بهذا الصدد أنه روي عن الإمام زين العابدين عليه السلام أنه كانت له عدة مناهج في نفع المجتمع، **فمنها**: إنه كان يشتري العبيد ويستخدمهم لمدة سنة ثم يتخذ ثلاث خطوات: **الأولى**: يبرىء ذممهم، **الثانية**: أن يعطيهم مالاً، **والثالثة**: أن يعتقهم[٣]. فإذا كان الأمر لمجرد العتق

---

(١) أنظر مناقب آل أبي طالب ج٣ ص١٢١، البحار ج٤٣ ص٨٦.

(٢) الأنعام ٣٨.

(٣) أنظر البحار ج٤٦ ص١٠٣، وسائل الشيعة ج١٠ ص٣١٧، إقبال الأعمال لابن طاووس ج١ ص٤٤٣.

فلماذا يبقيه عنده سنة كاملة؟ في حين أنه يمكنه أن يعتقه بمجرد أن يشتريه. وإنما الشيء الرئيسي الذي يريده الإمام عليه السلام هو أن يتربى الفرد في خلال هذه السنة، فيحملون من الفقه والورع من الإمام وأسرته الشيء الكثير فيكونون ألسنة ورع وألسنة ثناء وألسنة طاعة لله ولرسوله ولأمير المؤمنين ولكل المعصومين عليهم السلام. فهل من المعقول أن تكون بنات الأئمة عليهم السلام ليس على هذا المستوى وهم في تربية كاملة تستوعب العمر كله وليس سنة واحدة؟

وكذلك ما ورد: إن السجانين في السجن الذي كان فيه الإمام الكاظم عليه السلام كان الفرد منهم يعاشر الإمام عليه السلام أياماً قليلة فيصبح متهجداً عابداً زاهداً[١]. حتى أنهم أرسلوا له امرأة خليعة لكي تخدمه وتغريه فأصبحت أيضاً زاهدة وعابدة[٢].

فإذا كان الحال في الأفراد الإعتياديين أن تحصل لهم الهداية شيئاً قليلاً من معاشرة الأئمة عليهم السلام، فكيف برجالهم ونساءهم وأطفالهم الذين يعيشون تحت تربيتهم وتركيزهم؟

الحادي عشر: إن الشعر المنسوب إلى الحسين عليه السلام والموجود في مصادرهم يمكن أن نفهم منه فهماً معنوياً، وإنا نجل الحسين عليه السلام عن العاطفة الدنيوية الأسرية. وأن كل مؤمن وخاصة المعصوم عليه السلام إنما يحب في الله ويبغض في الله فإن الحسين عليه السلام يقول:

أحبهم وأبذل فوق جهدي ... وليس لعاتب عندي عتاب

(١) أنظر البحار ج٤٨ ص٢٤١، الثاقب في المناقب لابن حمزة الطوسي ص٤٦٠.

(٢) راجع البحار ج٤٨ ص٢٣٨، مناقب آل أبي طالب ج٣ ص٤١٥.

فإنه حينما يقول: **(لعمرك إنني لأحب داراً)** أي المقام[١] الذي وصلوا إليه عند الله تعالى، وقوله عليه السلام: **(وأبذل فوق جهدي)** من قبيل قوله تعالى:

﴿قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ﴾[٢]. وقوله عليه السلام: **(وليس لعاذل عندي عتاب)** فهو يريد أن يخص أسرته بشيء من التربية المركزة. فلا إشكال أنه يحبها في الله كما يحب أي شخص آخر في الله. وقوله عليه السلام: **(وليس لهم وإن عتبوا مطيعاً)** فإن الطاعة لله عز وجل وليس للخلق بطبيعة الحال. وقوله عليه السلام: **(حياتي أو يغيبني التراب)** أي أن طاعة الله تعالى في حياتي وبعد مماتي.

ولا يحتمل أنه سلام الله عليه يحب في الله امرأة تعمل المحرمات وتعاشر الرجال المغنين وتكون مزاحة غير شاعرة بمصالح المجتمع ومصالح أهل البيت عليهم السلام، وهي مصلحة أبيها وذويها وهي ليست بعيدة عنها.

الثاني عشر: قد يقال إن زين العابدين عليه السلام في تقية مكثفة ومنعزل في بيته للعبادة والزهد وهو منصرف عن المجتمع، وإن الإمام الباقر عليه السلام صغير السن ولا يستطيع منع عمته من فعلها. ولكننا نقول هنا: إن المتوقع أن يكون هناك رد فعل من الأئمة عليهم السلام وأن يصرحوا بأنهم بريئون من تصرفاتها لو كانت.

فإننا لو تنزلنا عن كل الوجوه السابقة وفرضنا هذه السيدة العظيمة حرة في تصرفها وغير منصاعة لتعاليم أبيها وتقاليد أسرتها ومن الصعب السيطرة عليها، وقد مارست هذه الأمور المنسوبة إليها فعلاً.

---

(١) المعروف عند بعض أهل المعرفة بأن الدار ترمز إلى المقام الذي قد يكون فيه الفرد، وقد ينكشف لهم بدرجة من درجات الكشف عن مقامهم الذي هم فيه أو الذي اقتربوا منه ويرمز لذلك بالدار.

(٢) التحريم ٦.

إذن، سنتوقع بكل تأكيد وجود رد فعل مضاد لها وإعلام للناس بأن هذه المرأة عاصية ومنحرفة. لا أنهم يسكتون عنها بالرغم من تصرفها الفاضح وفعلها الشائن وارتكابها لمحرمات على ما هو المروي. فإن سكوتهم غير محتمل، فإنه ليس موافقاً للتقية وليس فيه مصلحة ثانوية، وخاصة أنها من أسرتهم ولا يخاف جانبها عليهم لا في الدنيا ولا في الآخرة.

مع العلم أن رد الفعل بالنسبة إلى كثير من حوادث المجتمع موجود خلال تأريخ المعصومين عليهم السلام، فكيف لا يكون رد الفعل موجوداً بالنسبة إلى هذه السيدة لو كانت قد صدرت منها هذه الاعمال والأقوال؟

وحيث أن رد الفعل غير موجود قطعاً ولم يرد إلينا ولا في مصدر ضعيف من مصادر المسلمين. إذن، يتعين أن تكون هذه الأمور غير صادرة عنها وأنها مكذوبة عليها.

الثالث عشر: إننا لو تنزلنا عن كل الوجوه السابقة -ولن نتنزل- فنسلم أن شيئاً ما من هذا الإتجاه قد حصل ولكن في حدود الشريعة فلا ننسب إليها شيئاً من المحرمات.

مضافاً إلى أننا نستطيع أن نعطي عناويناً ثانوية لتبرير عملها وذلك على عدة مستويات:

المستوى الأول: مسألة الحجاب وأن لا يراها الرجال وإن سمعوا صوتها، وهذا منصوص في بعض الكتب كالذي سمعناه عن كحالة: بأنها جلست حيث تراهم ولا يرونها.

وكذلك نعلم أن صوت المرأة إذا لم يكن فيه إثارة نوعية فإنه يجوز سماعه كما سمعوا صوت الزهراء عليها السلام وصوت زينب عليها السلام وغيرهن من النساء.

ولكن يخالفه ما روي في بعض كتبهم[١] من أنها تصفف شعرها بشكل معين حتى قيل: (الطرة السكينية) وظاهر السياق أنها كانت تبرز أمام الرجال سافرة بهذا الشكل. وهذا بمنزلة المستحيل فإن روايتها في غاية الضعف ولا يحتمل أن يصدر من بنت الحسين عليه السلام ذلك إطلاقاً.

إلا أن يقال إن الطرة السكينية لم يرها الرجال وإنما رأتها النساء.

المستوى الثاني: إن الغناء حرام ونسبة الحرام إلى هذه السيدة الجليلة منسد تماماً، فلن نستطيع أن نقبل برغبتها بالغناء فإنه محرم في الشريعة عند كل أهل المذاهب وخاصة ما يميل إلى الجنس والمجون.

ولكننا ينبغي أن نلتفت إلى أن الغناء إنما يكون غناءاً حقيقة وعرفاً إذا قرىء أو أدي على طريقته الخاصة بالترجيع ونحوه. وأما وجوده اللفظي المكتوب أو المقروء بدون ترجيع وخاصة وهم في ذلك العصر كانوا يلتزمون الغناء الفصيح ولم يكن للغات الدارجة العامية أثر.

وحسب فهمي أن الشعراء في ذلك الحين على قسمين:

١- شعراء غير غنائيين أي لم تكن أشعارهم لأجل الغناء كجرير والفرزدق.

٢- شعراء غنائيين أي ينضمون الشعر لأجل الغناء ويرتزقون بذلك كابن سريج والنصيب.

إذن، فمن الممكن كأطروحة أنهم حين قالوا: إنها تجتمع بالشعراء والمغنين يريدون من المغنين الشعراء الذين ينضمون الأشعار الغنائية. ويريدون

---

(١) الأعلام للزركلي ج٣ ص١٠٦.

من الشعراء من لا يكون في شعره ذلك. ولا يراد أنها كانت تحضر فعلاً الأداء الغنائي فإنه محرم في الشريعة ولا يحتمل صدوره منها:

المستوى الثالث: إنها تجتمع بهذه الطبقة من الناس لأجل هدايتهم بشكل وآخر، قليلاً أو كثيراً. فلعل كلمة من الحكمة، أو بيتاً فيه عبرة، أو موعظة فيها هداية، تؤثر في بعض القلوب الساهية وفي بعض الأذهان الخاوية والعقول الغافلة.

وكلما كان الفرد أكثر غفلة وأقل اهتماماً بالدين كان أحوج إلى التنبيه والإلتفات والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. وخاصة أن هذه الطبقة من الناس ليسوا ملحدين بل يدَّعون الإسلام والإلتزام. ففي الإمكان أخذهم من حيث يدَّعون وهدايتهم من حيث لا يشعرون.

وهذا فيه نفع لكلا الطرفين، فأما نفعه لسكينة نفسها فإنه أسلوب من أساليب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فإن أساليب الهداية تختلف. ولعل الأسلوب الرئيسي والأهم لهذه الطبقة من الناس هو ذلك، فتحصل على ثواب الأمر بالمعروف وثواب الجهاد بمعنى من المعاني فيكون نفعاً لها.

وأما بالنسبة لهم فإنهم يستفيدون، وذلك أن هؤلاء يكون أمرهم دائراً بين أن يتمحض اتصالهم بالفاسقين والمكرة وأهل الدنيا ونحو ذلك. وبين أن لا يكونوا متمحضين في هذه الجهة فقط. فيكون لهم اتصال قل أم كثر بجهة الحق، فبعضهم يتمنون هذا المعنى قليلاً أو كثيراً.

إن قلت: فلماذا يذهبون إلى السيدة سكينة عليها السلام ولا يذهبون إلى المعصومين عليهم السلام مباشرة؟

قلنا: إن من الصعب أن نقترح عليهم الذهاب إلى المعصومين عليهم السلام لعدة

أمور:

١- إختلاف المذهب.

٢- إختلاف المسلك.

٣- هيبة المعصومين عليهم السلام عالية جداً، وهؤلاء يشعرون بذنوبهم أمامهم. فإذا شعروا بذنوبهم يقل شأنهم في باطن أنفسهم مهما كانوا يتظاهرون بالرفعة والتكبر والحشمة، فلا يمكن أن يذهب أمام هذه العظمة العظيمة فإنه لا يتحملها.

٤- ربما لا يجد هؤلاء رغبة من قبل المعصومين عليهم السلام في زيارتهم.

٥- إن المعصومين عليهم السلام لم يكونوا يتجاوبون مع وجدانهم الغنائي والدنيوي، ولا ينبسطون معهم في الكلام، مع أنهم يحتاجون إلى مثل ذلك، وقد وجدوا في هذه السيدة الجليلة المضحية المجاهدة ضالتهم المنشودة بناءً على هذه الأطروحة.

إن قلت: إن الإمام السجاد عليه السلام أوكل أمر هذه السيدة الجليلة إلى زوجها مصعب ابن الزبير أو غيره، ولم يناقش في تصرفاتها لأنها متزوجة وزوجها أولى بها.

قلنا: إن جوابه من عدة وجوه:

الوجه الأول: أن ننفي هذه الروايات ونقول إنها كاذبة كلها فسكوت الإمام عليه السلام من أهله وفي محله، لأنه لا يوجد منها شيء باطل حتى ينهى عنه الإمام عليه السلام ولكننا إن تنزلنا عن ذلك حينئذ نأتي إلى الوجوه الآتية.

الوجه الثاني: إنه إذا كان قد بلغ الحال بها إلى حد الفضيحة كما هو مقتضى هذه الأمور المروية كان لا بد للسجاد عليه السلام من منعها، وإلا سرى الأمر إليه نفسه ومن ثم إلى الدين.

الوجه الثالث: إنه إن لم يستطع أن يكفها عن عملها فلا أقل أن يعلن البراءة منها وعن عملها، لكي يبرئ ساحته وساحة مذهبه وساحة دينه ونحو ذلك.

الوجه الرابع: إنه لم ير في عملها شيئاً شائناً ومخالفاً لكي ينهى عنه[1].

فإن قلت: إن هذه السيدة الجليلة متفقهة وفاهمة ومتورعة، أفلا يكون عملها هذا إعانة على الإثم لأنه تأييد لهم؟

وهذا إنما يصح بعد التنزل عن الجهات التي تقتضي نفي الأمر أصلاً، لكننا الآن ينبغي أن نتنزل ونقبل أنها حدثت، فإذا قبلنا ذلك تسجل الإشكال إجمالاً.

ويكون الجواب الرئيسي لذلك: إنه إذا حصل التزاحم بين أنها تأثم لإعانتهم على الإثم، وبين أن تقوم بهدايتهم وإسماعهم كلمة الحق وربطهم ولو قليلاً بالأسرة العلوية الشريفة، فيقدم الأهم وهو الذي فعلته من هدايتهم.

فإن قلت: كيف تتصرف هذا التصرف وهي تعلم أنهم مغنون وأنهم فسقة؟

قلنا: نعم، وإن كثيراً من أمور الدنيا بل كلها قابلة للحمل على معنيين:

---

(١) فرق هذا الوجه عن الأول أنه بناء على الأطروحة الأخيرة وهي أن شيئاً ما صدر منها ولكنه ضمن الحدود الشرعية، بينما الوجه الأول فبناءً على عدم صدور أي شيء من هذا القبيل إطلاقاً.

إلهي وشيطاني، وهذا منها. وكل واحد يحشر على نيته كما ورد[١]. فإذا استطعنا أن نحمل هذه السيدة العظيمة على حسن النية واستهداف مرضاة الله تعالى كفى فيه أن لا يكون هدفها الإعانة على الإثم، بل تخليصهم من الإثم وهذا يكفي[٢].

وبعد هذه الجولة نعود إلى السؤال الذي سبق أن طرحناه عن وجود زينب عليها السلام، وقد أثبتنا وجودها أصلاً وكذلك السبب عن قلة الخبر الموجود عنها قبل واقعة الطف.

(١) أنظر المقنع للشيخ الصدوق ص٣٦٤، رسائل الشهيد الثاني ص١٠٩، كتاب الغيبة للنعماني ص١٦.

(٢) لا يخفى أن هذا المستوى من الكلام بناء على أن آخر العلاج الكي، فالأجوبة السابقة التي نفت حصول مثل هذه الأفعال كافية ووافية، ولكن مع حصول العناد والإصرار من الخصم على أنها حصلت فعلاً، فتأتي هذه الأجوبة قطعاً للنزاع وحملاً لها على الصحة حتى مع فرض حصول شيء من ذلك.

السبب المحتمل
في تغيب زينب عليها السلام عن بعض الحوادث

بقي علينا الحديث عن سبب تغيبها عن هذه الحوادث التي حدثت في أسرتها خلال ذلك التأريخ كموت أبيها وأمها وأخيها ونحو ذلك.

وكذلك بعض الأجوبة العامة التي تعم غالب الحالات وأجوبة خاصة ببعضها. فأما الأجوبة العامة فكما يلي:

أولاً: في الإمكان كأطروحة أنها خلال بعض تلك الحوادث لم تكن ساعتها موجودة، لأنها كانت في سفر أو في بيت جدها رسول الله صلى الله عليه وآله أو في بيت أخيها الحسن عليه السلام ونحو ذلك، ثم أنها أقبلت بعد حصول الوفاة.

ثانياً: إن هذه المناسبات مظنة نوعية لحضور الرجال ومن ثم لم تخرج من غرفتها تحت أصعب الظروف.

ثالثاً: إنها قد تكون موجودة ولكنها لم تذكر في الروايات، كما لم يذكر غيرها من النساء احتراماً لموقف أهل البيت عليهم السلام. وإنما يذكر الأشخاص الرئيسيون الذين ينبغي نقل كلامهم أو أفعالهم ونحو ذلك.

رابعاً: إن هذا الأسلوب موجود في الأساليب القصصية، فلربما مشى عليه الرواة عن عمد أو عن غير عمد. وهو حدوث شخصية مهمة في آخر الأمر لم

تكن قد ذكرت قبل ذلك. وفي القرآن وغيره عدد من هذا الأسلوب، كما في قوله تعالى: ﴿وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا ٱلْبَابِ﴾[1] وقوله تعالى: ﴿وَقَتَلَ دَاوُۥدُ جَالُوتَ﴾[2]. ومساعدة الشيطان اليهود في قتل زكريا بعد أن دخل في جذع شجرة أجوف كما ورد ذلك في بعض الروايات[3] ونحو ذلك من الأمور.

والأمر هنا يمكن أن يكون كذلك فإن هذه الشخصية وهي زينب عليها السلام تذكر في مورد الأهمية والتركيز لا في غيره، احتراماً لها وصوناً لذكرها عن الإبتذال.

خامساً: إن المروي أنها ولدت للعام الخامس أو السادس للهجرة. إذن، فهي كانت طفلة عند وفاة جدها وعند وفاة أمها وولادة أخيها وإسقاط الجنين. وكذلك لدى التصدق على المسكين واليتيم والأسير. والطفلة لا تذكر في التأريخ أكيداً.

نعم، كانت عند وفاة أبيها وأخيها الحسن كبيرة، ونتوقع أن يكون لها دور قليل أو كثير. وسنجد بعد قليل أنه قد روي وجودها في كل ذلك بالرغم من قلته وتلك القلة ناتجة من الأسباب السابقة.

وأما الأجوبة الخاصة في الموارد:

أولاً: ما ورد أنها إذا أرادت أن تزور المسجد في الكوفة أو في المدينة، وفي رواية إذا أرادت أن تزور قبر جدها يذهب أبوها بنفسه ويخفت ضوء

(١) يوسف ٢٥.

(٢) البقرة ٢٥١.

(٣) أنظر زاد المسير لابن الجوزي ج٥ ص٧.

القناديل، لكي لا يراها أحد من الرجال[١].

ثانياً: ما نقل عن العقد الفريد في قصة طويلة وفيها أن رجلاً خطبها من أبيها فزجره لوضاعته ويبدو أنه الأشعث بن قيس[٢].

ثالثاً: ما نقل من زواجها بعبد الله بن جعفر[٣]، فإنه زواج مبكر والظاهر أنه كان في حياة أبيها.

رابعاً: ما روي أنها كانت ضمن المشيعين في الليل لنعش أمها الزهراء عليها السلام[٤]، وأذن أمير المؤمنين عليه السلام للمشيعين بالإنصراف فانصرفوا وألقت زينب عليها السلام بنفسها على قبر أمها ولم تنصرف.

خامساً: ما روي من أنها روت عن أمها عليها السلام بعض الروايات حتى عدت من رواة أمها[٥]. ولا اقل انها روت الوديعة للحسين عليه السلام عن والدتها، وهي قولها عليها السلام: **(قبليه في صدره وشميه في نحره)**.

سادساً: ما روي عن دخولها على أخيها الحسن عليه السلام حال احتضاره، وفي

(١) وفيات الأئمة ص٤٣٦.

(٢) أنظر لسان العرب ج١٣ ص٥٩.

(٣) الأعلام للزركلي ج٣ ص٦٦.

(٤) أنظر نحوه في روضة الواعظين ص١٥٢، البحار ج٤٣ ص١٩٢، اللمعة البيضاء ص٨٦٩.

(٥) أنظر معجم رجال الحديث ج ٢٤ ص ٢١٩، المجدي في أنساب الطالبيين لعلي بن محمد العلوي ص ١٨. وفي ذلك يقول المؤلف النقدي:

روت عن أمها الزهرا علوماً ... بها وصلت إلى حد الكمال
مقاماً لم يكن تحتاج فيه ... إلى تعليم علم أو سؤال
ونالت رتبة في الفخر عنها ... تأخرت الأواخر والأوالي
فلولا أمها الزهراء سادت ... نساء العالمين بلا جدال

رواية أنه أمر برفع الطشت الذي كان فيه الدم لكي لا تراه زينب عليها السلام[1].

سابعاً: ما روي من وجودها عند خروج قافلة الحسين عليه السلام من المدينة متوجهاً إلى كربلاء وقد ورد ما مضمونه: إن العباس عليه السلام هو كفيل هذه الحملة، ومع عدم وجوده فالكفيل هي زينب عليها السلام.

إذن، فالنقل كثير لمن يبحث ويدقق. والظاهر أنه إنما أصبح كأنه غير موجود أمام الجاهلين والغافلين. بل يكفي هذا أيضاً لإثبات وجودها، فإنها مؤدية للإطمئنان مجموعاً وخاصة أننا إذا ضممناها إلى روايات الطف حصل التواتر بوجودها، لو غضضنا النظر عن الأدلة السابقة.

مضافاً إلى أننا ينبغي أن نلتفت إلى كثرة الكتب التي أحرقت وأتلفت خلال التأريخ عن عمد أو غير عمد، فإنها تعدل مئات الألوف. ولعل فيها كثيراً من الأخبار والروايات التي ضاعت فعلاً. ومن جملتها ما نتوخى الحصول عليه من بعض أخبار أهل البيت عموماً وزينب خصوصاً.

وأما عن قبرها فقد قال كحالة: وينسب إليها في مصر مسجدها وفي سنة ١١٧٣ هجرية جدد بناؤوه وتوفيت عام ٦٥ هجرية ودفنت بقناطر السباع بمصر، ويزار ويتبرك به. وينسب إليها الشعر في رثاء الحسين عليه السلام وهو مشهور:

ماذا تقولون لو قال النبي لكم ... ماذا فعلتم وأنتم آخر الأمم

بعترتي وبأهلي بعد مفتقدي ... منهم أسارى وقتلى ضرجوا بدم

ما كان هذا جزائي إذ نصحت لكم ... أن تخلفوني بسوء في ذوي رحمي

---

(١) وفيات الأئمة ٤٣٦.

ويقول فريد وجدي: إنه لزينب بنت الحسين عليه السلام.

وقال كحالة: وحدَّثت عن أمها فاطمة بنت محمد عليهما السلام وأسماء بنت عميس، وروى عنها محمد بن عمرو وعطاء بن السايب وفاطمة بنت الحسين عليه السلام.

واستمرت هذه العلاقة مع الحسين عليه السلام خلال عصر الأئمة عليهم السلام كلهم وكانت تنتج كلا الهدفين: البعد عن الظلم والظالمين، والقرب من رب العالمين. والروايات في ذلك ناطقة وطافحة. إذن، فالعلاقة مع الإمام الحسين عليه السلام استمرت في تلك الأجيال. أما المعصومون عليهم السلام فتصرفوا تجاهها بما يوافق التقية التي يؤمنون بها، وأما غيرهم فتصرفوا باتجاهها بدون تقية.

علاقة الحسين عليه السلام بالفقهاء والعلماء

نتعرض الآن إلى علاقة الفقهاء والعلماء بالحسين عليه السلام جيلاً بعد جيل، ونتعرض تحت هذا العنوان إلى المفاهيم والأحكام التي يمكن أن تستنتج من حركة الحسين عليه السلام وثورته ومقتله في واقعة الطف.

فإن الحسين عليه السلام إمام مفترض الطاعة، وقوله وفعله وتقريره حجة. ولكن الملاحظ أن الروايات عنه في غير واقعة الطف قليلة نسبياً ولكنها موجودة ومتبعة ومنفذة كغيره من الأئمة عليهم السلام، وهذا واقع صحيح في نفسه أكيداً.

جوابه: إن بالإمكان أن نذكر حكمين يمكن أن يستنتجا، بل يستنتجان بوضوح من واقعة الطف:

أحدهما: عقائدي.

ثانيهما: فقهي.

أما الحكم العقائدي فيتكون من فقرتين:

١- إيجابية.

٢- سلبية.

أما الفقرة الإيجابية فأن يستحق، أو بتعبير آخر إن طاعة الله سبحانه تستحق

أن يفدي لها الإنسان كل هذه الأمور مهما عظمت أهميتها وقدسيتها اجتماعياً أو إلهياً. أو قل: دينياً أو دنيوياً. فكل شيء رخيص أمام الله تعالى من مال وجهد ونفس ونفيس ونساء وأطفال ورجال، شيباً وشباناً، على ما حدث فعلاً في واقعة الطف.

فإن عطفنا على ذلك ما روي عن زينب الكبرى عليها السلام أنها وضعت كفيها تحت الجثمان المقدس وقالت: (**اللهم تقبل منا هذا القربان القليل**)[1] على ما في بعض الروايات من وجود صفة (القليل) ونحن نتكلم على كلا التقديرين.

فعلى تقدير أن يكون (القليل) فيها فيبدو من الدلالة الإلتزامية أو الدلالة السياقية لهذا الكلام، وهي دلالة أكيدة وواضحة، وهي إدراك زينب عليها السلام لحقيقة الموقف. أي ادراكها لنسبة شهادة الحسين عليه السلام إلى الله تعالى، وإلى عظمته وارتفاع شأنه وكونه الوجود اللامتناهي. فإذا أدركت الجانب الرئيسي من العظمة الإلهية، والأهمية الإلهية، ستكون حادثة الطف بكل تفاصيلها بما فيها شهادة الحسين عليه السلام بصفته إماماً مفترض الطاعة ومعصوماً وابن رسول الله صلى الله عليه وآله، أمراً يسيراً وهيناً بأزاء العظمة اللامتناهية للخالق سبحانه وتعالى. لأن مصرع الحسين عليه السلام مهما كان عظيماً فهو محدود والمحدود إذا نسب إلى اللامحدود يكون صفراً.

وأما على تقدير عدم وجود صفة (القليل) أمكن تفسيرها بتفسير آخر. وهو أنهم عليهم السلام يدركون تدني شأنهم عن عظمة الله عز وجل إلى حد من المحتمل أن لا يلتفت الله إليهم - لو صح التعبير - ولا يتقبل منهم أعمالهم، ولا يهتم بشأنهم. فإنهم - حسب هذه الفكرة - من الضآلة بحيث لا يستحقون الإلتفات

(١) الكبريت الأحمر ج٣ ص١٣ نقلاً عن مقتل المقرم ص٣٠٧.

والقبول. ولذا تضع زينب عليها السلام يديها تحت القربان المقدس لكي تقدمه تقديماً حسياً أمام الله سبحانه، طامعة برحمته الواسعة في أن يتقبل هذا القربان برحمته لا بالإستحقاق، وتدعو بذلك: **(اللهم تقبل منا هذا القربان)**. كما ورد في بعض الأدعية: **(اللهم افعل بي ما أنت أهله ولا تفعل بي ما أنا أهله)**[١].

وهذا معناه بوضوح أنه ليس هناك أي إعجاب بالعمل أو أي شعور بأهميته بالرغم من أهميته، وإنما هو -حسب الفكرة- تقديم قليل وضئيل ومستحق للرفض من قبل عظمة الله اللامتناهية. وقد ورد: **(لا ينجي إلا عمل مع رحمة)**[٢].

أما العمل وحده من دون رحمة تجعله مقبولاً مبروراً، فليس من المنجيات. وأما الرحمة بدون العمل فإنها لا تأتي، لأن العمل يجعل للإنسان درجة من درجات الإستحقاق للرحمة. فالرحمة بدون عمل توقع للمستحيل.

إلا أن الفكرة الأخرى أيضاً صحيحة، وهي فكرة مقابلة لهذه الفكرة. فإن البشارة موجودة وأن الله تعالى كريم لا بخل في ساحته، بل وسعت رحمته كل شيء. حتى قال بعض أهل المعرفة: (إنك لو نقلت هذه (القشة) من هنا إلى هنا من أجله تعالى لما نسيها الله تعالى لك ولجزاك عليها خيراً).

---

(١) مصباح المتهجد للشيخ الطوسي ص٤٢٠.

(٢) وهو مقطع من خطبة لرسول الله صلى الله عليه وآله والتي ورد فيها: (معاشر الناس، قد حان مني خفوف من بين أظهركم، فمن كان له عندي عدة فليأتني أعطه إياها، ومن كان له علي دين فليخبرني به. معاشر الناس، ليس بين الله وبين أحد شيء يعطيه به خيراً أو يصرف به عنه شراً إلا العمل. أيها الناس، لا يدعي مدع ولا يتمنى متمن، والذي بعثني بالحق لا ينجي إلا عمل مع رحمة ولو عصيت لهويت، اللهم هل بلغت؟). الإرشاد للمفيد ج١ ص١٨٢، البحار ج٢٢ ص٤٦٧، إعلام الورى للطبرسي ج١ ص٢٦٤.

وذلك لمدى الرحمة الواسعة اللانهائية التي تجعل الأمر مع شيء من الإخلاص بمنزلة الضروري. واليأس من رحمة الله حرام حقيقي. فلذا يطمع برحمته أكثر العصاة والكفار، حتى إبليس[1]. وباب التوبة مفتوح طول العمر، مهما كان الإنسان متطرفاً في الكفر وفي الفسوق والفجور.

فإن قلت: فإذا كان الأمر كذلك فلماذا يكون موقف زينب عليها السلام هكذا؟ كأنها تشكك في قبول العمل مع أن الرحمة الشاملة توجب اليقين بالقبول.

قلنا: هذا من توفيق الله سبحانه لها حيث يجعل في ذهنها الحال الذي يقتضي ذلك، وذلك لنفي العجب بالعمل والإعتداد بالنفس. الأمر الذي يسقط به العمل حتماً أمام الله سبحانه. فإذا انتفى العجب حقيقة حصل الشعور بالضآلة حقيقة، وإذا حصل ذلك حصل الشعور بعدم الإستحقاق الذاتي للقبول.

وبحسب النتيجة: إن هذا الكلام منها عليها السلام نفي للإستحقاق الذاتي للعمل لا الرحمة الواسعة، وليس نفياً لها. فالرحمة متوقعة وهي تدعو بالقبول ونزول الرحمة.

فهذه الفكرة عن الجانب الإيجابي من حركة الحسين عليه السلام.

وأما الجانب السلبي فهو عدم إعطاء قيمة عليا لأي عمل يقوم به أي إنسان من المسلمين أو الشيعة أو المخلصين أو الموالين أو الأولياء، ولأي عمل ديني أو دنيوي تجاه القياس بحركة الحسين عليه السلام مهما عظم. سواء كان من سنخه أو من سنخ آخر حتى لو كان في نفع الدين ومصلحته.

---

(١) روي عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «إذا كان يوم القيامة نشر الله تبارك وتعالى رحمته حتى يطمع إبليس في رحمته» الأمالي للشيخ الصدوق ص ٢٧٤، بحار الأنوار ج٧ ص ٢٨٧.

لأننا إما أن ننسبه إلى عظمة الله تعالى فيكون صفراً وإما أن ننسبه إلى شهادة الحسين عليه السلام فيكون بمنزلة الصفر.

أو بتعبير آخر إنه إذا كان الإستحقاق الذاتي للعمل تجاه الله تعالى غير موجود أخلاقياً حتى في واقعة الطف، كما نفهمه من كلام زينب عليها السلام وتصورها الموقف أمام الله تعالى. فكيف يكون موجوداً في ما هو أهون منه وأردأ؟ فهذا غير محتمل إطلاقاً.

أو بتعبير ثالث، إن العجب حيث أنه غير موجود وغير جائز حتى بهذا العمل الذي لعله أعظم أعمال المعصومين عليهم السلام، فكيف يحصل العجب أو يجوز العجب بالنسبة إلى غيره مهما زادت أهميته.

وقد قال بعض أهل المعرفة: إذا قال الخالق للمخلوق: أعطني شيئاً منك. فغاية ما يستطيع المخلوق أن يقول في الجواب: أعطيتك نفسي. فيجيب الخالق: نفسك أنا وهبتها لك، فأعطني شيئاً آخر بحيث لا يكون متعلقاً بي ولا هبة مني. فينقطع كلام العبد.

وهذا ينتج أن التضحيات مهما جلَّت ليست شيئاً معتداً به في مقابل عظمة الله تعالى، فضلاً عن التضحيات البسيطة والإحتمالات الضعيفة مما قد يشعر به الفرد في حياته الإعتيادية من التضحية لله سبحانه وتعالى.

ولذا قال الشاعر:

أنست رزيتكم رزايانا التي سلفت وهوَّنت الرزايا الآتية

مهما كانت التضحية عظيمة بالنفس والنفيس، كشهادة الشهيد الأول والشهيد الثاني، وهدم قبور المعصومين عليهم السلام في البقيع وغير ذلك. فإنها لا تقاس بعظمة الحسين عليه السلام فضلاً عن عظمة الله سبحانه. بل حتى عمل الإمام

المهدي عليه السلام بعد ظهوره سوف لن يكتسب الأهمية ذاتها. وقد قال بعض أهل المعرفة: (إن اصحاب الحسين أفضل من أهل بدر وأصحاب المهدي، لأن هؤلاء أقبلوا على الموت عالمين به يقيناً، وغيرهم ليس كذلك، بل كان احتمال النجاة موجوداً)[١].

فهذه فكرة كافية نسبياً عن الحكم العقائدي وهو الأول مما يمكن أن نستنتجه من واقعة الطف.

---

(١) وقد ذكروا لتفضيل أصحاب الحسين عليه السلام على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله في معركة بدر وجوهاً:
منها: إن أصحاب الحسين عليه السلام أقبلوا على موت محتم، وأصحاب بدر أقبلوا على موت محتمل.
ومنها: إن أصحاب الحسين عليه السلام لم يدعموا بالملائكة كما حصل بالنسبة لأصحاب بدر.
ومنها: إن أصحاب الحسين عليه السلام قاتلوا من ينتمون إلى الإسلام ظاهراً، فتكون المسألة أشد من الناحية النفسية والعقائدية. بينما أصحاب بدر قد قاتلوا من يصرح بكفره وعداوته لله ولرسوله.
ومنها: إن أصحاب الحسين عليه السلام أقل عدداً من أصحاب بدر وأعداء الحسين عليه السلام أكثر عدداً بكثير من أعداء رسول الله صلى الله عليه وآله في غزوة بدر.

في احتمال ارتفاع حكم التقية

وأما الحكم الفقهي، فإنه قد يقال بأننا نستطيع أن نستنتج من حركة الحسين عليه السلام بصفته إماماً مفترض الطاعة حكماً عاماً، وهو إرتفاع حكم التقية وجواز القيام بذلك. باعتبار أن عمل الحسين عليه السلام من السنة القطعية وهي قول المعصوم أو فعله أو تقريره فيكون حجة على كل المسلمين بل على البشر أجمعين.

وإذا خطونا خطوة أخرى في اتجاه هذه الفكرة فقد نقول: إن المسألة غير خاصة بالحسين عليه السلام بل شاملة لكل المعصومين(عليهم السلام)، ونحن نعلم بطريقة موتهم، وأنهم ذهبوا إليها بإختيارهم ومشوا إليها بأرجلهم وإرادتهم.

فإذا طبقنا تلك القاعدة التي قلناها فعملهم أيضاً سنة، وسنة المعصوم حجة. إذن، يمكن لأي واحد منا ومن غيرنا أن يقبل على مثل ما أقبلوا عليه. فإذا دفع لي شخص سماً على أن أشربه يجوز لي ذلك كما فعل الإمام الرضا عليه السلام أو غيره من المعصومين فهل يفتي أحد بمثل هذه الفتوى؟

وجواب ذلك على عدة مستويات:

المستوى الأول: إننا إنما نستطيع أن نعتبر العمل حجة عامة للجميع وتكليفاً يمكن الإلتزام به من قبل الجميع فيما إذا استطعنا أن نجرده عن

الخصوصية الشخصية. أو قل: أن نفهم أن الإمام عليه السلام إنما فعله أو قاله بصفته واحداً من المسلمين أو لتعليم سائر المسلمين بالقيام به، فعندئذ يكون وظيفة عامة لهم جميعاً. وأما مع الإختصاص به أو قل إحتمال الإختصاص به فليس الأمر كذلك. والإحتمال دافع للإستدلال فلا نستطيع أن نستنتج عموم التكليف، فيبقى عمل غيرهم طبقاً للقواعد العامة الأخرى لأننا نحتمل أن بعض ما قاموا به يخص الإمام شخصياً أو يخص طبقة المعصومين عليهم السلام بالذات، وليس منا من هو معصوم بالذات.

المستوى الثاني: إننا لو تنزلنا عن المستوى الأول فيمكن القول أيضاً بعدم إمكان التجريد عن الخصوصية وتعميم الحكم، بإعتبار أن لأعمالهم مصالح معينة هم يعرفونها، فإذا تحقق الموضوع في أي مكان أو زمان أمكن الإقتداء بأعمالهم جوازاً أو وجوباً. ولكن إحراز تحقق الموضوع أو المصلحة أمر مشكل، لأنهم مطلعون على واقعيات كثيرة نحن نجهلها بالتأكيد، وخاصة بعد الإلتفات إلى إحتمال أنهم يدركون من تفاصيل الموضوع ما لاندركه، فيكون هذا الأمر ساقطاً عن ذممنا وموردا للقواعد العامة الشرعية والأصول العملية.

المستوى الثالث: إننا نعرف اختلاف ردود الفعل من قبل الأئمة عليهم السلام تجاه المظالم التي كانت تحصل في زمنهم، فالنبي صلى الله عليه وآله وأمير المؤمنين عليه السلام والحسين عليه السلام كانوا محاربين، وباقي المعصومين عليهم السلام كانوا مسالمين، أو قل كانوا عاملين بالتقية والهدنة، ومنتظرين أمر الله سبحانه بالفرج.

فمع وجود هذا الإختلاف في ردود الفعل تجاه المظالم والمفروض أن كليهما حجة وسنة، فأي منهما نتبع ومنهج من نطبق؟ ولا يمكن تطبيق كلا المنهجين لأننا سنقع عندئذ في تهافت واجتماع الضدين مستحيل.

إذن، فمثل هذه السنة ستتعارض من حيث دلالتها على العموم وتتساقط، وعندئذ تنتفي دلالتها على العموم، أي شمول التكليف للآخرين، ويبقى مورد التكليف مشمولاً للقواعد العامة والأصول العملية.

المستوى الرابع: إن مقتضى إطلاقات أدلة التقية هو وجوبها على كل حال مادام موضوعها باقياً، وهو قوة الظلم والظالمين في العالم. إما بعنوان جواز الفرار من الزحف إذا كان المعسكر المعادي أكثر من الضعف من جيش المسلمين، وإما بعنوان عدم احتمال التأثير احتمالاً معتداً به، وإنما فقط نخسر شيئاً من النفوس والأموال بدون مقابل.

مع الإلتفات إلى أن المسلك العام للمعصومين عليهم السلام كان على التقية بلا شك سوى بعض الحوادث المستثناة، حتى أن أمير المؤمنين عليه السلام جلس في داره عشرين سنة تقريباً، وورد: **(أجريتهم على ما أجريا)**[1].

كما أن الحسين عليه السلام كان في تقية قبل واقعة الطف ومن دلائل ذلك عدة أمور:

١- إن والي المدينة (الوليد بن عتبة) حينما طلب منه البيعة ليزيد لم يرفض

(١) مقطع من زيارة أمير المؤمنين عليه السلام يوم الغدير وقد ورد فيها: «فلما آل الأمر إليك أجريتهم على ما أجريا عليه رغبة عنهما بما عند الله لك، فأشبهت محنتك بهما محن الأنبياء عليهم السلام عند الوحدة وعدم الأنصار وأشبهت في البيات على الفراش الذبيح عليه السلام إذ أجبت كما أجاب وأطعت كما أطاع إسماعيل صابراً محتسباً. إذ قال له يا بني إني أرى في المنام أني أذبحك فانظر ماذا ترى؟ قال يا أبت افعل ما تؤمر ستجدني إن شاء الله من الصابرين. وكذلك أنت لما أباتك النبي صلى الله عليه وآله وأمرك أن تضجع في مرقده واقياً له بنفسك أسرعت إلى إجابته مطيعاً ولنفسك على القتل موطناً. فشكر الله تعالى طاعتك وأبان عن جميل فعلك بقوله جل ذكره: ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضاة الله» المزار للشهيد الأول ص٨٥.

بصراحة وإنما أجاب بقوله: **(إنما نصبح وتصبحون)**[١].

٢- إنتظاره إلى أن وصل إليه من الكوفيين اثنا عشر ألف كتاب، وكان يمكنه الإكتفاء بأقل من هذا العدد، فإن عشرة أو عشرين كاف في ذلك. ونحن نعلم أن خبر الثقة الواحد كاف في الشبهات الموضوعية وهذا منها.

٣- إرساله لمسلم بن عقيل عليه السلام للفحص في الكوفة وعدم مبادرته للذهاب إليها بنفسه. مع علمه أنها كانت في ذلك الحين مخلصة له ومتجهة إليه قبل أن يصرفها عبيد الله بن زياد عن همتها ويغير اتجاهها.

٤- خطبته الأولى [٢] في الطف أمام معسكر الأعداء وهو يعلم أنهم قاتلوه على كل حال، وذلك لأمرين: أحدهما مرتبط بهم والآخر مرتبط به.

أما الأمر المرتبط بهم، فهو حصول أحد أمرين: إما هدايتهم إذا تابوا، أو إقامة الحجة عليهم إذا أصروا.

وأما الأمر المربوط به، فهو ما أسميه بالتقية، أو درجة منها. يعني التجنب عن التورط في الدماء مهما أمكن.

---

(١) حيث قال: «نصبح وتصبحون وننظر وتنظرون أينا أحق بالخلافة والبيعة» مثير الأحزان ص١٤، البحار ج٤٤ ص٣٢٥، اللهوف لابن طاووس ص١٧.

(٢) وقد ورد فيها: «أيها الناس اسمعوا قولي ولا تعجلوني حتى أعظكم بما لحق لكم عليَّ، وحتى أعتذر إليكم من مقدمي عليكم، فإن قبلتم عذري وصدقتم قولي وأعطيتموني النصف كنتم بذلك أسعد ولم يكن لكم عليَّ سبيل، وإن لم تقبلوا مني العذر ولم تعطوا النصف من أنفسكم فاجمعوا أمركم وشركائكم ثم لا يكن أمركم عليكم غمة ثم اقضوا إليَّ ولا تنظرون، إن وليي الله الذي نزَّل الكتاب وهو يتولى الصالحين». مقتل الحسين لأبي مخنف ص ١١٦، تأريخ الطبري ج ٤ ص ٣٢٢.

ولكنه حينما رأى منهم الإعراض عن الحق والإصرار على الباطل، خطبهم خطبته الثانية. وهي تختلف اختلافاً جذرياً عن الأولى. فكان في الخطبة الأولى يبدو هادئاً، ولكنه كان يبدو ثائراً في خطبته الثانية، وتعتبر بمنزلة إعلان الحرب أمامهم لأنه يصفهم بها بكل عظيمة.

يقول فيها: **(ولكن أسرعتم إليها كطيرة الدبى، وتداعيتم عليها كتهافت الفراش، ثم نقضتموها فسحقاً لكم يا عبيد الأمة، وشذاذ الأحزاب، ونبذة الكتاب ومحرفيه، وعصبة الإثم ونفثة الشيطان ومطعني السنن. ويحكم أهؤلاء تعضدون وعنا تتخاذلون؟ أجل والله غدر فيكم قديم وشجت عليه أصولكم وتأزرت عليه فروعكم. فكنتم أخبث ثمرة، شجى للناظر، وأكلة للغاصب. ألا وإن الدعي بن الدعي قد ركز بين اثنتين: بين السلة والذلة، وهيهات منا الذلة. يأبى الله لنا ذلك ورسوله والمؤمنون وحجور طابت وطهرت، وأنوف حمية ونفوس أبية من أن نؤثر طاعة اللئام على مصارع الكرام)**[1].

فهي خطبة حارة وثائرة وتعتبر بمنزلة إقامة إعلان الحرب، فإنه هنا قد بدَّل تكليفه من التقية إلى عدم التقية. فهو إلى تلك اللحظة كان في درجة من درجات التقية.

(١) مثير الأحزان ص٤٠، البحار ج٤٥ ص٨٣، اللهوف لابن طاووس ص٥٩.

علاقة الإمام المهدي عليه السلام بعد ظهوره بالحسين عليه السلام

وأما علاقة المهدي عليه السلام بعد ظهوره بالحسين عليه السلام ، وهما من الأئمة الإثني عشر المعصومين بالذات والمفترضي الطاعة، ومن أصحاب الولاية العامة التكوينية والتشريعية على الكون عامة وعلى البشر خاصة. ومنه ما ورد عن الإمام المهدي عليه السلام نفسه من أن نفعه حال غيبته كالشمس إذا حجبها السحاب[١]. فهو يمثل نفسه بالشمس ويمثل الغيبة بالسحاب وهو سحاب متحرك سرعان ما يزول وتطلع الشمس ويعرفها الناس أجمعون.

ويمثل نفعه وتأثيره في أداء مسؤوليته بتأثير الشمس في الأرض، ولولاها لما وجد نهار. وليس هذا فقط بل لما عاش إنسان ولا حيوان ولا نبات على وجه الأرض. فهي (مُعد) في اصطلاح الفلسفة لابتداء وجود هذه الأمور ولاستمرارها. وكذلك هو (مُعد) لأصل وجودِ ذواتهم بالولاية التكوينية ولتدبير أمورهم بالولاية التشريعية، وكلاهما لديه كما هي لدى آبائه عليهم السلام .

وقد ورد[٢] انه يطأ فرشهم ويحضر مواسمهم، حتى ما إذا ظهر قال

---

(١) فقد ورد عنه عليه السلام : (وأما وجه الإنتفاع بي في غيبتي فكالإنتفاع بالشمس إذا غيبتها عن الأبصار السحاب). كمال الدين للشيخ الصدوق ص٤٨٥، الغيبة للشيخ الطوسي ص٢٩٢، الإحتجاج للطبرسي ج٢ ص٢٨٤، الخرائج والجرائح ج٣ ص١١١٥، البحار ج٥٢ ص٩٢، كشف الغمة ج٣ ص٣٤٠.

(٢) أنظر البحار ج٥٢ ص١٥٤.

البعض: إني قد رأيته قبلاً، يعني رأيته ولم أعرف أنه المهدي عليه السلام. وظاهر بعض الروايات[١] أنه يزور قبور المعصومين عليهم السلام ويحج في كل سنة بطي الأرض ويحضر في مسجد السهلة والكوفة والقدس. كما أنه يحضر المواسم يعني المناسبات العامة لمواليد الأئمة ووفياتهم وبعض المجالس التي تقام بذكر أبائه عليهم السلام بما فيهم مجالس الحسين عليه السلام. ويستشهد لذلك برواية وردت عن الإمام الصادق عليه السلام يقول فيها ما مضمونه: إن هناك مجلساً حضره جماعة من الشيعة فخرج رجل منهم وقابل الإمام عليه السلام فروى له الأمر. فقال الإمام عليه السلام: **(بلى فقد كنت حاضراً)**. فقال الرجل: لم أرك يا سيدي فقال الإمام عليه السلام: **(إنك حينما خرجت عثرت بثوب أبيض)**، فقال الرجل: نعم فقال الإمام عليه السلام: **(هذا الثوب ثوبي)**.

وهذه الرواية وإن كانت ليست عن المهدي عليه السلام لكنها إذا أمكنت للصادق عليه السلام أمكنت للمهدي عليه السلام للماثلة، أو بطريق أولى.

إذن، فحضوره بشكل غير دنيوي لو صح التعبير، وإنما هو مستوى من مستويات التجرد.

إلا أن الذي ينبغي أن نلتفت إليه هو أن الإرتكاز المتشرعي يقضي أنه يحضر كل المجالس التي تقام للمناسبات الدينية.

وأما أنا فأقول: (إنه يحضر المجالس المخلصة فقط دون سواها)، فما كان فيها من الشرك الخفي تركه لا محالة، كحب الدنيا والسمعة والمال ونحو ذلك من الأمور.

كما أنه عليه السلام لا ينقذ كل متورط، بل خصوص من يخلص في دعائه

(١) أنظر نحوه في البحار ج٥٢ ص١٥٦.

وندائه، وأما الذي لا يخلص أو الذي لا يدعو فلا إنقاذ له. ومن هنا نجد الروايات في إنقاذ المتورطين قليلة نسبياً إلا أنها موجودة بالعشرات.

وهذا الأمر لازال وسيبقى موجوداً ولكن بشرطين:

أحدهما: الإخلاص.

ثانيهما: الطلب.

فإذا لم يكن الإخلاص موجوداً لا يأتي لإنقاذه، وإذا لم يحصل الطلب فلا إنقاذ. ولا يحصل الطلب لأحد سببين:

١- التدني الشديد بحيث لا يعتقد أن الإمام ينقذه ونحو ذلك.

٢- الإرتفاع الكامل وأنه يقبل بكل ما قضى الله تعالى وقدَّر.

والحضور المتصور له في المناسبات وغيرها يمكن أن يكون على ثلاثة أشكال غير متكاذبة، أي في الإمكان تحققها جميعاً خلال الزمان كل واحد حسب استحقاقه.

الشكل الأول: الحضور الروحي فقط. ومحصله هو الحب القلبي والميل النفسي لما يقع. وبطبيعة الحال فهم يميلون عليهم السلام إلى طاعة الله تعالى وكل من يقوم بها. إذن، فهم يكونون معه بشكل وبآخر.

وأنا سمعت عدة مرات من عدد من الخطباء يقسم أن الزهراء عليها السلام حاضرة في هذا المجلس، ويشير إلى المجلس الذي تحدث فيه. أو يقول: أنا أعتقد انها حاضرة. وأما أنا فأعتقد أنه يتزلف بذلك إلى صاحب المجلس وإلا فالمعصومون عليهم السلام لا يحضرون إلا مع الإخلاص الكامل لدى صاحب

المجلس.

والمهم الآن أن نلتفت إلى أن الزهراء عليها السلام إنما تحضر بالحضور الروحي لا بالحضور الجسدي، ولذا يتصورها المتشرعة تنزل من علياءها من فوق لا أنها تدخل من الباب كما يدخل الآخرون.

فهنا قد يكون حضور المهدي عليه السلام روحياً كحضور الزهراء عليها السلام.

وأما الشكلان التاليان فيحتاجان إلى مقدمة، وحاصلهما أننا قلنا في تأريخ الغيبة الكبرى(١): إن الغيبة يمكن أن تكون على نوعين غير متنافيين، يعني يمكن الجمع بينهما. هما خفاء الشخص وخفاء العنوان، ونريد بخفاء الشخص أنه يكون حاضراً غير مرئي، ونريد بخفاء العنوان أن يكون حاضراً مرئياً ولكنه بصفة أخرى مثل الحاج سعيد الخياط (٢) مثلاً ولا نعلم أنه المهدي عليه السلام.

فالشكل الثاني: أن يكون حضوره بنحو أطروحة خفاء الشخص يعني يدخل المجلس وهو غير مرئي وهو غير الحضور الروحي الذي تحدثنا عنه.

الشكل الثالث: أن يكون حضوره بنحو أطروحة خفاء العنوان، فأنت تقول: جائني الحاج سعيد الخياط الذي لا تعلم أنه المهدي عليه السلام.

وكذلك بإحدى هاتين الأطروحتين أو الأسلوبين يمكن أن يحضر سائر المناسبات، وزيارات قبور آبائه، والحج. وبهذا أيضاً يمكنه أن يقوم بسائر أعماله المتعلقة بمسؤوليته.

وقد قلنا في المصدر المذكور إن الأغلب من وضع الإمام عليه السلام حسب ما

---

(١) تأريخ الغيبة الكبرى ص٣١ وما بعدها.

(٢) هذا الإسم من باب المثال ليس إلا.

نفهمه هو أطروحة خفاء العنوان، يعني أن يعيش في المجتمع غير معروف الهوية والواقع، ما لم تقتض مصلحة غيبته وظهوره حصول خفاء الشخص، فيختفي لدفع ضرر عنه ونحو ذلك. وذلك لأجل نظرية عامة قلناها هناك، وقد كتبت موسوعة الإمام المهدي عليه السلام طبقاً لها [1]. تقول: إن المعجزة لا تحصل إلا عندما تقتضي مصلحة الهداية ذلك بإذن الله سبحانه.

فإذا لم تقتض المصلحة ذلك فلا حاجة إلى المعجزة، وهذا يترتب عليه نتائج كثيرة جداً، فالنبي صلى الله عليه وآله حارب بدون معجزة في انتصاره، وكذلك أمير المؤمنين عليه السلام وكذلك الحسين عليه السلام وكذلك المهدي عليه السلام بعد ظهوره.

ومنه أيضاً أن أطروحة خفاء الشخص لا تحدث إلا بالمعجزة، فإذا لم تكن هناك مصلحة للمعجزة لم تحدث تلك الأطروحة. وأمكن القول بأن الامام المهدي عليه السلام يعيش في المجتمع كفرد عادي، كل ما في الأمر أنه مجهول العنوان.

إلا أنني بعد ذلك حاولت إعادة النظر في هذه القاعدة العامة، لأنني إنما كنت أعتقد بها لأنني سمعتها من أسلافي، لا لقيام دليل عليها حقيقة. وهي لها منحى مادي إلى حد ما، وذلك لأن فيه إحتراماً لما يسمى بالقانون المادي أو الطبيعي. وقد ذكرت في اليوم الموعود إن القوانين الطبيعية ليست بصحيحة، فليس لها وجود خارجي. ومن العجيب أن الماديين يؤمنون بها على الرغم من أنهم يقولون: ما ليس بمحسوس ليس بموجود. فالقانون كقانون ليس بمحسوس بطبيعة الحال، فهم يعتقدون أن الإحساس بالمعلول إحساس بالعلة. ومع ذلك فإنهم يعتبون حينما نؤمن بوجود الله تعالى بإحساسنا بمعلولاته.

---

(١) فلذا كان (قدس سره) يقول: الموسوعة لا تمثل مستواي الآن وإنما تمثل مستواي في ذلك الحين.

ففكرة القانون كلية، والخارج هو عالم الجزئيات. لأن الذهن حينما يرى أفراداً كأفراد الإنسان فإنه يحمل عنها فكرة مشتركة ويسميها الإنسان.

فالذهن ينتزع معنى عاماً نسميه بقانون الجاذبية أو غيره، والصورة الذهنية يستحيل أن تؤثر في الخارج.

الخطوة الأخرى بهذا الصدد: إننا تعبدنا بما علمنا به أئمتنا عليهم السلام وهو أن الكون الخارجي محرك بأسباب خارجية وعلل موجودة، هي بالدرجة الأولى الملائكة وهم (قوانين القوانين) حسب ما عبر عنه السيد أبو جعفر (قدس سره)[1]. وفي المرتبة التي فوقهم أرواح المعصومين عليهم السلام وأنوارهم، فهم أبواب الله وأمناؤه.

فالفكرة التي تقول: إن المعجزة لا توجد إلا لضرورة قد انتفت، فإنه لا دليل عليها.

فإذا كان المطلب كذلك، إذن لا يختلف ما يقع في الخارج بين أن يكون بإدراكنا طبيعياً أو معجزة في كونه بإرادة الله تعالى وتأثير العلل العليا. وقد كنت أقول لبعض طلابي: إن كل شيء يحدث بمعجزة، إلا أننا اعتدنا على بعض الأشياء فحسبناها قوانين طبيعية ولم نعتد على البعض الآخر فحسبناها خرقاً للقوانين.

نعم، الهداية من موارد إمكان المعجزة، ولعلها ألطف مكان لها. ولذا يقوم الأنبياء والأوصياء بمعاجزهم لاثبات صدق مناصبهم هداية للناس. إلا أن بين الهداية وبين المعجزة عموماً من وجه. فقد يكون مورد الهداية بدون معجزة

---

(١) السيد محمد باقر الصدر (قدس سره).

وقد تحدث المعجزة لأمر آخر غير الهداية.

إن قلت: فإن اختفاء الإمام عليه السلام بعد لقائه إنما هو معجزة للحماية لا للهداية.

قلنا: بل للحماية والهداية معاً، لأن هذه الحماية لأجل بقائه إلى حين الظهور وحصول هداية الناس للحق. مضافاً إلى هداية الشخص الذي يراه بنفسه، مضافاً إلى كونها امتحاناً للموالين. وقد ورد: إن أولياءه لا يشكون، ولو علم أن أولياءه يشكون ما غيبه طرفة عين.

فإن قلت: إذن، لماذا لم يستعمل النبي صلى الله عليه وآله وأمير المؤمنين عليه السلام والحسين عليه السلام والمهدي عليه السلام المعجزة في قتال أعدائهم؟

قلنا: ذلك نظام آخر داخل في نسق التدبير العادل الكامل الذي يدبر الله تعالى به خلقه وكونه، وكثير من فقراته مجهولة لدينا. أو هي من الأسرار التي لا يعرفها إلا خاصة الخلق والراسخون في العلم.

والشيء المعروف لدى خاصة المتشرعة ما قاله في القرآن الكريم: ﴿لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ﴾[1]. ولأجل ذلك لم يكثر وجود المعجزة، لكي يكون الإيمان ممحصاً، ليصبح مخلصاً. وإلا فالإيمان السهل الساذج لا يكون ممحصاً فلا يكون مخلصاً، فينسد باب التكامل الأعلى.

ومن زاوية أخرى قريبة يمكن أن نقول: إن الأشياء تعرف بأضدادها، فإذا عاش الفرد الإيمان والعدل ورآه طبيعياً ساذجاً لم يعرف نعمة الله عليه. وإنما

(١) الأنفال ٤٢.

المهم أن يقارن حسياً بين العدل والظلم والصلاح والفساد ليستطيع أن يقول بإخلاص: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ لَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ وَنُودُوٓا۟ أَن تِلْكُمُ ٱلْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[1].

إذن، فمن الصحيح أن الأصل هو قلة المعجزة، وأن الله تعالى يريد أن يري الناس الأشياء سائرة على الطريق الطبيعي الإعتيادي. فمثلاً إذا أراد الله تعالى استجابة الدعاء أحدث له سبباً لا أنه يستجيب بالمعجزة، وبحسب تعبير السيد أبي جعفر (قدس سره) أنها تتميع في الطريق. وبحسب فهمي: إنه يقصد أن الله تعالى يلبسها ثوب القانون الطبيعي وليس شيئاً خارقاً للعادة.

فإن قلت: إنه يظهر من الكتاب والسنة أن المعجزات كانت تحصل فيما قبل الإسلام أكثر مما تحصل فيما بعد الإسلام. حتى في زمن الأئمة عليهم السلام، فإنهم قللوا المعجزات إلا بمقدار أقصى الضرورات. مع العلم أن المناسب هو العكس لأننا نعرف ارتفاع شأن قادة الإسلام عن القادة السابقين.

وجوابه من عدة وجوه:

أولاً: إنه لا دليل على ذلك، كل ما في الأمر أن المعجزات منقولة عن العصور السابقة على الإسلام، وأما إذا لاحظنا نسبتها إلى الزمان والمكان الذي وقعت خلاله وهو مكان واسع جداً وزمان طويل جداً لما وجدناها نسبة عالية إطلاقاً.

ثانياً: إننا ندعي لا أقل بنحو الأطروحة: إن هذا الذي قلناه بالجواب الأول ليس بصحيح، وكانت المعجزات كثيرة قبل الإسلام، لكننا نقول: إن

(١) الأعراف ٤٣.

المعجزات بعد الإسلام أيضاً كثيرة جداً بالمقدار المناسب لها، لكن الغافلين والسادرين بأمور الدنيا يدَّعون أنها قليلة. إلا أن أصل وجود المعجزة بغض النظر عن إعلانها متوفر.

ثالثاً: إن أمة الإسلام هي الأمة المرحومة، يعني أن العقوبات الدنيوية المعجلة وإن كانت تستحقها إلا أنها لا تأتي، لأن رسول الله ﷺ هو نبي الرحمة. فمن حين بعثته إلى يوم القيامة انقطع هذا الزخم من العقوبات الذي كان موجوداً قبل ذلك. وبذلك انقطع عدد كبير من المعجزات. لأن كثيراً من العقوبات السابقة إنما كانت تأتي على نحو المعجزة، فبانقطاعها انقطعت كثير من المعجزات.

رابعاً: إن هناك تعمداً في الحكمة الإلهية لتقليل المعجزة بعد الإسلام لكي ينال كل شخص استحقاقه. فإذا كانت له قابلية الفسق أو الكفر أونحو ذلك فلتأخذ طريقها تماماً. فلعله إذا رأى معجزات كثيرة أن يتوب أو يؤمن، إلا أن المصلحة لا تقتضي ذلك. بل ينبغي أن يؤخذ الإيمان من أي فرد صعباً وببطء وليس سهلاً كما قال تعالى: ﴿إِن نَّشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ءَايَةً فَظَلَّتْ أَعْنَٰقُهُمْ لَهَا خَٰضِعِينَ﴾[1] يعني ولكننا لا نفعل ذلك.

فإن قلت: فإن هذا بنفسه ينطبق على ما قبل الإسلام أو قل ينطبق على البشر أجمعين، فلماذا كانت المعجزات قبل الإسلام أكثر؟ لو قبلنا ذلك وتنزلنا عن الوجوه السابقة.

جوابه: إنه يمكن القول: إن مستوى البشرية كان مختلفاً جداً من حيث أن (الطبع العام) لو صح التعبير كان متدنياً. يندرج في ذلك تدني ذكائهم وثقافتهم

---

(١) الشعراء ٤.

وضعف نفوسهم ومستوياتهم الروحية والمعنوية. مضافاً إلى تدني دعوة أنبيائهم عن دعوة الإسلام. وتكون النتيجة أنهم بمنزلة السفهاء لو حصل قياسهم إلى البشرية بعد الإسلام، فإنهم أكثر وعياً وعقلاً وثقافة وصبراً سواء كانوا مسلمين أو لم يكونوا.

وهذا من أهم الأسباب التي ندركها لنسخ الشرائع السابقة، لأنها لا تصلح لتربية الأجيال الواعية المتأخرة، وخاصة بعد أن أدَّت تلك التعاليم وظيفتها في تربية البشرية وانتهت. وأما من بقي على تلك الأديان فهو جاهل من هذه الناحية لأنه أخذ الدين البسيط طريقاً للتربية المعمقة وهو مستحيل، لأن فاقد الشيء لا يعطيه كما يقولون.

وعندئذ يمكننا أن ندرك أن التبليغ للسفيه وأضرابه ينبغي أن يكون أوضح وأشد تركيزاً من التبليغ لغيره، ولذا اقتضى ذلك زيادة المعجزات.

خذ إليك مثلاً: إن إعلام الطفل أو الأطفال يحتاج إلى كلام أطول وأوضح، وإلى وسائل إيضاح ورسومات ونحو ذلك. في حين يكون الكبير مستغنياً عنها بوضوح.

فمن الممكن القول إن عصور ما قبل الإسلام تمثل دور طفولة البشرية، في حين يمثل الإسلام زمان رشد البشرية ونضجها. ومن هنا احتاج العصر السابق إلى معجزات.

فإن قلت: فهل يمكن أن تدخل البشرية رشدها ونضجها في زمن قصير جداً نسبياً وهو زمن البعثة؟

قلنا: كلا، لم يحصل ذلك. بل التكامل تدريجي وبطيء، حصل على أيدي الأنبياء السابقين جميعاً. مضافاً إلى البلايا الدنيوية التي مرَّت بها البشرية

وشاركت في التربية.

غير أن الله تعالى يعلم أنها قد بلغت النضج الكامل عند بعثة الرسول صلى الله عليه وآله. ومن نتائج ذلك في محل حديثنا: أنها كانت قريبة من النضج منذ زمن بعثة النبي عيسى عليه السلام إلى زمان الإسلام. ومن هنا يمكن القول بقلة حصول المعجزات خلال هذه الفترة أيضاً.

فهذا هو موجز عن علاقة الإمام المهدي عليه السلام بالحسين عليه السلام في عصر الغيبة مع ما انجرَّ إليه الكلام من متعلقات وتفاصيل.

وأما علاقته بالحسين عليه السلام بعد ظهوره، فأهم ما يواجهنا من ذلك: أنه موجود في الروايات أن من أهم شعاراته: (**يا لثارات الحسين**)[1] فإنه يظهر

---

(١) فقد ورد عن الإمام الرضا عليه السلام أنه قال: «ولقد بكت السموات السبع والأرضون لقتله ولقد نزل إلى الأرض من الملائكة أربعة آلاف لنصره فلم يؤذن لهم فهم عند قبره شعث غبر إلى أن يقوم القائم عليه السلام فيكونون من أنصاره وشعارهم يا لثارات الحسين عليه السلام عيون أخبار الرضا ج٢ ص٢٦٨، البحار ج٤٤ ص٢٨٦، أمالي الشيخ الصدوق ص١٩٢. وعن أبي عبد الله عليه السلام في حديث في أصحاب القائم عليه السلام قال: (وهم من خشية الله مشفقون، يدعون بالشهادة، ويتمنون أن يقتلوا في سبيل الله، شعارهم: يا لثارات الحسين عليه السلام، إذا ساروا يسير الرعب أمامهم مسيرة شهر) مستدرك الوسائل ج١١ ص١١٤. وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: له كنز بالطالقان ما هو بذهب، ولا فضة، وراية لم تنشر منذ طويت، ورجال كأن قلوبهم زبر الحديد لا يشوبها شك في ذات الله أشد من الحجر، لو حملوا على الجبال لأزالوها، لا يقصدون براياتهم بلدة إلا خربوها، كأن على خيولهم العقبان يتمسحون بسرج الإمام عليه السلام يطلبون بذلك البركة، ويحفون به يقونه بأنفسهم في الحروب، ويكفونه ما يريد فيهم. رجال لا ينامون الليل، لهم دوي في صلاتهم كدوي النحل، يبيتون قياماً على أطرافهم، ويصبحون على خيولهم، رهبان بالليل ليوث بالنهار، هم أطوع له من الأمة لسيدها، كالمصابيح كأن قلوبهم القناديل، وهم من خشية الله مشفقون يدعون بالشهادة، ويتمنون أن يقتلوا في سبيل الله شعارهم: يا لثارات الحسين، إذا ساروا يسير الرعب أمامهم مسيرة شهر يمشون إلى المولى إرسالاً، بهم ينصر الله إمام الحق. البحار ج٥٢ ص٣٠٧.

ويثأر للحسين عليه السلام.

فإن هذا الجانب، وهو جانب الثأر للحسين عليه السلام له منشئان:

١- **منشأ ثبوتي**: أي واقعي.

٢- **منشأ إثباتي**: أي إعلامي.

أما المنشأ الثبوتي الواقعي، فإن الدعوة المهدوية في حقيقتها عين دعوة الحسين عليه السلام، وهدف المهدي في حركته هو نفس هدف الحسين عليه السلام. وهو إقامة الطاعة الكاملة لله عز وجل على وجه الأرض.

فإن قلت: إن هدف المهدي عليه السلام يختلف عن هدف الحسين عليه السلام، لأن هدف المهدي عليه السلام هو إصلاح كل العالم، فإنه يملأ الارض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً[1].

وأما هدف الحسين عليه السلام فإنه يستفاد من كلامه عليه السلام: **(لم أخرج أشراً ولا بطراً، ولا مفسداً ولا ظالماً، وإنما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدي رسول الله صلى الله عليه وآله)**[2]. فإنه يحمل هم المجتمع الإسلامي وليس وجه الأرض كله.

جوابه من عدة وجوه:

أولاً: إننا حينما قلنا: إن هدف المهدي عليه السلام وهدف الحسين عليه السلام واحد، كان النظر إلى الهدف المشترك بينهما، وهو إيجاد طاعة الله تعالى وإصلاح الناس بمقدار ما هو ممكن. فكل واحد منهما يبذل إمكانه في سبيل

---

(١) أنظر شرح أصول الكافي ج٦ ص٢٥٦، كتاب سليم بن قيس ص٩.

(٢) مناقب آل أبي طالب ج٣ ص٢٤١، البحار ج٤٤ ص٣٢٩.

هذه النتيجة. وبهذا يفترق كل واحد منهما عن الآخر. فبحسب إمكانيات الحسين عليه السلام فإنه يصلح المجتمع المسلم، وبحسب إمكانيات المهدي عليه السلام فإنه يصلح العالم كله. وهذا لا ينفي أنهما مشتركان في الهدف، فكلاهما يريد أن يطبق طاعة الله تعالى.

ثانياً: إن غرض الحسين عليه السلام وتصريحه إنما هو بمقدار (ثبوتي)، وهو ما هو ممكن في ذلك الحين. وليس من المعقول أن يعرض هدفاً خارج إمكانه، فالله تعالى لا يريده منه، والناس أيضاً لا يتوقعونه. وبمقدار (إثباتي) أنه بمقدار ما يعقله الناس، وأما ما زاد على ذلك فهو غير مناسب مع عقولهم في ذلك الحين، لأنهم لم يكونوا يعرفون كل العالم عندئذ فضلاً عن أن يتوقعوا هدايته.

مضافاً إلى أن الحسين عليه السلام لو كان قد انتصر انتصاراً دنيوياً، ووفق لسعة حركته وقوته وسيطرته على المجتمع، لتوسع إلى هداية كل الناس بالتأكيد.

ثالثاً: إننا نستطيع أن نفهم من الأمة: الأمة المدعوة، لا الأمة الداعية. فإن الله تعالى أرسل رسوله صلى الله عليه وآله للبشر أجمعين. إذن، فأمة محمد صلى الله عليه وآله هم كل البشر.

فالأمة الداعية هم المسلمون، والأمة المدعوة هم باقي البشر، فهم أمة محمد صلى الله عليه وآله وإن أنكروا. إذن، فالإصلاح الذي طلبه الحسين عليه السلام إنما هو في أمة جده صلى الله عليه وآله الداعية منها والمدعوة أيضاً.

وأما المنشأ الإثباتي الإعلامي، فهو الاستفادة الإعلامية لكسب الرأي العام إلى صالحه، من حيث أن الحسين عليه السلام هو أوضح أشكال الحق المهتضم والمظلوم. ولا يوجد في البشرية من ينتقده إلا النادر جداً، ولا يوجد من لا يأسف على مقتله إلا القليل القليل. ومن ثم فسوف تكون نصرة الحسين عليه السلام

من أعظم الشعارت الإسلامية التي توجب له النصر والتقدم.

ونحن نعلم أن أي حركة إذا أريد لها النجاح، أو قل إذا أرادت قناعة الناس بها، فإنها تحتاج إلى شعار مُسَلَّم الصحة جمهورياً أو شعبياً أو عند الأعم الأغلب من الناس.

ومن أمثلة ذلك: إن أي اتجاه في البلاد الإسلامية سواء كان محقاً أم مبطلاً، ينبغي أن يعلن مناوئته لإسرائيل لكي يقبله الناس، ويكسب الرأي العام إلى جنبه. ولكن ماذا لو لم تكن إسرائيل موجودة؟ ماذا كان يقول الناس؟ وكيف تتكلم وسائل الاعلام؟ الله أعلم.

وعلى أي حال فنصرة الحسين عليه السلام وعداء اليهود حق، ومن المحتمل أيضاً بل من المؤكد اتخاذ المهدي عليه السلام شعار عداء اليهود، بل مبادرته لقتالهم والقضاء عليهم. وهذا ما ورد في كتب الفريقين. وفي بعض الروايات: إنه يتتبعهم تحت كل حجر ومدر، حتى يقول الحجر: هذا تحتي يهودي فاقتله[1].

تبقى بعض الأسئلة حول نصرة الحسين عليه السلام أو قل أخذ المهدي عليه السلام بثاراته.

أولاً: أن يقال: كيف يحصل ذلك مع أن قتلة الحسين عليه السلام قد ماتوا قبل سنين طويلة، ولا وجود لهم على وجه الأرض لكي ينتقم منهم. مضافاً إلى أن

(١) فتح الباري لابن حجر ج٦ ص٤٥٠، الآحاد والمثاني للضحاك ج٢ ص٤٤٩، المعجم الأوسط للطبراني ج٤ ص٢٤٦، الفايق في غريب الحديث للزمخشري ج٢ ص٤٣٠، كنز العمال للمحقق الهندي ج١٤ ص٣١٥، تأريخ مدينة دمشق لابن عساكر ج٢ ص٢٢٥، غريب الحديث لابن قتيبة ج١ ص٧٣، صحيح البخاري ج٣ ص٢٣٢، مسند أبي يعلي ج٩ ص٣٩٣، كتاب الفتن للمروزي ص٣٤٧، مسند أحمد ج٢ ص١٢٢، صحيح مسلم ج٨ ص١٨٨، سنن الترمذي ج٣ ص٣٤٥.

التوابين والمختار الثقفي قد بادروا إلى الإنتقام منهم في ذلك الحين. فهل من العدل أن يحصل القصاص مرتين؟

جوابه من عدة وجوه:

الأول: من زاوية الافتراض الأقرب إلى ارتكاز المتشرعة أنه لا ينتقم من أشخاص المعسكر المعادي للحسين عليه السلام، وإنما من بعض الناس الذين يعيشون في زمان المهدي عليه السلام. حينئذ نقول: بأن هناك اتجاهاً فكرياً لإعطاء وحدة لمجموعة من الناس بالرغم من عدم اجتماعهم بالزمان ولا بالمكان. وهذا الاتجاه موجود في القرآن الكريم، فمثلاً في سورة البقرة حينما يقول: ﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ﴾[1] فإنه يعتبر المجموع مجموعاً واحداً. فيقول: ﴿وَأَنزَلۡنَا عَلَيۡهِمُ ٱلۡمَنَّ وَٱلسَّلۡوَىٰۖ﴾[2] في حين أنه أنزله على أجيالهم السابقة. ويقول: ﴿وَإِذۡ قَتَلۡتُمۡ نَفۡسٗا فَٱدَّٰرَٰٔتُمۡ فِيهَاۖ﴾[3] وإنما قتلها السابقون. ويقول: ﴿وَإِذۡ وَٰعَدۡنَا مُوسَىٰٓ أَرۡبَعِينَ لَيۡلَةٗ ثُمَّ ٱتَّخَذۡتُمُ ٱلۡعِجۡلَ مِنۢ بَعۡدِهِۦ وَأَنتُمۡ ظَٰلِمُونَ ۝٥١ ثُمَّ عَفَوۡنَا عَنكُم مِّنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ۝٥٢﴾[4]. ويقول: ﴿وَإِذۡ قُلۡتُمۡ يَٰمُوسَىٰ لَن نَّصۡبِرَ عَلَىٰ طَعَامٖ وَٰحِدٖ فَٱدۡعُ لَنَا رَبَّكَ﴾[5] وغير ذلك، وإنما حصل كل ذلك في أجيال سابقة.

وليس ذلك جزافاً، لأن القوم أنفسهم يشعرون بالوحدة فيما بينهم، فكأن ما حصل في أي جيل قد حصل في كل جيل. وكأن المتأخرين كانوا حاضرين

---

(١) البقرة ٤٠.

(٢) الأعراف ١٦٠.

(٣) البقرة ٧٢.

(٤) البقرة ٥١ ـ ٥٢.

(٥) البقرة ٦١.

مع المتقدمين، وكلهم بنو إسرائيل كوحدة متكاملة. وكذلك كل قوم تجمعهم وحدة معينة مستمرة في أجيال عديدة مثل العشيرة أو الدين أو المذهب وغير ذلك.

إذن، فقتلة الحسين عليه السلام بلحاظ هذه الوحدة موجودون، إما بعنوان العشيرة أي بنو أمية، أو بعنوان المذهب، أو بأي عنوان آخر.

الثاني: الإتجاه القائل: (**الراضي بفعل قوم أو شخص كفاعله**)[1]. ويراد بذلك الرضا بالسيئات، فمن رضي بالسيئة فهو كفاعلها، يعني مثله من جميع الجهات. وليس الراضي بالحسنة كفاعلها، وإنما يحصل على ثواب الرضا فقط. فقد يكون جالساً في بيته ويرضى عن ألف شخص يصلون صلاة الليل، فهل يكون له ثواب ألف صلاة؟ طبعاً لا.

فإذا كان الأمر كذلك فإن كل من رضي بفعل قتلة الحسين عليه السلام فهو كمن قتل الحسين عليه السلام، ويستحق القصاص برضاه بمقتل الحسين عليه السلام.

الثالث: إنه يوجد في كل جيل طبقة من الناس المتطرفين في الظلم، بحيث لو كان الحسين عليه السلام موجوداً لقتلوه. وهم على استعداد فعلاً أن يفعلوا شيئاً كواقعة الطف، يعني أن مستواهم النفسي والعقلي والإجتماعي والديني مناسب لذلك. إذن، فالقصاص يأتي على هذه الجريمة، وهي الحفاظ على هذا المستوى المتدني وعدم التوبة منه.

الرابع: إن كل ما مرَّ من الأجوبة السابقة على اعتبار أن المهدي عليه السلام يقتل

(١) أنظر تفسير القمي ج١ ص١٥٧، التفسير الصافي للفيض الكاشاني ج١ ص٥١٧، فرائد الأصول للشيخ الأنصاري ج١ ص٤٨.

عدداً من الناس بعنوان أنهم قتلة الحسين عليه السلام. وهذا لم يثبت وإنما المراد بتلك الشعارات مجرد الإشارة إلى اتحاد الطريق والهدف بينه وبين الحسين عليه السلام.

الخامس: إنه من المحتمل كأطروحة، أنه يخرج قتلة الحسين عليه السلام من قبورهم ويحييهم ويقتلهم من جديد. وحينئذ يصدق شعاره فعلاً. ومن المحتمل أيضاً - كما يحتمل ورود ذلك في بعض الروايات - أن الحسين عليه السلام إذا رجع يعطى هذه الصلاحية، فيستخرج قتلته ويقتلهم بنفسه [1]. وإن كانت هذه الرواية على تقدير وجودها ضعيفة، وقابلة للمناقشة دلالة. لأن المنساق منها هو التشفي والإنتقام، ونحن نجل المعصومين عليهم السلام عن مثل هذا المستوى. إلا أن يراد به مصالح ثانوية مناسبة مع هداية أهل ذلك العصر الذي تحدث فيه هذه المعجزة وما بعده.

---

(١) روي عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال: إن أول من يكر إلى الدنيا الحسين بن علي عليه السلام وأصحابه، ويزيد بن معاوية وأصحابه فيقتلهم حذو القذة بالقذة، ثم قال أبو عبد الله عليه السلام: (ثم رددنا لكم الكرة عليهم وأمددناكم بأموال وبنين وجعلناكم أكثر نفيراً) بحار الأنوار للعلامة المجلسي ج ٥٣ ص ٧٦. وفي رواية عن جابر قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: والله ليملكن رجل منا أهل البيت الأرض بعد موته ثلاثمائة سنة، ويزداد تسعاً، قال: قلت: فمتى ذلك؟ قال: بعد موت القائم، قال: قلت: وكم يقوم القائم في عالمه حتى يموت؟ قال: تسع عشرة سنة، من يوم قيامه إلى موته قال: قلت فيكون بعد موته هرج؟ قال: نعم خمسين سنة. قال: ثم يخرج المنصور إلى الدنيا فيطلب دمه ودم أصحابه فيقتل ويسبي حتى يقال لو كان هذا من ذرية الأنبياء، ما قتل الناس كل هذا القتل، فيجتمع الناس عليه أبيضهم وأسودهم، فيكثرون عليه حتى يلجئونه إلى حرم الله فإذا اشتد البلاء عليه، مات المنتصر، وخرج السفاح إلى الدنيا غضباً للمنتصر، فيقتل كل عدو لنا جائر، ويملك الأرض كلها، ويصلح الله له أمره، ويعيش ثلاثمائة سنة ويزداد تسعاً. ثم قال أبو جعفر عليه السلام: يا جابر وهل تدري من المنتصر والسفاح؟ يا جابر المنتصر الحسين، والسفاح أمير المؤمنين صلوات الله عليهم أجمعين. بحار الأنوار للعلامة المجلسي ج ٥٣ ص ١٤٦.

السادس: إنه وردت رواية معتبرة السند من روايات الرجعة، أنه يرجع من محض الإيمان محضاً، ومن محض الكفر محضاً[(١)].

والمفهوم متشرعياً أن الرجعة تكون في عصر ظهور المهدي عليه السلام ووجوده. فإن حدثت بعده فلا كلام لنا الآن. ولكن إن صح هذا الفهم المتشرعي، فمعناه أنه يعود أهل الايمان العالي في عصره عليه السلام من أجل المشاركة والمعاونة في إحياء الحق وإماتة الباطل، وإقامة دولة الحق، ومباشرة تطبيق الإسلام على وجه الأرض كله.

وفهم المتشرعة على أن الذي يرجع هم أهل الحق بعد الإسلام لا قبله، ومقتضى القاعدة ذلك، للنضج والرشد الذي يتصفون به مما لا يتصف به السابقون. ولكن إطلاق الرواية يقتضي العموم والشمول. فلا يبعد أن يرجع أي شخص إذا كان في المصلحة والإستفادة أن يرجع إلى الدنيا.

وعلى أي حال فقد وردت رواية كمصداق لهذه القاعدة، تقول بما مضمونه: أنه يرجع سلمان وحذيفة وعمار وأبو ذر وأضرابهم[(٢)]، يعني ممن محض الإيمان محضاً.

(١) روي عن المفضل بن عمر عن الإمام الصادق عليه السلام: (هيهات يا مفضل والله ليردن وليحضرن السيد الأكبر محمد رسول الله صلى الله عليه وآله والصدّيق الأكبر أمير المؤمنين وفاطمة والحسن والحسين والأئمة عليهم السلام وكل من محض الإيمان محضاً أو محض الكفر محضاً) البحار ج٥٣ ص١٤.

(٢) والرواية كما وردت في البحار هي ما يلي: عن المفضل بن عمر، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إذا قام قائم آل محمد استخرج من ظهر الكعبة سبعة وعشرين رجلاً خمسة وعشرين من قوم موسى الذين يقضون بالحق وبه يعدلون، وسبعة من أصحاب الكهف، ويوشع وصي موسى، ومؤمن آل فرعون، وسلمان الفارسي، وأبا دجانة الأنصاري، ومالك الأشتر. بحار الأنوار للمجلسي ج٥٢ ص٣٤٦. وهي تؤيد ما قاله (قدس سره) من أن الرجعة قد تشمل البعض الذين سبقوا أمة رسول الله صلى الله عليه وآله.

كما أن المفهوم متشرعياً أمران:

١- إنه يعود من محض الكفر محضاً ممن هم بعد الإسلام لا قبله.

٢- إنهم يعودون ليس لأجل مباشرة الحياة الإعتيادية فعلاً من ممارسة الحكم، وإنما لأجل التنكيل بهم والإنتقام منهم.

وكلا الأمرين مناسبان مع الطبع، ولا حاجة إلى مناقشتهما. ويكفي أن نلتفت إلى أن المهدي عليه السلام في غنى عن أن يجمع حوله ألوفاً من الكفار والمنحرفين الموجودين في طول البشرية. وإنما يخرج جماعة كنماذج مهمة، ويمارس قتلهم لأجل وجود الحكمة والمصلحة.

وعلى أي حال فمن هذه القاعدة يمكن أن نفهم إمكان أن يرجع بعض شهداء كربلاء، باعتبارهم ممن محضوا الإيمان محضاً، ليمارسوا طاعة الله تعالى والإعانة عليها، وليخدموا المهدي عليه السلام كما خدموا الحسين عليه السلام.

وفي المقابل يمكن أن نفهم أنه يرجع إلى الدنيا بعض أعداء الحسين عليه السلام في واقعة الطف، يعني من المتحمسين والمتطرفين ضده، ولم يكونوا كلهم كذلك كما قلنا في (الأضواء)[١]. إذن، فقد توصلنا مرة أخرى لكونهم يعودون إلى الدنيا، ليمارس المؤمنون قتلهم والتنكيل بهم، من حيث ليس لهم قوة الدفاع ولا حمل السلاح. وربما يمارس ذلك هؤلاء المؤمنون من أهل الطف أنفسهم.

فإن قلت: فإنه يلزم من ذلك أخذ القصاص أكثر من مرة من أي شخص منهم، وهو خلاف العدل الإلهي. وقد حصل من قبل المختار الثقفي رضي الله عنه ولا

---

(١) الأضواء ص١٣٧ وما بعدها.

يمكن أن يتكرر.

قلنا: هذا فيه عدة أجوبة:

منها: إن القصاص يجب أن يكون من ولي الدم، أو من يأذن له ولي الدم. وولي دم الحسين عليه السلام بالأصل هو رسول الله صلى الله عليه وآله، وبالمرتبة الثانية المعصوم الذي يكون موجوداً في عصره.

ومن الواضح أن المختار رحمه الله كان متبرعاً بعمله، ولم يأخذ إذناً بحسب الظاهر من ولي الدم الفعلي الذي هو الإمام السجاد عليه السلام. ومن هنا فإن قصاصه ليس بحجة، وإنما كان مجرد انتقام إلهي معجل لهؤلاء القوم المتطرفين الضالين.

ومن هنا يتعين أن ينزل القصاص أحد المعصومين عليهم السلام، وحيث لم ينزله أحد من السابقين منهم، إذن فيتعين أن ينزله المهدي عليه السلام.

ومنها: إن هناك أنواعاً من بلاء الدنيا وبلاء الآخرة، تكون سبباً لغفران الذنوب وستر العيوب. ومعنى ذلك أن الله تعالى برحمته الواسعة لا يريد أن يدخل الناس جهنم، ويتوصل بمختلف الأساليب لأجل هذه النتيجة. فبلاء الدنيا موجب لغفران الذنوب لدى البشر.

ومن جملة البشر هم قتلة الحسين عليه السلام. فربما -كأطروحة- أننا نقول: إن جملة منهم كما قربنا في (الأضواء) لم يكونوا معاندين بالشكل الذي يتصوره المتشرعة. فلربما أن جملة منهم من غير المعاندين يتسبب الله تعالى إلى تقليل ذنوبه. إذن، فهي رحمة بهم ولو بدرجة ما، وذلك بشيء من بلاء الدنيا وشيء من بلاء الآخرة.

حوادث الظهور

الخطوة الأخرى، أن من جملة الأمور التي ينبغي أن تذكر بهذا الصدد التي لها ربط في علاقة المهدي عليه السلام بالحسين عليه السلام . أنه ورد أن الله تعالى في ليلة واحدة يجمع ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً من خاصة الخلق، يجمعون على غير ميعاد - أي بإذن الله تعالى وإرادته - في المسجد الحرام[1].

(١) روي عن أبي جعفر الباقر عليه السلام أنه قال: (إن القائم يهبط من ثنية ذي طوى في عدة أهل بدر - ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً- حتى يسند ظهره إلى الحجر الأسود، ويهز الراية الغالبة). كتاب الغيبة للنعماني ص٣١٥. وروى جابر الجعفي عن الإمام الباقر عليه السلام أنه قال: (والقائم يومئذ بمكة، قد أسند ظهره إلى البيت الحرام مستجيراً به ينادي: يا أيها الناس إنا نستنصر الله ومن أجابنا من الناس فإنا أهل بيت نبيكم ونحن أولى الناس بالله وبمحمد صلى الله عليه وآله، فمن حاجني في آدم فأنا أولى الناس بآدم ومن حاجني في نوح فأنا أولى الناس بنوح ومن حاجني في إبراهيم فأنا أولى الناس بإبراهيم عليه السلام ومن حاجني في محمد صلى الله عليه وآله فأنا أولى الناس بمحمد صلى الله عليه وآله ومن حاجني في النبيين فأنا أولى الناس بالنبيين. أليس الله يقول في محكم كتابه: (إن الله اصطفى آدم ونوحاً وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين ذرية بعضها من بعض والله سميع عليم) فأنا بقية من آدم، وذخيرة من نوح، ومصطفى من إبراهيم، وصفوة من محمد. صلى الله عليه وآله ألا ومن حاجني في كتاب الله فأنا أولى بكتاب الله. ألا ومن حاجني في سنة رسول الله وسيرته فأنا أولى الناس بسنة رسول الله وسيرته. فانشد الله من سمع كلامي اليوم لما أبلغه الشاهد منكم الغائب وأسألكم بحق الله وحق رسوله وحقي فإن لي عليكم حق القربى برسول الله لما أعنتمونا ومنعتمونا ممن يظلمنا فقد أخفنا وظلمنا وطردنا من ديارنا وأبناءنا وبغي علينا ودفعنا عن حقنا وآثر علينا أهل الباطل. فالله الله فينا لا تخذلونا وانصرونا ينصركم الله، فيجمع الله له أصحابه ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً، فيجمعهم الله له على غير ميعاد قزع كقزع الخريف. وهي يا جابر الآية التي ذكرها الله: ﴿أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ جَمِيعًا إِنَّ اللَّهَ =

وفي قصة أخرى: إنه يقول لأصحابه الخاصة: إن أهل مكة خانوني وغدروني، فمن منكم يذهب ليلقي الحجة عليهم؟ فيقول محمد النفس الزكية: أنا. فيذهب ويخطب بين الركن والمقام، ويلقي الحجة عليهم، فيقومون ويثورون به فيقتلونه. فيصل الخبر إلى المهدي عليه السلام.

فإذا قتلوه لا يبقى لهم في الأرض من عاذر ولا في السماء من ناصر. ويشتد غضب الله تعالى لقتل هذا المؤمن في المسجد الحرام قرب الكعبة المشرفة. ويكون رد فعل الإمام عليه السلام أن يقول: إن أهل مكة غدروا بي، ولا يكون إلا أن أذهب إليهم وأخطب بهم.

فمن هذه النقطة يبدأ الظهور، وحسب الظاهر أنه مساء عاشوراء بعد صلاة العشاء في سنة من السنين. وقد قربت في موسوعة الإمام المهدي عليه السلام أن أصحابه يذهبون بعنوان أنهم حجاج، ويبقون مقداراً من الزمن إلى أن يصبح محرم وتنتهي العشرة الأولى منه، فيظهر الإمام عليه السلام[1]. ثم يخطب عليه السلام فإذا خطب ثاروا به يريدون أن يقتلوه. فيقوم ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً ممن جمعهم الله تعالى له، وهم المتربون خلال الغيبة الكبرى فيحمونه من القتل.

= عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ فيبايعونه بين الركن و المقام ومعه عهد من رسول الله صلى الله عليه وآله قد توارثه الأنبياء عن الآباء، والقائم يا جابر رجل من ولد الحسين بن علي (صلى الله عليهما) يصلح الله له أمره في ليلة. فما أشكل على الناس من ذلك يا جابر ولا يشكلن عليهم ولادته من رسول الله صلى الله عليه وآله ووراثته العلماء عالماً بعد عالم. فإن أشكل عليهم هذا كله فإن الصوت من السماء لا يشكل عليهم إذا نودي باسمه واسم أبيه واسم أمه) الإختصاص للشيخ المفيد ص٢٥٧. وعن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال: (ولئن أخرنا عنهم العذاب إلى أمة معدودة) قال: العذاب خروج القائم والأمة المعدودة (عدة) أهل بدر وأصحابه. وعن أبي عبد الله عليه السلام في قوله: (فاستبقوا الخيرات أينما تكونوا يأت بكم الله جميعاً) قال: نزلت في القائم و أصحابه يجمعون على غير ميعاد. البحار ج٥١ ص٥٨.

(١) أنظر تأريخ ما بعد الظهور ص٢٧١.

فيبات وهو أخوف الناس ويصبح وهو آمن الناس، ينصره الله في ليلة. ثم يتوارد عليه بعد ذلك المؤمنون حتى يكون قوام جيشه مائة ألف. فيقول لهم: لا يحمل أحد منكم ماءاً ولا طعاماً، ونذهب إلى العراق.

ومضمون خطبته هناك أن يقول: من حاجني بآدم فأنا أولى بآدم، ومن حاجني بنوح فإنا أولى بنوح، ومن حاجني بإبراهيم فإنا أولى بإبراهيم، ومن حاجني بموسى فإنا أولى بموسى، ومن حاجني بعيسى فإنا أولى بعيسى، ومن حاجني بمحمد فإنا أولى بمحمد، ومن حاجني بعلي فإنا أولى بعلي، ثم يعدد الأئمة عليهم السلام إلى أبيه عليه السلام[1].

فأما من كان خارج الأديان فلا كلام معه، فهو أحقر من أن نخاطبه أو أن يخاطبه الإمام عليه السلام.

وأما الأديان فمن هو تبع لإبراهيم عليه السلام فليس له أن يجيب أنه أولى بإبراهيم. وإليهود أيضاً تنقطع حجتهم فهو أولى بموسى عليه السلام. والنصارى أيضاً تنقطع حجتهم فهو أولى بعيسى عليه السلام. وكذلك المسلمون فهو أولى بمحمد صلى الله عليه وآله وأمير المؤمنين عليه السلام، وهذا لا يستطيع أن يقوله أحد الا المؤيد بإرادة خاصة.

والمهدي عليه السلام هو الولي الحقيقي الذي يجب التمسك به والإنضواء تحت لوائه، وهو الوريث الحقيقي والكامل لما لديهم من علم ومواهب وكمال وأهداف.

فهذه نتف من علاقة الإمام المهدي عليه السلام بالحسين عليه السلام.

(١) أنظر تفصيل القصة مع خطبة الإمام عليه السلام في البحار ج٥٢ ص٢٣٨، كتاب الغيبة للنعماني ص٢٨١، الاختصاص للشيخ المفيد ص٢٥٦. وقد ذكرنا الخطبة في هامش سابق قبل قليل فراجع.

علاقة الحسين عليه السلام بالشعراء

نتعرض الآن إلى تأثير الحسين عليه السلام في الشعر عموماً، حتى نسب إلى الأديب المصري المعروف الدكتور طه حسين قوله: (لا زال الشعر رافضياً). وبالتأكيد أنه لولا ثورة الحسين عليه السلام لما كان كذلك.

وبعد ذلك أن أفضل الشعراء في اللغة العربية، هم الشعراء الإماميون الاثنا عشريون بتأثير مذهبهم في ذلك فعلاً. فبالرغم من أننا نجد الفطاحل من الشعراء العرب من الأديان الأخرى والمذاهب الأخرى، سواء في صدر الإسلام أو العصر الحديث. إلا أن الشعر الشيعي يتميز بمزايا لا يمكن للآخرين الإتصاف بها أو السير باتجاهها أو حتى نكرانها.

دعبل الخزاعي

ونتعرض الآن إلى دعبل الخزاعي. ولديوانه عدة طبعات منها بتحقيق شخص شيعي[١]، ومنها بتحقيق شخص سني[٢]. وقد وجدت السني يعتبر دعبل رجل هزل ومجون. كما يعتبر أن شعره مقسم إلى ثلاثة أقسام: بعضه محرز الإنتساب إليه، وبعضه مشكوك، وبعضه منتحل يعني معلوم عدم الإنتساب إليه. ويعتبر قصيدته التائية المشهورة من المشكوك. وأنها محاولة من الشيعة لإعتباره شيعياً، وإلا فالأمر يختلف في نظره كثيراً.

كما أنه يتورط بأحد الأبيات التي يقول فيها: (وقبر بطوس يا لها من مصيبة). مع العلم أنه لم يكن في حياة الإمام الرضا قبر للعلويين هناك. هل هو مدسوس في القصيدة؟ أم يدل على كذب القصيدة ككل؟ أم هناك قبر مجهول صاحبه؟ كل ذلك لنفي العقيدة الشيعية بعلم الإمام عليه السلام، وأنه من التنبؤ الصادق بالمستقبل. لأنه حتماً قرأ الرواية، إلا أنه أخذها مسلمة الكذب.

وفي حدود فهمي، أن بعض الشيعة خلال الأجيال، كانوا يتقربون إلى الله تعالى بإيجاد إضافات إلى الأشعار المسموعة والموروثة اتباعاً لنفس هدف

---

(١) هو عبد الصاحب الدجيلي.

(٢) منها طبعة للدكتور عبد الكريم الأشتر، ومنها طبعة للدكتور محمد يوسف نجم.

الشاعر الذي هو نظيف وفيه هدى وموعظة. ولا يعلمون أن هذا من الكذب الحرام، لأنها تكون منسوبة إلى الشاعر نفسه، وهو خطأ.

وطبقاً لذلك قد أزيد في عدة قصائد:

منها: قصيدة الفرزدق في مدح الإمام السجاد عليه السلام. ومن علامات ذلك أنه اختلف في أولها، هل هو قوله: (هذا الذي تعرف البطحاء وطأته)[1]، أم قوله: (يا سائلي أين حلَّ الجود والكرم)[2]. والمناسب مع قصتها هو الأول لا محالة لأنه جواب قوله: من هذا؟[3].

ومنها: إنهم أزادوا أيضاً في القصيدة التي أولها: (شيعتي ما إن شربتم عذب ماء فاذكروني)[4]. حتى ذكروا مقتل الحسين عليه السلام وحوادث الطف كلها فيها. مما يستحيل صدوره عادة عن الحسين عليه السلام.

ونحن نستدل على تحريف التوراة بأدلة منها: إن فيها ذكر موت موسى عليه السلام ودفنه، فكيف يكون ذلك قد نزل وحياً على موسى نفسه أو كتبت في عصره. فإما أن يكون كله مدسوساً أو بعضه.

ومنها: إنهم أزادوا في القصيدة التي يرثى بها مسلم بن عقيل عليه السلام وهي الهائية التي يقول فيها:

وسحباً تجر بأسواقهم ألست أميرهم البارحة

(١) كما في مستدرك الوسائل ج١٠ ص٣٩٤، شرح الأخبار للقاضي المغربي ج٣ ص٢٦٤، الإرشاد ج٢ ص١٥١.

(٢) كما في مناقب آل أبي طالب ج٣ ص٣٠٦، البحار ج٤٦ ص١٢٥.

(٣) أنظر الاختصاص للشيخ المفيد ص١٩١.

(٤) هي أبيات تنسب إلى الحسين عليه السلام نفسه. أنظر مستدرك الوسائل ج١٧ ص٢٦.

ومنها: إنهم أزادوا في القصيدة المنسوبة إلى الإمام الهادي عليه السلام، ولعلها لا تزيد أصلاً على عشرة أبيات في حين جعلوها طويلة، والتي أولها:

باتوا على قلل الأجبال تحرسهم   غلب الرجال فلم تنفعهم القلل

ولا أعتقد أنها للإمام الهادي عليه السلام وإنما تنسب إلى شاعر من الشعراء. وقد استشهد بها الإمام الهادي عليه السلام في مجلس شراب المتوكل[1].

وأزادوا كذلك في قصيدة دعبل، وهي بالأصل طويلة، إلا أن أبياتها واضحة الإختلاف في الرصانة والركاكة. فمن الراجح أن نقول أن الركيك منها ليس لدعبل بل هو من المدسوس. ومن علامات ذلك أنها أيضاً اختلف في أولها في عدة احتمالات، والمشهور[2] أن أولها:

مدارس آيات خلت من تلاوة   ومنزل وحي مقفر العرصات

فالمهم أننا نأخذ القصيدة إما من المصادر الموثوقة، أو نأخذها من تلك الأبيات التي تتواجد في كل المصادر دون تلك الأبيات التي تذكرها بعض المصادر دون بعض.

وهذه النتيجة لأن الطبع والنشر لم يكن موجوداً فيما سبق، فقد أصبح الدس والزيادة فيها سهلاً، والنسبة إلى الشاعر ميسوراً.

وأنا رأيت بعض كتب المشجرات والأنساب المخطوطة فيها إضافات بخط جديد ممن كان يرغب بإضافة نسبه إلى الكتاب، بعنوان أن المؤلف هو الذي

---

(١) أنظر البحار ج٥٠ ص٢١١، البداية والنهاية لابن كثير ج١١ ص٢٠.

(٢) راجع عيون أخبار الرضا ج١ ص٢٩٤، كفاية الأثر ص٢٧٦، روضة الواعظين ص٢٢٧، مستدرك الوسائل ج١٠ ص٣٩٤، الإرشاد ج٢ ص٢٦٣، البحار ج٤٩ ص١٤٧.

ذكره. فيخيب الله ظنه لكونه معروفاً باختلاف الخط.

وعلى أي حال، فقصيدة دعبل قد شاركت فعلاً في أهداف الحسين عليه السلام إعلاماً وهداية ومعارضة. وتعرض دعبل إلى ظهور صاحب الأمر عليه السلام وأقره الإمام الرضا عليه السلام[1]. وواضح من سياق الرواية أن دعبل لم يكن يحدد شخصه كما نحدده الآن، وإنما سمع به إجمالاً[2].

وحسب فهمي أن إعلان هذا الإتجاه بصراحة على المجتمع كان مخالفاً للتقية. وإنما عرفنا ذلك بصراحة عند حصول الإثني عشر أنفسهم. وأما خلال عصر الأئمة عليهم السلام فقد كانت هناك محاولة لكتمه. ومن هنا كان الشيعة الذين يعيشون في البعد عن الإمام عليه السلام يجهلون ذلك، وقد كان دعبل على هذه الصفة. وقد كانت صفة الشيعي يومئذ أنه يؤمن بإمامة أمير المؤمنين عليه السلام وولاية الإمام المعاصر له، يعني يؤمن بالولاية إجمالاً لا تفصيلاً.

ومن ذلك ما ورد[3] أن شخصاً يقول للإمام الرضا عليه السلام: أنت المهدي؟ يعني هل أنت المهدي؟ فيجيب ما مضمونه: كلنا مهديون ولكن لست الذي يملؤها قسطاً وعدلاً.

وقد كان الأئمة عليهم السلام مضطرون تحت ظروف التقية المكثفة إلى بقاء هذا الجهل في أوساط شيعتهم، وإنما يقومون بتزريق الحقائق بالتدريج البطيء. فقد لا يتوفق العديدون إلى الحصول على بعض تلك الحقائق.

---

(١) وذلك عندما قال: (خروج إمام لا محالة خارج يقوم على اسم الله والبركات) أنظر عيون أخبار الرضا ج١ ص٢٩٧.

(٢) أنظر المصدر المذكور في نفس الجزء والصفحة.

(٣) أنظر نحوه في شرح الأخبار ج٣ ص٣٧٩.

وحسب فهمي فإن قصيدة دعبل ليست على نفس المستوى من الجودة، بل فيها أكثر من مستوى.

ويمكن أن نعزو ذلك إلى عدة أسباب:

أولاً: الدس. فما كان ضعيفاً فهو مدسوس، وما كان قوياً فهو له. إلا أن هذا مما لا يمكن أخذه على إطلاقه، بمعنى أن نحكم على البيت بالدس لمجرد ضعفه.

ثانياً: ضعفه الشعري نسبياً، إذ لا شك أن الكميت والفرزدق فضلاً عن المتنبي والشريف الرضي خير منه. والشعر معلول للنفس ولا يمكن أن يزيد على مستوى الشاعر بحال. وأستطيع أن أشبهه بأبي العتاهية من هذه الناحية فإن شعره أغلبه سهل إلا أنه ليس بممتنع. ويحضرني قوله:

فاسمع لقول ناصح يدعى أبا العتاهية

ثالثاً: صعوبة القافية عنده مع إرادة التطويل بالقصيدة أو عدم تكرر الكلمات طبعاً مع إرادة ضغط معاني معينة خلال السياق. فقد تبدو بعض الأبيات متكلفة، أو أن بعض الكلمات يصعب تخريجها لغوياً. كل ذلك لحفظ الوزن والقافية، أو قل لضرورة الشعر كما يعبرون.

وعلى أي حال نسمع في تلك الرواية لقصيدة دعبل أن الامام الرضا عليه السلام كان قد جمع نساءه أيضاً وراء الستر للإستماع والبكاء، والرجل كان واسع النظر لم يقتصر على بعض تأريخ الأئمة عليهم السلام، بل ذكر مصائبهم ومقاتلهم حسب ما يفهمها كلها، كقوله:

أرى فيأهم في غيرهم متقسماً وأيديهم من فيئهم صفرات

وقوله:

أفاطم لو خلت الحسين مجدلاً   وقد مات عطشاناً بشط فرات

وقوله:

وقبر ببغداد لنفس زكية   تضمنها الرحمن بالبركات

ولم يكن الإمام الجواد عليه السلام قد دفن في ذلك الحين إلى جنب جده الكاظم عليه السلام ليذكره.

وقد تعرض دعبل في قصيدته إلى بعض الثوار العلويين، وقد أقره الإمام الرضا عليه السلام على ذلك. والظاهر أنه تعرض إلى الأشخاص الذين يحرز إخلاصهم ووثاقتهم في حركتهم وشهادتهم. وأغلب الذين ذكرهم هم من الشهداء الحسينيين، إما باعتبار كون الرضا عليه السلام حسينياً، أو باعتبار زيادة الإخلاص فيهم كما سبق، حيث يقول:

قبور بكوفان وأخرى بطيبة   وأخرى بفخ نالها صلواتي

وقبر بأرض الجوزجان محله   وقبر بباخمرى لدى الغرفات

وقبر ببغداد لنفس زكية   تضمنها الرحمن بالبركات

وقد تخيل جامع الديوان السني أنه محمد بن عبد الله بن الحسن. وهو من السادة الحسنيين[1]. ولكن المراد به موسى بن جعفر عليه السلام وإنما عبر عنه بالنفس الزكية مدحاً وليس اصطلاحاً. ولا دليل على أن ابن الحسن هذا مدفون ببغداد[2].

---

(١) هو محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب عليهم السلام وكان يلقب بالنفس الزكية ثار ضد المنصور العباسي وقتل. أنظر مقاتل الطالبيين ص١٥٧، شرح الأخبار ج٣ ص٣٢٢.

(٢) بل إن المعركة التي قتل فيها محمد بن عبد الله قد وقعت في الخندق الذي حفره النبي صلى الله عليه وآله في معركة الأحزاب على أربعة أميال من المدينة. أنظر شرح الأخبار ج٣ ص٣٢٢.

ثم يقول:

وقبر بطوس يا لها من مصيبة ألحت على الأحشاء بالزفرات

وقال المعلق السني: وتقول بعض مصادر الشيعة إن الإمام الرضا عليه السلام هو الذي ألحق هذا البيت والبيت السابع عشر بالقصيدة حين أنشده إياها دعبل. ونلاحظ أن (ياقوتاً) عدَّ البيت السابع عشر مما صح عنده من القصيدة وأورده فيها.

أقول: وهو قوله:

إلى الحشر حتى يبعث الله قائماً يفرج عنا الهم والكربات

إلا أن نسبة هذا البيت إلى الإمام الرضا عليه السلام نفسه من الدس. وإنما تنسب مصادر الشيعة البيت الخامس عشر فقط إليه، لأنه قائم على علم الغيب والتنبؤ بالمستقبل الذي يستحيل على دعبل العلم به. وأما قضية المهدي القائم عليه السلام فكان أمراً مشهوراً في ذلك الحين لا يخفى على دعبل وغير دعبل. ونستطيع أن نتحدى القائل بالإثبات لنا بالمصدر الشيعي الذي ينسب هذا البيت إلى الرضا عليه السلام نفسه[١].

(١) لعل هذا من سهو القلم لأن هذا البيت منسوب إلى الإمام الرضا عليه السلام في المصادر التالية: عيون أخبار الرضا ج١ ص٢٩٥، شرح أصول الكافي ج٧ ص٢٩٢، دلائل الإمامة للطبري الإمامي ص٣٥٧، مناقب آل أبي طالب ج٣ ص٤٥٠، البحار ج٤٩ ص٢٣٩، إعلام الورى للطبرسي ج٢ ص٦٧.

المتنبي

شبكة ومنتديات جامع الائمة (ع)

والمتنبي الذي شهد له الجميع أنه أشعر العرب، يمكن القول بأنه شيعي. وأن كتاب الملاح (المتنبي يسترد أباه) وإن كان فاشلاً في هدفه الرئيسي وهو إثبات كونه ولداً للمهدي محمد بن الحسن عليه السلام. إلا أن أدلته تثبت كونه شيعياً، ومن ذلك أنه يقول: إنه كان هناك مدارس خاصة لا يدخلها إلا الشيعة أو الهاشميون قد درس فيها المتنبي في أول أمره فعلاً. وكذلك جملة من أبيات الإفتخار التي يقولها تعطي انتسابه إلى الدوحة الهاشمية، أما علويته فلم تثبت تفصيلاً.

إلا أنه حتى وإن كان شيعياً هاشمياً، إلا أنه رجل دنيوي ومتكبر ومرافق الملوك لأجل الحصول على السمعة والمال. ولا يشعر بدينه وتشيعه مع شديد الأسف، حتى لا تجد له أي بيت ينصر به الدين أو المذهب، أو يمدح شخصاً لتدينه.

ولعل أهم ما قاله في الإفتخار قوله:

أي عظيم أتقي ... أي مجال أرتقي

وكل ما خلق اللـه ولم يخلق

محتقر في همتي ... كشعرة في مفرقي

وهو واضح في عدم خوفه من أي عظيم حتى من عظمة الله سبحانه. كما أنهم استشكلوا عليه فيها أن قوله: (وما لم يخلق) شامل لذات الله نفسه، فكأنه يرى نفسه أعلى من الله سبحانه، ويحتقره بقوله: (محتقر في همتي).

فإن قلت: بأنه لا يقصد ذلك، وإنما يقصد العدم.

قلنا: نعم، إلا أن قوله: (وكل ما قد خلق الله) يشمل الأنبياء والأولياء والعلماء وأضرابهم، فيكونون محتقرين في نظره. والشعر نص في ذلك ولا يمكن الإعتذار فيه.

شوقي

كما أنه من الممكن القول بأن شوقي أمير الشعراء شيعي. وعلى أي حال فإنه ليس مصري الإصل، ولا على مذهب الجماعة. ولا يوجد له نسب في مقدمة ديوانه، والظاهر أنه هو الذي تعمد إخفائه. والذي يقوله الثقاة: إنه تركي الأصل علوي المذهب، يعني ممن يعتقد بإلهية علي عليه السلام. فهو من هذه الجهة إن لم يكن شيعياً فهو يقدس ويحترم علياً عليه السلام إجمالاً كما تحترمه الشيعة وتقدسه. أو قل: إن مذهبه أقرب إلى التشيع من هذه الناحية من التسنن، وإن كان هو رجل دنيوي من شعره، وليس له إلا قصيدة واحدة في مدح النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وكل أشعاره الأخرى للدنيا والشيطان.

يبقى عندنا مشاهير الشعراء غير المتنبي وشوقي، هم من الشيعة أكيداً وبضرورة التأريخ. كالكميت الأسدي والشريف الرضي والصاحب بن عباد والسيد حيدر الحلي والسيد جعفر الحلي والجواهري والفرطوسي والشيخ عبد المهدي مطر والسيد مصطفى جمال الدين، وعشرات غيرهم.

الشريف الرضي

و لا بأس أن نحمل فكرة بسيطة عن بعض هؤلاء. فالشريف الرضي لا يخلو ديوانه من الإفتخار والتكبر، حتى يقال أنه كان يطمع بالخلافة. ويدل عليه قوله للخليفة العباسي[١]:

عطفاً أمير المؤمنين فإننا   في دوحة العلياء لا نتفرق
إلا الخلافة ميزتك فإنني   أنا عاطل منها وأنت مطوق

فأجابه: على رغم أنف الشريف.

ومنه قوله[٢]:

ما مقامي على الهوان وعندي   مقول صارم وأنف حمي
أجرع الذل في بلاد الأعادي   وبمصر الخليفة العلوي

مما أثار غضب العباسي في بغداد، وأصر عليه والده في أن يقسم أمامه أن هذا الشعر ليس له[٣]. وهو غير مثبت في الديوان حسب علمي.

(١) أنظر شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج١ ص٣٤.

(٢) أنظر عمدة الطالب لابن عنبة ص٢٣٥.

(٣) راجع شرح النهج لابن أبي الحديد ج١ ص٣٨.

ولما وضعت الباب الذهبية لحضرة أمير المؤمنين عليه السلام أقيم احتفال وألقيت فيه القصائد، وكان جملة منهم شعراء فحول ومشهورين. وكان منهم بعض من سميناه كالشيخ الفرطوسي، فقد شارك بقصيدة عينية رائعة لعلها خير شعره إطلاقاً.

ومطلعها:

نشيدي وأنت له مطلع   من الشمس يعنو[1] له مطلع

وهي موجودة في ديوانه، وفيه ما يدل على أنه يقدسها ويقدمها بصفتها أفضل حسناته. وله ملحمة أهل البيت، وهي حوالي خمسة وعشرون ألف بيت في تأريخ المعصومين عليهم السلام. وأولها:

هاك قلبي مضرجاً بدمائي   قطعاً في سلاسل من ولائي

وهي بوزن وقافية واحدة كلها.

وكذلك شارك فيه الشيخ عبد المهدي مطر، وهو أستاذي في كلية الفقه في قواعد اللغة العربية، فقد شارك بقصيدته الرائعة، ولعلها خير شعره، والتي مطلعها:

لعلع بباب علي أيها الذهب   واخطف بأبصار من سروا ومن غضبوا

(١) يعنو: أي يخضع.

محمد مهدي الجواهري

بالرغم من أن محمد مهدي الجواهري دنيوي أيضاً وفاسد في عقيدته وسلوكه، ومناصر للملحدين في شعره. وكذلك فإن ديوانه يحتوي على كثير من الغزل لمعشوقات أوربيات أحبهن ونظم فيهن، كما أن فيه قصيدة صغيرة في ذم الحوزة العلمية، وينسب إليها الكبائر والفضائح.

وبالرغم من كل ذلك فإن قصيدته في الحسين عليه السلام وخاصة المقطع الأول منها، هي خير شعره، كما أنها خير ما قيل في الحسين عليه السلام على الطريقة الفكرية الحديثة. وأعتقد أن فيها توفيقاً إلهياً. مع الإلتفات إلى أنه قالها منذ شبابه حين كان معمماً في الحوزة ولم يكن متدنساً بالآثام التي طرأت عليه بعد ذلك. ولعل خير ما فيها قوله:

كأن يداً من وراء الضريح ... حمراء مبتورة الإصبع
تمد إلى عالم بالخنوع ... والذل في شرف مترع
لتبدل منه جدب الضمير ... بآخر معشوشب ممرع

والبيت الأول منها، يعطي صورة خيالية جبارة ليد الحسين عليه السلام اليمنى المبتورة الإصبع والمخضبة بالدماء.

وواضح أيضاً من الأبيات أنه يمجد الحسين عليه السلام باتجاه دنيوي، لإصلاح

وإحياء الضمائر الميتة ورفع المظالم من المجتمع. وليس فيه شمة إلهية أو أخروية. كما أنه ليس فيه اتجاه إلى البكاء والتفجع، الا ما يأتي عرضاً. ولكن جانب الإخلاص والعاطفة فيه موجودة أكيداً، في مثل قوله:

ومــاذا أأعــظــم مــن أن يــكــون لــحــمــك وقــفــاً عــلــى الــمــبــضــع
وتــطــعــم لــلــمــوت خــيــر الــبــنــيــن مــن الأكــهــلــيــن إلــى الــرضــع

وعلى أي حال فمن الواضح أن الحسين عليه السلام يفهمه كل شخص بمقدار مستواه وثقافته وقناعته، وأي من ذلك حصل كان خيراً ونعمة. وكان مؤثراً في إيجاد الهمة نحو التمرد على الظلم والتضحية بالنفس والنفيس، في سبيل إيجاد العدل حسب اختلاف مستويات إدراك هذا العدل.

حتى من الممكن القول إن كل الثورات والتمرد في التأريخ، حتى إلى العصر الحاضر، بل والمستقبل منتسبة بشكل واضح أو غامض إلى ثورة الحسين عليه السلام، بعد أن أعطى الأمثولة العليا في ذلك.

حتى من يكون على مستوى الدنيا أو على مستوى الإلحاد أو أديان أخرى. فإنه لا أقل أنه يعرف الحسين عليه السلام كقائد وكمصلح وكمضحي في سبيل إقامة الحق والعدل إجمالاً، وهذا يكفي في التحريك نحو الهدف.

جمال الدين

والسيد مصطفى جمال الدين، شعره جيد ينحو نحو الإتجاه الرمزي، كما هو الحال الغالب في الشعر الحر. أي ينظمون معاني مجملة وغائمة. وقد كان زميلي في نفس الصف في الدورة الأولى من كلية الفقه. وصورته مثبتة في العدد المطبوع من مجلة النجف بين المتخرجين من الدورة الأولى. وله قصيدة رنانة بمناسبة افتتاح جامعة النجف الدينية، ينحو بها المنحى الرمزي، والتي يقول في مطلعها:

إصعدي لا يرعك درب عسير فجناحاك عزمة وشعور

إلى أن يقول في نهاية المقطع الأول:

واكتشاف النبع الغزير إذا أمحل صرح الآمال نبع غزير

من نصروا الإسلام من خارجه

ويوجد هناك عدد لا يستهان به من الشعراء والمفكرين ممن نصروا الإسلام من خارجه نصراً قليلاً أو كثيراً، أخص منهم بالذكر: غاندي أو المهاتما غاندي، وليوبولد فايس الذي أسلم وسمى نفسه محمد أسد وهو نمساوي وله عدة مؤلفات لنصرة الفكر الديني، أشهرها (الطريق إلى مكة). وروجيه غارودي الشيوعي الفرنسي الذي أسلم وألف كتابه: البديل. يعني البديل عن الحضارة الأوربية.

وكذلك (بولس سلامة) في ملحمته الشعرية المعروفة، ويصرح بها أنه إنما نظمها رجاء الشفاء من مرضه المزمن مستشفعاً بالنبي وآله.

كذلك (انطوان بارا) صاحب كتاب (الحسين في الفكر المسيحي)، فإنه كاتب منصف، مجّد الحسين عليه السلام ورثا مقتله وقارنه بالمسيح، كما يعتقد هو به لأنه يرى مقتله وشهادته، فقد قارن بين الشهادتين. ولم ينكر من تأريخنا شيئاً حتى مسألة تكلم الرأس الشريف الذي يعد من المعجزات، والمفروض بالماديين وغير المسلمين عموماً أن يكذبوه دائماً لاتجاههم النفسي والعقائدي.

ولا ينبغي أن ننسى بهذا الصدد الكاتب المسيحي اللبناني المشهور (جورج جرداق) في موسوعته الشهيرة (علي صوت العدالة الإنسانية)، حتى قال بعض المفكرين من الشيعة: إنه يفضل علياً على رسول الله صلى الله عليه وآله في حين أن فخر علي

هو اتباع الرسول صلى الله عليه وآله.

وأنا أقول: إنه لم يقل فيه إلا ما يعرف وهو أعلى مما قال بكثير. وأقول: إننا نأخذ منه الحق وندع الباطل. وأقول: إننا نطبق القاعدة التي نعرفها: (إن ما عند الأدنى عند الأعلى وزيادة)، فما كان لعلي كان لمحمد، ولا أعتقد أن هذا يخفى على (جورج جرداق) ولو ارتكازاً.

كما لا ينبغي أن ننسى بهذا الصدد الشاعر المعروف المعاصر (عبد الرزاق عبد الواحد) فإنه صابئي، بل يقال: إنه رجل دين عظيم عندهم ولعله شيخهم على الإطلاق [١]. ومهما قلنا في جهته الدينية والدنيوية فإن قلبه متجه حقيقة باتجاه الإسلام وأهل البيت، وله قصائد مشهورة في هذا الصدد قديماً وحديثاً وهو من يعرف الإسلام بصفته شيعياً، أو قل: إنه لو أسلم لتشيع ولم يتبع أي مذهب آخر.

وله قصيدة متأخرة ألقاها بمناسبة مولد الحسين عليه السلام [٢].

---

(١) هذا لم يثبت بل لعل الدليل على خلافه. نعم، ورد اسمه من ضمن الذين ترجموا أو شاركوا في كتابة الكتاب المقدس عندهم. ويبدو أنه شارك في ذلك بصفته أديباً لا بصفته متديناً فضلاً عن أن يكون رجل دين.

(٢) وقد ذكرتها كلها لرغبة الشهيد المقدس في ذلك ولها قصة لطيفة وحاصلها أن شهيدنا الحبيب (قدس سره) عندما أشار لهذه القصيدة إجمالاً، فإنني قد حصلت على القصيدة بعدها بأيام قليلة مسجلة بصوت عبد الرزاق عبد الواحد. وكان قد ألقاها في محفل من محافل الشيعة مع بعض القصائد الأخرى لشعراء شيعة. فلما سمعتها أخبرت بها شهيدنا المقدس فرغب أن يسمعها، فجئت له بالكاسيت فسمعها، وفي اليوم التالي أبدى إعجابه بها وفضلها على قصائد الآخرين في نفس الحفل، وأمرني بأن أنشرها كاملة في الكتاب. فقلت له: لعلنا نضر الرجل إذا نشرنا القصيدة من الناحية الأمنية، لأن أبياته الأخيرة قد يفهم منها المساس بالسلطة الجائرة. فقال (قدس سره): أولم يلقها في محفل عام؟ فقلت له: لا أعلم. فقال: إفحص عن الأمر فإن كان قد ألقاها في محفل عام فانشرها كاملة، وإن لم يلقها في محفل عام فانشرها مع حذف المقطع الذي قد يضره. =

فلما فحصت عن الأمر علمت بأنه قد ألقاها في محفل عام، بل إنها قد قرئت في نفس قناة تلفزيون العراق الرسمي. فقال: إذن انشرها كاملة. وبالفعل قد نشرناها كاملة. وقد أخبرنا من قبل بعض الأخوة بعد طبع الكتاب أن الشاعر نفسه يريد نسخة من الكتاب، فاستأذنت من شهيدنا الحبيب (قدس سره) فوافق على أن نرسل له نسخة، فأرسلتها فعلاً. فهو (قدس سره) حريص على أمنه وسلامته بالرغم من اتجاهه الديني والدنيوي. وهو جانب إنساني وأخلاقي رفيع جداً. والقصيدة هي:

قدمت وعفوك عن مقدمي ... حسيراً أسيراً كسيراً ظمي
قدمت لأحرم في رحبتيك ... سلام لمثواك من محرم
فمذ كنت طفلاً رأيت الحسـ ... ـين مناراً إلى ضوءه أنتمي
ومذ كنت طفلاً وجدت الحسـ ... ـين ملاذا بأسواره أحتمي
ومذ كنت طفلاً عرفت الحسـ ... ـين رضاعاً وللآن لم أفطم
سلام عليك فأنت السلام ... وإن كنت مختضباً بالدم
وأنت الدليل إلى الكبرياء ... بما ديس من صدرك الأكرم
وإنك معتصم الخائفين ... يا من من الذبح لم يعصم
لقد قلت للنفس هذا طريقك ... لاقي به الموت كي تسلمي
وخضت وقد ضفر الموت ضفراً ... فما فيه للروح من مخرم
وما دار حولك بل أنت درت ... على الموت في زرد محكم
من الرفض والكبرياء العظيمة ... حتى بصرت وحتى عمي
فمسَّك من دون قصد فمات ... وأبقاك نجماً من الأنجم
ليوم القيامة يبقى السؤال ... هل الموت في شكله المبهم
هو القدر المبرم اللا يرد ... أم خادم القدر المبرم
سلام عليك حبيب النبي ... وبرعمه طبت من برعم
حملت أعز صفات النبي ... وفزت بمعياره الأقوم
دلالة أنهم خيروك ... كما خيروه فلم تثلم
بل اخترت موتك صلت الـ ... ـجبين ولم تلتفت ولم تندم
وما دارت الشمس إلا وأنت ... للألاءها كالأخ التوأم
سلام على آلك الحوم ... حواليك في ذلك المضرم
وهم يدفعون بعري الصدور ... عن صدرك الطاهر الأرحم
ويحتضنون بكبر النبيين ... ما غاص فيهم من الأسهم
سلام عليك على راحتين ... كشمسين في فلك أقتم

= تشع بطونهما بالضياء   وتجري الدماء من المعصم
سلام على هالة ترتقي   بلألاءها مرتقى مريم
طهور متوجة بالجلال   مخضبة بالدم العندم
تهاوت فصاحة كل الرجال   أمام تفجعها الملهم
فراحت تزعزع عرش الضلال   بصوت بأوجاعه مفعم
ولو كان للأرض بعض الحياء   لمادت بأحرفها اليتم
سلام على الحر في ساحتيك   ومقحمه جل من مقحم
سلام عليه وعتب عليه   عتب الشغوف به المغرم
فكيف وفي ألف سيف لجمت   وعمرك يا حر لم تلجم
وأحجمت كيف وفي ألف سيف   ولو كنت وحدي لم أحجم
ولم أنتظرهم إلى أن تدور   عليك دوائرهم يا دمي
لكنت انتزعت حدود العراق   ولو أن أرسانهم في فمي
لغيرت تأريخ هذا التراب   فما نال منه بنو ملجم
ويا سيدي يا أعز الرجال   يا مشرعاً قط لم يعجم
ويا بن الذي سيفه ما يزال   إذا قيل يا ذا الفقار احسم
يحس مرؤة مليون سيف   سرت بين كفك والمحزم
وتمسك أنت ثم ترخي يديك   وتنكر زعمك من مزعم
فأين سيوفك من ذي الفقار   وأينك من ذلك الضيغم
عليُ عليَ الهدى والجهاد   عظمت لدى الله من مسلم
ويا أكرم الناس بعد النبي وجهاً   وأغنى امرئ معدم
ملكت الحياتين دنيا وأخرى   وليس ببيتك من درهم
فدى لخشوعك من ناطق   فداء لجوعك من أبكم
قدمت وعفوك عن مقدمي   مزيجاً من الدم والعلقم
وبي غضض جل أن أدريه   ونفس أبت أن أقول إكظم
كأنك أيقظت جرح العراق   فتياره كله في دمي
ألست الذي قال للباكرات   خذيني وللنفس لا تهزمي
وطاف بأولاده والسيوف   عليهم سوار على المعصم
فضجت بأضلعه الكبرياء   وصاح على موته اقدمي
كذا نحن يا سيدي يا حسين   شداد على القهر لم نشكم
كذا نحن يا أيها الرافدين   سواترنا قط لم تهدم =

وقبل أن أختم الحديث عن الذين نصروا الإسلام من خارجه لا بأس أن أذكر شيئاً يتعلق بغاندي ومحمد أسد.

أما غاندي فقد كان يلقب بماهاتما وهو لقب ديني عندهم، وقد كان واضح الزهد مشهوراً بزيه غير المخيط. حتى قالوا له: هل تذهب بزيك هذا إلى قصر (برمنكهام) في بريطانيا؟ فقال: نعم. وهناك صورة لمخلفاته بعد وفاته، وهي أشياء قليلة تعد بالأصابع. ويقال إن طرحه الرئيسي فيها هو أن يكون الإنتاج وطنياً لا أجنبياً، وينقض عليه بزجاجات نظاراته. وهذا لا شك أنه كان يقوله، إلا أنه لا يمنعه من لبس المخيط. فاختياره لهذا الزي إنما هو للزهد فقط أو قل للآخرة لا الدنيا. ثم هزاله وقلة طعامه هل كان لدفع الإستعمار أيضاً؟ كلا، وكذلك كان يمشي حافياً ودخل قصر (برمنكهام) حافياً.

وهذه المقدمات لا تذهب سدى، وقد وجدت في الصفحتين الأخيرتين من كتابه: (تجاربي عن الحقيقة) أنه يبشر بالحب الإلهي، وأن الفرد غاية مناه أن يصل إلى الحب الإلهي. ولعله كان يحارب الإنكليز والإستعمار من وجهة نظر دينية وليس دنيوية فقط.

ورأيه في الإسلام وقادته حسن، وإن كان ذلك لا يصدق على التفاصيل.

= لأن ضج من حولك الظالمون ... فإنا وكلنا إلى الأظلم

وان خانك الصحب والأصفياء ... فقد خاننا من له ننتمي

تدور علينا عيون الذئاب ... فنحتار من أيها نحتمي

لهذا وقعنا عراة الجراح ... كباراً على لؤمها الألأم

فيا سيدي يا سنا كربلاء ... يلألئ في الحلك الأعتم

تشع منائره بالضياء ... وتذخر بالوجع الملهم

ويا عطشاً كل جدب العصور ... سينهل من نورك الزمزم

سأطلع ثغري على موطئيك ... سلام لأرضك من ملثم

بدليل أنه اجتمع مع (محمد علي جناح) وهو سياسي شيعي عندهم، فلم يتفق معه على نتيجة، وانقضى الإجتماع بدون اتفاق لأنه ينصر طائفته طبعاً.

وهو بوذي، والبوذيون يقدسون البقر، وقد نقل عن غاندي أنه قال: إن البقرة أحسن من أمي، لأني أستفيد من حليبها ولحمها وجلدها وعظمها، وأما أمي فليست كذلك. وأنا أجله أن يقول ذلك، ولعله قاله لمجرد الإعلام. وإلا فمن يبشر بالحب الإلهي لا يمكن أن يبشر بحب البقر. ونحن نسمع قوله تعالى: ﴿وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ﴾[1] فلا يجتمع حب العجل مع الحب الإلهي، وما دام الحب الإلهي موجوداً إذن فحب العجل منتف.

وأما محمد أسد، فله أفكار طريفة وكثيرة منها: ما ذكرناه في (ما وراء الفقه): (من أن التوحيد أجل من أن يجعل له مثال زخرفي، وإنما المهم هو الهيبة والرصانة. فقمت أتأمل حكمة الصانع الذي اختار للتوحيد مكعباً من حجر) يقصد الكعبة المشرفة.

ويقول: إني جلت في مختلف البلاد الإسلامية فوجدت الأذان المعلن على المنابر بوتيرة واحدة وطريقة مشتركة، كأنه يجعل ذلك إشارة إلى وحدة المسلمين في الطريقة والهدف مهما اختلفت مذاهبهم وتباعدت بلدانهم. إلا أنه يذكر في الطريق إلى مكة (عبد العزيز آل سعود) ومقابلاته معه ويذكره بإحترام ولا ينتقده بقليل ولا بكثير.

وفي كتاب آخر له يتحدث عن إمكان جعل وزراء غير مسلمين في دولة إسلامية. لأن مقتضى (الديموقراطية) عند تعدد الجاليات هو ذلك. ثم يستشكل بأن ولي الأمر يجب أن يكون مسلماً، والوزير ولي أمر فيجب أن يكون

(١) البقرة ٩٣.

مسلماً. ويجيب بأن الأمر ليس بالضرورة كذلك، بل يمكن أن نعطيه صفة لا يكون فيها ولياً للأمر.

وقد يشفع له أن يقال: إن ولي الأَمْر الذي يجب أن يكون مسلماً هو الحاكم الشرعي الأعلى، أما من دونه فليس بولي. ولولا آية في القرآن الكريم لقبلنا هذه النتيجة. وهي قوله: ﴿وَلَن يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا﴾[1] وتسلط الوزير على حصة من الحكم نحو من السبيل بلا شك وتمام الكلام في محله.

---

(١) النساء ١٤١.

من نصروا المذهب من خارجه

وأما الآن فنتحدث عمن نصروا المذهب من خارجه. فهذا تارة يكون من حيث لا يعلمون، فإذا قصدنا ذلك كان كلهم تقريباً كذلك من القدماء والمحدثين (إلا النواصب والمتعصبين) فإنهم جميعاً يحملون فكرة جيدة جداً عن المعصومين عليهم السلام، ولا يذكرونهم إلا بكل خير. بل حتى أمثال بن حجر في (الصواعق المحرقة على أهل البدع والزندقة) ويقصد الشيعة، المهم أن الأمر واضح وأنه ضد الشيعة، وليس ضد أئمتهم، ولا يذكرهم إلا بالإكبار والإجلال.

ومن هنا تكون كثير من كتبهم حاوية على أصناف من الأخبار يمكن الإستدلال بها لنصرة المذهب. وتكون حجة عليهم من حيث الإعتماد على هذه الكتب وهؤلاء الرواة من قبلهم في الأمور الأخرى، كالفقه والتأريخ والعقائد وغيرها. ويكفينا مثالاً: كتاب (فضائل الخمسة في الصحاح الستة)، وأسلوبه وإن لم يكن منهجياً ولكنه يعرفنا بالأخبار الواردة في الصحاح الستة، وهي أعلى كتب الجماعة على الإطلاق وفيها فضائل وكرامات ومدح أصحاب الكساء الخمسة وهم أعلى جماعة في نظرنا على الإطلاق.

وكذلك البخاري فهو عدل القرآن عندهم، فإنه لم يرو عن الإمام الصادق عليه السلام ولا حديث واحد. وروى عن الزهراء حديثين فقط أو نحو ذلك.

ولكن فيه ما يكفي لفضائل المعصومين عليهم السلام عن رسول الله صلى الله عليه وآله. وكذلك حادثة وفاته وقولهم: إن النبي ليهجر[١]. وكذلك الكثير من الأخبار الواردة في البشارة عن المهدي عليه السلام.

وفي صحيح مسلم يوجد كل ذلك أيضاً مع زيادة الأخبار عن الأئمة الإثني عشر: **(يكون من بعدي إثنا عشر خليفة)** ثم قال كلمة لم أسمعها فقلت لأبي: ماذا قال؟ قال: كلهم من قريش[٢]. ولها أسناد كثيرة في الكتاب إلى حد الاستفاضة، وهي لا تنطبق إلا على المعصومين عليهم السلام. لأن كل أطروحة أخرى تفشل، كالخلافة الأولى أو الأموية أو العباسية أو الفاطمية أو العثمانية. وهذا ما يعلمه مفكروهم، فلذا يجيبون بوجود خلفاء متفرقين بين هؤلاء، ويعدون جماعة كالأربعة، وعمر بن عبد العزيز والمهتدي وغيرهم. حتى يصير العدد ثمانية أو تسعة، ثم يقولون: إننا نضيف المهدي الذي يأتي في مستقبل الزمان. ومع ذلك قصر العدد عن المطلوب، فيقولون: بأنه ربما يأتي أناس صالحون يتولون الخلافة في المستقبل ونحن لا نعلم.

إلا أن هذا الفهم إن قبلناه رغم عجزه، فإنه خلاف ظاهر الحديث من

---

(١) أنظر صحيح البخاري ج٤ ص٣١، ونص الرواية التي ذكرها: (حدثنا ابن عيينة عن سليمان الأحول عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال: يوم الخميس وما يوم الخميس؟ ثم بكى حتى خضب دمعه الحصباء. فقال: اشتد برسول الله صلى الله عليه وآله وجعه يوم الخميس فقال: ائتوني بكتاب أكتب لكم كتاباً لن تضلوا بعده أبداً، فتنازعوا ولا ينبغي عند نبي تنازع. فقالوا: هجر رسول الله صلى الله عليه وآله. قال: دعوني فالذي أنا فيه خير مما تدعوني إليه. وأوصى عند موته بثلاث أخرجوا المشركين من جزيرة العرب وأجيزوا الوفد بنحو ما كنت أجيزهم ونسيت الثالثة).

(٢) فقد ورد في صحيح مسلم: عن جابر بن سمرة قال: دخلت مع أبي على النبي صلى الله عليه وآله فسمعته يقول: (إن هذا الأمر لا ينقضي حتى يمضي فيهم إثنا عشر خليفة) قال: ثم تكلم بكلام خفي علي. قال: فقلت لأبي: ما قال؟ قال: كلهم من قريش. صحيح مسلم ج٦ ص٣.

جهتين:

الأولى: إن ظاهره حصولهم بعد النبي صلى الله عليه وآله مباشرة وليس بزمان بعيد.

الثانية: إن ظاهره أن حصولهم بشكل متقارب فيما بينهم وليسوا متباعدين إلى هذه الدرجة، فتبقى هذه الأطروحة وهماً من الأوهام. مضافاً إلى كونها غير ناجحة في نفسها فينحصر الحال في المعصومين عليهم السلام الذين نؤمن بإمامتهم.

وصحيح مسلم عندهم يلي البخاري في الأهمية وكل أخباره بل كل أخبار الكتب المسماة بالصحاح الستة حجة ومعتبرة. فهم من هذه الناحية ينحون منحى الإخباريين من الشيعة في الإعتقاد بصحة أخبار الكتب الأربعة جميعاً.

وأما من نصروا المذهب من خارجه عن علم وعمد فهم عديدون، وإن كانوا قليلين نسبياً. أخص منهم بالذكر الشيخ محمود أبو رية صاحب كتاب (شيخ المضيرة)، وكتاب ينقد به البخاري ويبين زيفه وهو كتاب (أضواء على السنة المحمدية). وعبد الفتاح عبد المقصود صاحب كتاب (علي ابن أبي طالب عليه السلام) فإنه وإن كان فيه بعض الأمور، إلا أن نصرته للحق واضحة جزاه الله خيراً.

أما الذين أعلنوا تشيعهم فعديدون وهناك كتاب عنوانه: (لماذا اخترت المذهب الإمامي) يسرد فيه جماعة من هؤلاء، ومن أشهر هذا الصنف: الأنطاكي، وله ملحمة شعرية مطولة في مدح أهل البيت وذكر تأريخهم.

والدكتور محمد التيجاني السماوي أعزه الله، وواضح من كتابه: (ثم اهتديت) كيف مر بالمشكلة الدينية وكيف خرج منها منتصراً للحق جزاه الله خيراً.

وكنت أقول فيه ولا زلت أقول: إنه خير من الذين كتبوا في نصرة المذهب من الشيعة كالسيد عبد الحسين شرف الدين والشيخ عبد الحسين الأميني وغيرهم، لأنه قد يقال: إن هذا الفرد أو ذاك إنما هو شيعي ومن الطبيعي أن يدافع الفرد عن مذهبه. إلا أن التيجاني مرَّ بالمشكلة حقيقة، وترك مذهبه وانتقل إلى مذهبنا وحسن تشيعه ودافع عنه. ولا زال يدافع ويعقد الندوات لذلك. إلا أن تقليده وميله الحوزوي الله أعلم بحقيقته.

وبهذا ينتهي الكلام عن العنوان الرئيسي وهو علاقة الحسين عليه السلام بمن قبله وبمن معه وبمن بعده.

طلب البيعة ليزيد

السؤال الذي يمكن طرحه هنا بلحاظ حركة الحسين عليه السلام ما يقوله التأريخ من طلب والي المدينة من الحسين عليه السلام البيعة ليزيد بعد موت معاوية. حيث أرسل على الحسين عليه السلام ليلاً، وقد ورد: إن الحسين عليه السلام جمع جماعة من أصحابه وأهل بيته مسلحين وأوقفهم على الباب[1]، فهو يعلم أنه سوف يطلب منه طلباً على غير القواعد الشرعية، ومن المتيقن أنه سوف يرفض، فإذا رفض ولم يتنازل فسوف يكون خطراً على حياته. فجمع هذه الجماعة لكي تدخل وتخرجه عندما يشتد الأمر.

قال بعض المؤرخين: ولما استقر المجلس بأبي عبد الله عليه السلام نعى الوليد إليه معاوية، ثم عرض عليه البيعة ليزيد. فقال الحسين عليه السلام: مثلي لا يبايع سراً، فإذا دعوت الناس إلى البيعة دعوتنا معهم فكان أمراً واحداً فاقتنع الوليد منه.

لكن مروان ابتدأ قائلاً: إن فارقك الساعة ولم يبايع لم تقدر منه على مثلها حتى تكثر القتلى بينكم، ولكن احبس الرجل حتى يبايع أو تضرب عنقه. فقال الحسين عليه السلام: يا ابن الزرقاء أنت تقتلني أم هو؟ كذبت وأثمت.

---

(١) أنظر البحار ج٤٤ ص٣٢٤، مناقب آل أبي طالب ج٣ ص٢٤٠.

ثم أقبل على الوليد وقال: أيها الأمير إنا أهل بيت النبوة ومعدن الرسالة ومختلف الملائكة بنا فتح الله وبنا يختم، ويزيد شارب الخمر وقاتل النفس المحترمة، معلناً بالفسق، ومثلي لا يبايع مثله. ولكن نصبح وتصبحون وننظر وتنظرون أينا أحق بالخلافة(١).

فأغلظ الوليد في كلامه وارتفعت الأصوات، فهجم تسعة عشر رجلاً قد انتضوا خناجرهم وأخرجوا الحسين عليه السلام إلى منزله قهراً، أي قهراً على القوم(٢).

فمن جملة الأسئلة التي خطرت في ذهن السيد عبد الرزاق المقرم في (مقتل الحسين عليه السلام)(٣) أنه لماذا قال: يا ابن الزرقاء؟ وهو على خلاف الأدب الإسلامي.

ويعلق السيد المقرم: إنه في تذكرة الخواص قال: إنه كانت جدة مروان من البغايا. وفي كامل بن الأثير: كان الناس يعيرون ولد عبد الملك بن مروان بالزرقاء بنت وهب، لأنها من المومسات ومن ذوات الرايات. وفي تأريخ ابن عساكر: جرى كلام بين مروان وعبد الله بن الزبير، فقال له عبد الله: وإنك لههنا يا ابن الزرقاء.

وفي تأريخ الطبري: كان مروان بن محمد بن الأشعث يقول: لم يزل بنو مروان يعيرون بالزرقاء. وان بني العاص من أهل (صفورية).

ثم يبدأ السيد المقرم بالإعتذار عن صدور مثل هذه الصفة عن

---

(١) أنظر البحار ج٤٤ ص٣٢٥، البداية والنهاية ج٨ ص١٥٧.

(٢) راجع مناقب آل أبي طالب ج٣ ص٢٤٠.

(٣) مقتل المقرم هامش ص١٣٠ ط بيروت.

الحسين عليه السلام، وهو معصوم مع أنه خلاف الأدب الشرعي.

ويجيب بعدة أجوبة تستفاد من كلامه[١] بحسب المضمون وهي بعرض مني وليست بلفظه.

١- هو معصوم ولا بد من التسليم للمعصوم في كل ما يفعله ويقوله.

٢- إن مقتضيات أحوال ذلك الزمن كانت تقتضي ذلك - إجمالاً ولم يفصل في ذلك -.

٣- إن مثل هذا النبز صادر عن الجليل جل وعلا في كتابه الكريم، فإذا كان صادراً عن الله تعالى فلا بأس أن يصدر عن غيره. حيث يقول تعالى في سورة القلم: ﴿عُتُلٍّ بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ﴾[٢]. والزنيم في اللغة الدعي في النسب اللصيق به[٣].

فإن قلت: (وهذا الإشكال ضد استدلال السيد المقرم) فإن الله تعالى قال ذلك بصفته الخاصة به ولا يشمل غيره.

قلنا: (دفاعاً عن السيد المقرم) كلا، بل قاله بصفته متكلماً فقط. وذلك من عدة وجوه:

أولاً: إنه لا بد من فهم العموم، فإن هذا الكلام من قبل الله عز وجل دليل على الجواز لكل متكلم ما لم يثبت الإختصاص به سبحانه وتعالى. وفي مورد كلامنا لم يثبت شيء من هذا القبيل.

---

(١) نفس المصدر والصفحة.

(٢) القلم ١٣.

(٣) أنظر لسان العرب ج١٢ ص٢٧٦.

ثانياً: إنه كما أن لنا أسوة حسنة برسول الله صلى الله عليه وآله كذلك لنا أسوة حسنة بالله تعالى، فكل ما فعله أو قال فلنا أن نفعله أو نقوله إلا ما خرج بدليل. وقد ورد في الخبر: **(تخلقوا بأخلاق الله)**(١).

فإن قلت: فإن الله تعالى لا يجب عليه إطاعة الأحكام الشرعية، لأنه هو الآمر بها. وإنما أمرنا لأجل مصلحتنا وأما هو فليس ماموراً بشيء من ذلك أولاً، وليس له مصلحة في تطبيقها ثانياً. فالمصلحة الأساسية هي التكامل، والله تعالى هو عين الكمال.

قلنا: إن الأمر ليس كذلك على مستوى علم الكلام والعقائد الإسلامية. فإن كل ما هو مأمور به شرعاً وجدناه حسناً عقلاً وكل ما هو منهي عنه شرعاً وجدناه قبيحاً عقلاً. والله تعالى يضع كل شيء موضعه الصحيح المطابق للواقعيات التي هو أعلم بها من خلقه. ومقتضى ذلك أنه لا يفعل القبيح ويتعين عليه فعل الحسن، فيطبق هذه الأمور لا بصفتها أوامر شرعية بل بصفتها عقائد عقلية وهذا يكفي. لأنه إذا لم يطبقها فهو نقص في ذاته وفي عدله، والله تعالى أجل من ذلك. فيطبقها لكونه كاملاً لا لكونه محتاجاً إليها والعياذ بالله.

ومنه اتضح أن مقتضى الأدب الشرعي الكف عمن لا يستحق الشتم، وأما من يستحقه فلا. وهذا معنى ثابت باستمرار ولا دخل لمقتضيات ذلك الزمن في ذلك كما هو ظاهر عبارة السيد المقرم بل هو من مقتضيات كل زمن.

ثم أن السيد المقرم كان ينبغي أن يلاحظ ما هو أهم من ذلك، لأن لهجة مروان لم تكن لهجة مجاملة بل كانت لهجة تهديد. وقد سمعها الحسين عليه السلام، ومعناه كونه متطرفاً في الضلال وهاوياً لقتل الحسين عليه السلام، ومن هنا كان أهلاً

(١) البحار ج٥٨ ص١٢٩.

لهذه الصفة.

ومثله قالت السيدة زينب بنت علي عليه السلام ليزيد بن معاوية: **(يا ابن الطلقاء)**[١]، لأن رسول الله صلى الله عليه وآله في فتح مكة كف عن المنافقين ولم يقتلهم وقال لهم: **(اذهبوا فإنتم الطلقاء)**[٢] وكان فيهم أبو سفيان جد يزيد بن معاوية ومن هنا صدق عليه أنه ابن الطلقاء.

السؤال الثاني الذي يطرح بهذا الصدد: هو أنه لماذا لم يصرح الحسين عليه السلام من أول الأمر بعدم المبايعة؟ وإنما رتب الأمر بالشكل الذي يوحي إلى الوليد أنه من الممكن أن يبايع.

وجواب ذلك من عدة وجوه:

الوجه الأول: إنه ليس في كلام الحسين عليه السلام أي إشعار بوقوع المبايعة من قبله في الصباح علناً. كل ما في الأمر أن هناك توقعاً لعرض المبايعة عليه، وليس هناك ظهور في كلامه بأنه يوجد توقع لرد الفعل الإيجابي بالنسبة إلى هذا العرض.

الوجه الثاني: نعرضه كاطروحة، وذلك أن الحسين عليه السلام إلى هذا الحد يريد إيجاد شيء من المجاملة والتقية أمام حاكم البلد، لأجل تجنب المواجهة والمشاكل لو صح التعبير، واحتمال اتساع الضرر. ولكن لما سمع عليه السلام التهديد من مروان إعتبر أن المجابهة قد حصلت من طرف الخصم، فلا بد من

(١) البحار ج٤٥ ص١٣٤، بلاغات النساء ص٢١، اللهوف لابن طاووس ص١٠٦.

(٢) منتهى المطلب للعلامة الحلي ج٢ ص٩٣٧، مجمع الفائدة للمحقق الأردبيلي ج٤ ص١١٣، تهذيب الأحكام للشيخ الطوسي ج٤ ص١١٩، وسائل الشيعة ج١٥ ص١٥٨، السنن الكبرى للبيهقي ج٩ ص١١٨، سبل الهدى والرشاد للصالحي الشامي ج٥ ص٢٤٢.

التصريح بما يكنه ويضمره في نفسه الشريفة من عدم المبايعة. فقال تلك الكلمة المشهورة وفيها: (مثلي لا يبايع مثله).

الوجه الثالث: نعرضه كأطروحة أيضاً فنقول: إن الحسين عليه السلام يكون في ذلك المكان المنعزل عن الناس أمام هذين الخصمين العنيدين أضعف موقفاً دنيوياً واجتماعياً. فإذا تأجل الأمر إلى الصباح وأمام جمهور الناس بما فيهم وجهاء المدينة وعلماؤها، كان هو في نقطة قوة. لأن العديد من الحاضرين عندئذ سيكونون إلى جهته ويقبلون التبرير الكامل لعدم مبايعة يزيد.

وكذلك يستطيع أن يحذرهم علناً من مبايعة يزيد، لأنه إذا رفض أمام الناس فسوف يرفض كل الناس الموجودين في المجلس. فمن هذه الناحية كان التأجيل إلى الغد وانتظار اجتماع الناس فيه مصلحة كبيرة، لو كان الوليد قد اقتنع بذلك، ولكنه لم يحصل ولم يدع الناس بعد ذلك.

الوجه الرابع: إن الحسين عليه السلام قد يكون أسرَّ في نفسه أنه: إذا اجتمع الناس غداً فسوف يصرح لهم بحرمة المبايعة وينهاهم عنها. وهذا ما لا يستطيعه في المجلس الليلي المنعزل.

وعلى أي حال فمن المعلوم أنه بعد أن صرح الحسين عليه السلام بعدم المبايعة في ذلك المجلس، لم يكن للوليد أمل لمبايعته أمام الناس فلم يحصل الإجتماع المقترح.

وترتب على ذلك أن عموم أهل المدينة وآخرين كثيرين لم تؤخذ منهم البيعة ليزيد إطلاقاً. وذلك لأنهم ليس لهم خبر تفصيلي عن هذا المجلس الذي حصل وليس لهم خبر عن البيعة ليزيد، فالدولة أخذت المسألة ساذجة بالسيطرة القهرية وكأن الشعب كله قد أصبح شعبها.

وترتب على ذلك أن الحسين عليه السلام حين أراد الخروج إلى الكوفة لم تكن قد أخذت البيعة من أحد مباشرة، فيستطيع كل واحد من أهل المدينة أن يقول: إنني لا أبايع. فترتب على ذلك شيء في مصلحة الحسين عليه السلام وهو أنه حينما قال: **(ألا فمن كان موطناً على لقاء الله نفسه)** إلى أن يقول: **(فليرحل معنا فإني راحل غداً مصبحاً إن شاء الله)**(١)، صحبه الكثيرون لأنهم لا يملكون عهداً وبيعة تجاه الحاكم الأموي، ولكن تفرقوا عنه بالتدرج في منازل السفر.

وقوله: **(يا ابن الزرقاء أنت تقتلني أم هو؟ كذبت وأثمت)** له ظهور بالإستشمام من ظهر الغيب، أن قاتله ليس هو هذا ولا هذا، بل غيرهما كما قد حصل فعلاً.

ومراده بقوله: **(كذبت)** هو ذلك بحسب فهمنا، وتدل عليه القرينة المتصلة وهي قوله: **(أنت تقتلني أم هو؟)** أي أنت لا تقتلني ولا هو. فإن الإستفهام الإستنكاري مرَدّه إلى النفي.

ولا يراد من قوله عليه السلام: **(كذبت وأثمت)** إرجاع الكذب لكلا الفقرتين اللتين قالهما مروان، فإنه قال كلمة صادقة وكلمة كاذبة. بل إن المراد إرجاع الكذب إلى الفقرة الكاذبة فقط.

أما الفقرة الصادقة فهي قوله: إذا خرج الآن فسوف لن تحصل منه على مبايعة، فقد كان صادقاً في هذا الكلام. فقوله عليه السلام: **(أثمت)** فلأنه نصرة للظالم، وأما قوله: **(كذبت)** فهو راجع إلى فقرة التهديد، وهي قوله: (إما أن يبايع وإما أن تضرب عنقه). لأنه في المستقبل لن يحصل ذلك، وإنما يحصل ما في علم الله من مقتله.

(١) شرح الأخبار ج٣ ص١٤٦، البحار ج٤٤ ص٣٦٧، اللهوف لابن طاووس ص٣٨.

نصيحة عبد الله بن الزبير

وقال المؤرخون[١] خلال هذه المحادثة: ووضح لإبن الزبير ما عزم عليه الحسين عليه السلام من ملاقاة الوالي في ذلك الوقت، فعبد الله بن الزبير كان موجوداً في المدينة ومعارضاً للأمويين.

فجاء ابن الزبير لينصح الحسين عليه السلام أن لا يذهب ليواجه الوالي، فأجابه الحسين عليه السلام بما مضمونه: **(أنا ممتنع بالجماعة التي آخذها معي) وقوله:** (ممتنع) **أي أنه قوي بهؤلاء الناس، وهو جواب من باب كلم الناس على قدر عقولهم** [٢].

وسيكون الزبير وعبد الله بن عمر من الذين ينصحون الحسين عليه السلام بعدم الخروج إلى الكوفة أو بعدم الخروج خوفاً عليه. فماذا كانت وجهة نظرهم؟ مع العلم أنهم لا يتخوفون عليه حقيقة بل يختلف مسلكهم عن مسلكه اجتماعياً واقتصادياً ومذهبياً.

وجواب ذلك من عدة وجوه:

الوجه الأول: الحفاظ عليه لأجل الحفاظ على سعة المعارضة ضد الحكم

---

(١) أنظر نحوه في البحار ج٤٤ ص٣٢٥، المناقب ج٣ ص٢٤٠.

(٢) لأنه في الحقيقة لا يعول إلا على حفظ الله وحسن عنايته.

الأموي، فإنه لو قتل الحسين عليه السلام لضعفت المعارضة في رأيهم، ويقل عدد المعارضين المشهورين بزوال أو ذهاب الحسين عليه السلام عن الساحة.

الوجه الثاني: إنه لو حصل قتل الحسين عليه السلام بالرغم من قوته اجتماعياً ورسوخ حبه في الناس، وأنه ابن رسول الله صلى الله عليه وآله ونحو ذلك من الأمور المعتد بها اجتماعياً ودينياً. فسوف يسري إحتمال حصول ذلك بالنسبة إليهم. فالذي يتسلط على من هو أقوى وأهم ويقتله فإنه وبكل سهولة يقتل من هو دونه. فيريد الحفاظ على حياة الحسين عليه السلام للحفاظ على حياته.

الوجه الثالث: إنهم وإن لم يتفقوا معه في الكثير من القضايا إلا أنهم لعلهم يفكرون في إمكان الإستفادة منه ومن أصحابه في تدابير كثيرة محتملة ضد الحكم الأموي، سواء كان ذلك عند تمثيل دور المعارضة أو لدى الحصول على الهدف.

ومن هنا كانت المصلحة الدنيوية بالنسبة إليهم بقاء الحسين عليه السلام حياً وعدم تعريض نفسه للقتل، في حين أن المصلحة التي كانت يتوخاها الحسين عليه السلام كما نعلم أكيداً بوضوح أنها ليست مصلحة دنيوية، وإنما مصلحة أخروية صرفة. وأن له مقامات لا ينالها إلا بالشهادة.

الوجه الرابع: إنهم خافوا من إحتمال سيطرته عى العراق، فكأنهم غير متوقعين قتله لأنهم لا يعلمون الغيب طبعاً. فمن هذه الناحية لو ذهب وصار أمير الكوفة وتوسع حاله وتوسع أنصاره، فلا يجعل لهم مجالاً وربما يقتلهم.

وقد ورد في التأريخ أن الحسين عليه السلام حينما ذهب إلى مكة كان صعباً على عبد الله بن الزبير وجوده[١]، فإن الناس يلتفون حول الحسين عليه السلام ولا يعتنون

(١) أنظر البحار ج٤٤ ص٣٣٢.

به فكيف إذا سيطر الحسين عليه السلام على المنطقة كلها فماذا يكون حالهم؟

ولكن هذا الوجه يتوقف على شيء، وهو أن هؤلاء لم يكونوا يتوقعون مقتل الحسين عليه السلام مع العلم أن مقتل الحسين عليه السلام متوقع منذ تلك اللحظة. لقسوة الدولة وحقدها عليه آنئذ. وهو من هذه الناحية الدنيوية ضعيف وليس عنده أتباع كثيرون. والناس هم كما وصفهم الحسين عليه السلام: **(فإذا محصوا بالبلاء قلَّ الديانون)**[1]. فلا يذهب معه إلا النادر والنادر لا ينفع بالإنتصار الفعلي الدنيوي.

والذي له درجة من الذكاء الإجتماعي حتى في ذلك الحين، يمكن أن يلتفت إلى ذلك. ولكن يبدو أن هؤلاء لا يفهمون ذلك.

وينبغي أن نلتفت إلى أن خطبته فيها أمران رئسيان:

أولاً: نبوئته بخروجه: **(فإني خارج غداً مصبحاً إن شاء الله)**[2].

ثانياً: نبوئته بمقتله: **(كأني بأوصالي تقطعها عسلان الفلوات بين النواويس وكربلاء)**[3].

ولكن خطبته هذه كانت بعد هذه النصائح والكلمات، فمن حق الفرد الإعتيادي أن يتوقع أن يقتل الحسين عليه السلام بهذا الشكل.

ويبدو أن الحر أيضاً حينما جعجع بالحسين عليه السلام وهو بعد ذلك بكثير، لم يكن يتوقع مقتل الحسين عليه السلام. فحينما وصل الحسين عليه السلام إلى كربلاء وبدأ

(١) تحف العقول ص٢٤٥، البحار ج٤٤ ص١٩٥، كشف الغمة ج٢ ص٢٤٢.

(٢) شرح الأخبار ج٣ ص١٤٦، البحار ج٤٤ ص٣٦٧، اللهوف لابن طاووس ص٣٨.

(٣) البحار ج٤٤ ص٣٦٧، مثير الأحزان لابن نما ص٢٩.

القتال: قال بما مضمونه: لم أكن أعلم أو أتوقع وصول المسألة إلى هذه الدرجة[١]. مع العلم أنه قائد كتيبة وذو خبرة من الناحية الإجتماعية.

إذن، فهؤلاء أولى بهذا الإطمئنان وهو أن الحسين عليه السلام لايقتل. فالأفضل لهم حسب ما يفكرون أن يبقى الحسين عليه السلام منعزلاً بالمدينة ولا يذهب إلى هناك ليتلقى الإنتصار والسمعة والملك.

---

(١) أنظر الإرشاد ج٢ ص١٠٠، تأريخ الطبري ج٤ ص٣٢٥.

كتب أهل الكوفة

قال المؤرخون[١]: وفي مكة وافته كتب أهل الكوفة من الرجل والإثنين والثلاثة والأربع، يسألونه القدوم عليهم لأنهم بغير إمام. ولم يجتمعوا مع النعمان بن بشير في جمعة ولا جماعة. وتكاثرت عليه الكتب حتى ورد عليه في يوم واحد ستمائة كتاب واجتمع عنده من نوب متفرقة إثنى عشر ألف كتاب. وفي كل ذلك يشددون الطلب وهو لا يجيبهم. وآخر كتاب ورد إليه من شبث بن ربعي وحجار بن أبجر ويزيد بن حارث وعزرة بن قيس وعمرو بن الحجاج ومحمد بن أمير بن عطارد.

وفيه: إن الناس ينتظرونك لا رأي لهم غيرك فالعجل العجل يا ابن رسول الله. فقد إخضرَّ الجناب وأينعت الثمار وأنبتت الأرض وأورقت الأشجار. فاقدم إذا شئت فإنما تقدم على جنود لك مجندة، ويقال إن بعده (والسلام) ولكن المقرم حذفها.

وهذه العبارات التي وردت في الكتاب وهي قولهم: (فقد اخضرَّ الجناب) إلى قولهم: (وأورقت الأشجار) لا يحتمل حملها على معناها المطابقي، وإنما تحمل على الرمز لأمور معينة اقتضت المصلحة عدم التصريح بها. أو أن

(١) أنظر مثير الأحزان لابن نما ص١٦.

معناها أن الأمور معدة ومتهيئة لإستقبالك. وإما أنها رموز منعت التقية عن التصريح بها.

فإن قلت: إنهم لم يكونوا في ذلك الحين في تقية.

قلنا: نعم من حيث الهدف وأما من حيث التفاصيل فلا.

فإن قلت: فإنها تحتوي على مجابهة كاملة لقولهم: (جند مجندة) يعني المحاربين للكيان القائم، وهو معنى أنهم ليسوا في تقية من أي جهة.

قلنا: نعم كأطروحة، وحينئذ تسقط هذه الأطروحة فنتحول إلى أطروحات أخرى.

ويمكن أن يكون حول ذلك بعض الأسئلة:

السؤال الأول: إنه لماذا لم تأتِ مثل هذه الكتب من غير الكوفة كالبصرة والشام وغيرها؟ فإن الوارد في التأريخ أنها جميعاً جاءت من الكوفة أو قل من منطقة الكوفة.

جوابه: إن الكوفة كانت عاصمة الحكم العلوي ردحاً من السنين وتربت على يد أمير المؤمنين عليه السلام، وفيها مخلصين ومتحمسين له، كما أن فيها محبين له. وكل الشعب هناك يتذكر أيام السعادة التي عاشها بين يدي الإمام أمير المؤمنين عليه السلام وهذه الصفة لم تكن موجودة في أي مكان في العالم حتى البصرة. فإن البصرة مرَّ فيها الإمام عليه السلام أياماً خلال حرب الجمل، وصلى فيها جماعة، إلا أن مقامه غير طويل أولاً، ولم يعاشر الناس ويقضي حاجة المحتاجين واحداً بعد واحد، ويجيب على الأسئلة واحداً بعد واحد، وخطب كثيراً كما فعل في الكوفة، وإنما كان مشغولاً بحرب الجمل. ولم يصادف

هناك حالة إستقرار وهدوء وفعالية إجتماعية. فلم يحمل الناس هناك عنه نفس الفكرة التي حملها عنه الكوفيون.

وإذا لم يكن الحال في البصرة كذلك ففي غيرها أولى.

مضافاً إلى أن البصرة كان واليها عبيد الله بن زياد، فكانت تخاف منه لأنه قاسٍ في حكمه وواضح العداء والنصب لأهل البيت عليهم السلام.

فإن قلت: فإنه إنما اشتدت قسوته في الكوفة تلافياً لما حصل من الحركة العلوية بقيادة مسلم بن عقيل عليه السلام من مصلحة الحسين عليه السلام، ولم يكن مثل ذلك في البصرة. وليس من المعروف أنه كان قاسياً في الحكم بالبصرة.

قلنا: إنهم هناك كانوا يعرفون اتجاهه وذوقه وموقفه الإجتماعي، فلو كان قد حصل في البصرة من الحركة الإيمانية ما حصل في الكوفة لكان رد فعله اتجاهها هو نفسه الذي فعله في الكوفة.

فإن قلت: فإنه فعل ذلك في الكوفة لأنه مخول بذلك من قبل الحاكم الأموي، ولم يكن مخولاً بذلك من قبله في البصرة.

قلنا: نعم، إلا أنه إنما خوله بذلك نتيجة للحركة الإيمانية، فإذا حصل مثلها في البصرة فاحسب أن التخويل موجود وما أسرع ما يصل إليه.

السؤال الثاني: إنه ما الذي حدث في الكوفة في ذلك الحين وقد بادرت بكل مفكريها ووجهائها وشعبها إلى دعوة الحسين عليه السلام إليهم ولم تبادر قبل ذلك؟

جوابه: إن هذا يحتاج إلى مقدمتين: أحدهما محرزة والأخرى محتملة تعرض كأطروحة.

المقدمة الأولى: إنهم لم يكونوا يستطيعون ذلك خلال حكم معاوية لمدى سيطرته ومكره واستعداده للتنكيل بهم. كما فعل بخاصة أصحاب الإمام عليه السلام كحجر بن عدي وجماعة آخرين ممن قتلهم بعد واقعة صفين[1]. فكانت قسوته في الحكم مسببة لدرجة مكثفة من التقية والحذر لدى الكوفيين وغير الكوفيين.

وإنما انفتحت الفرصة بعد موته مباشرة، كأنه كان حجراً ثقيلاً أزيل عن صدور هذه الأمة. وقد اختلف وضع المجتمع بموته وضعفت دولة الأمويين بحكم يزيد ولم يكن أحد يحسن به الظن ويحبه كما لم يكن (يزيد) إلى ذلك الحين قد مارس شيئاً من القسوة التي مارسها بعد ذلك. وإنما المعروف عنه أنه مشغول بشهواته وخمره. ومثل هذا النموذج من الحكام لا يستطيع ممارسة الحكم القوي كما كان عليه معاوية.

إذن، فمن المناسب جداً أن يبدأ من جديد وجود الحكم العادل المحبوب للناس وهو حكم أهل البيت عليهم السلام متمثلاً بشخص الحسين عليه السلام، لأنه هو الإمام في ذلك الحين.

المقدمة الثانية: كأطروحة، أن هذا الأمر وهو إيجاد همة عالية من الناس كلهم، يحتاج في المجتمع إلى تحريك لا أنه يوجد في نفسه على سبيل الصدفة. ولم يرد في التأريخ أنه من هو أول من حرَّكه؟ ومن هنا كان الأمر مجهولاً. غير أننا نعلم أن في الكوفة مخلصين ومتحمسين واتجاها علوياً قوياً يعتبر أقوى الإتجاهات على الإطلاق في ذلك المجتمع، بالرغم من أنه لا يخلو أي مجتمع من اتجاهات مختلفة ومستويات متباينة، إلا أن الإتجاه العلوي كان هو الأقوى حتماً.

---

(١) أنظر شرح الأخبار ج٢ ص١٧١.

ولم تخنس الكوفة إلا في عهد عبيد الله بن زياد، ونراها بعد أن أنقذها الله منه احتضنت التوابين، بل أكثر التوابين هم منها فعلاً. كما احتضنت المختار الثقفي للأخذ بالثأر، وكانت عاصمته إلى أن تسلطت عليها القسوة من جديد متمثلة بالحجاج الثقفي.

وعلى أي حال فقد كانت هذه الكتب نتيجة طبيعية لهذا الإتجاه القوي بعد زوال المانع ووضوح ضعف الحكم الأموي آنئذ[١].

السؤال الثالث: لماذا يتوقف أمر الحسين عليه السلام على الذهاب إلى الكوفة؟ بل كان يستطيع أن يعلن نفسه حاكماً على المنطقة التي هو فيها، ثم يتصرف بعد ذلك من نقطة قوة ضد الحكم الأموي كما تقتضيه الأحوال.

جواب ذلك من وجوه:

الوجه الأول: إنه لم يكن من المناسب جداً أن يبدأ الناس بذلك ويعلن نفسه أميراً، لأن أسهل ما يقال ضده حينئذ كونه محباً للإمارة وطالباً للدنيا. فالأمر كان متوقفاً على وجود المبادرة من غيره والطلب إليه في ذلك. في حين لم يحدث من هذا القبيل في المدينة والحجاز.

الوجه الثاني: إن المجتمع في الحجاز لم يكن كالمجتمع في الكوفة أكيداً، فإن الحجاز قد عاشت الخلافة الأولى على طولها، وعاشرت العلماء

(١) يمكن أن يضاف إلى ذلك أطروحة أخرى وحاصلها: إن الحسين عليه السلام هو الذي حرَّك القلوب لأجل الكتابة له لكي يأتي إلى العراق فتحصل الشهادة التي يتوقف عليها وصوله إلى المقامات التي وعد بها. وهذه الأطروحة أقرب إلى الذوق الباطني. وإشكالها الرئيسي: إن هذا قول بالجبر الذي لا نقول به. وجوابه: إنه يمكن أن يقال إنه أوجد الفكرة والدافع في نفوسهم مع حفظ الإختيار لهم.

والمفكرين والرواة والقصاصين المؤيدين لها، من طبقة الصحابة والتابعين. والمهم أن هذا الإتجاه كان قوياً هناك شعباً وحكومة لو صح التعبير.

والناس وإن حملوا فكرة طيبة عن أهل البيت وذرية الرسول صلى الله عليه وآله إلا أنهم لم يحدثوا أنفسهم بتمكينهم من الحكم عليهم، لما يعرفون منهم من تطبيق الحق والعدل. الأمر الذي يكسر بالتدرج مصالحهم الدنيوية ويؤدي إلى تشتيت شملهم وتصدّع حالهم بخلاف الكوفة التي كانت علوية بطبعها.

الوجه الثالث: إننا نعرف أن في الحجاز قادة مشاهير معارضين للحكم الأموي وللحسين عليه السلام أيضاً، وأشهرهم عبد الله بن الزبير. وهذا معناه أن أي واحد منهم سواء كان على مستوى التاثير الفكري أو التاثير العسكري، استطاع التغلغل في المجتمع واكتساب الثقة به والشهادة بمشروعية وجوده. بل وجود المتحمسين له والمدافعين عنه قلّوا أو كثروا.

وهذا معناه أن منطقة الحجاز مجتمع مختلط من هذه النواحي اختلاطاً كبيراً وصعباً، ولا يمكن للحسين عليه السلام الإنفراد به أو السيطرة عليه سيطرة تامة إلا بالمعجزة التي لم تكن مفروضة في نشر الحق وإقامة العدل.

وخاصة بعد أن نلتفت إلى أن أسلوب الحكم يومئذ لم يكن على أسلوب الحكومات الحديثة من الأجهزة والأموال والمعدات، وأنحاء كثيرة لم يكن يعرفها الناس إطلاقاً.

كما لا يستطيع الحسين عليه السلام -حسب فهمي- أن يتعامل مع أعدائه خصوصاً ومع المجتمع عموماً عن طريق القسوة والسيطرة المكثفة، وإنما عليه أن يتعامل بالأخلاق والتواضع والرحمة، وهي صفات لا تفيد حقيقة في قيادة المجتمع المختلط وغير الكفوء. فإنه يحتاج في قيادته إلى قسوة وحزم. فإذا

كان يمثل جده رسول الله صلى الله عليه وآله في الرحمة فمن الصعب عليه أن يتقدم.

ومن ثم سنجد أن الإمام المهدي عليه السلام لا يتعامل مع المجتمع بالمجاملة والرحمة وإنما بالقسوة والشدة والتركيز[1]، لكي يستطيع أن يكون جدياً حقيقة في إقامة دعائم العدل والحق، وإقامة حكم الله في الأرض. وقد ورد عنه في بعض الروايات بما مضمونه: إنه يقتل أحد أصحابه وكان يقف إلى جانبه لأنه خطر في ذهنه أنه يكون ضد الإمام عليه السلام[2].

السؤال الرابع: إنه لماذا استجاب لهم الحسين عليه السلام مع علمه بكذبهم وخداعهم بغض النظر عن علم الإمامة الخاص، فإن جملة منهم كان واضح

---

(١) روي عن أبي بصير أنه قال: قال أبو عبد الله عبد الله عليه السلام : لا يخرج القائم عليه السلام حتى يكون تكملة الحلقة. قلت: وكم تكملة الحلقة؟ قال: عشرة آلاف، جبرئيل عن يمينه، وميكائيل عن يساره، ثم يهز الراية ويسير بها، فلا يبقى أحد في المشرق ولا في المغرب إلا لعنها، وهي راية رسول الله صلى الله عليه وآله، نزل بها جبرئيل يوم بدر. ثم قال: يا أبا محمد ما هي والله قطن ولا كتان ولا قز ولا حرير ، قلت: فمن أي شيء هي؟ قال: من ورق الجنة، نشرها رسول الله صلى الله عليه وآله يوم بدر، ثم لفها ودفعها إلى علي عليه السلام ، فلم تزل عند علي عليه السلام حتى إذا كان يوم البصرة نشرها أمير المؤمنين عليه السلام ففتح الله عليه، ثم لفها وهي عندنا هناك، لا ينشرها أحد حتى يقوم القائم، فإذا هو قام نشرها فلم يبق أحد في المشرق والمغرب إلا لعنها، ويسير الرعب قدامها شهراً ووراءها شهراً وعن يمينها شهراً وعن يسارها شهراً، ثم قال: يا أبا محمد إنه يخرج موتوراً غضبان أسفاً لغضب الله على هذا الخلق، يكون عليه قميص رسول الله صلى الله عليه وآله الذي عليه يوم أحد، وعمامته السحاب، ودرعه درع رسول الله صلى الله عليه وآله السابغة وسيفه سيف رسول الله صلى الله عليه وآله ذو الفقار، يجرد السيف على عاتقه ثمانية أشهر يقتل هرجاً، فأول ما يبدأ ببني شيبة فيقطع أيديهم ويعلقها في الكعبة وينادي مناديه: هؤلاء سراق الله، ثم يتناول قريشاً، فلا يأخذ منها إلا السيف، ولا يعطيها إلا السيف، ولا يخرج القائم عليه السلام حتى يقرأ كتابان كتاب بالبصرة، وكتاب بالكوفة بالبراءة من علي عليه السلام. كتاب الغيبة للنعماني ص ٣٠٨

(٢) والرواية عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال: بينا الرجل على رأس القائم يأمر وينهى إذ يأمر بضرب عنقه فلا يبقى بين الخافقين شيء إلا خافه. نفس المصدر ص٢٤٠.

النفاق يومئذ كشبث بن ربعي وحجار بن أبجر وعمرو بن الحجاج وآخرين. ونحن نعلم أنهم أصبحوا في معسكر الأعداء ضده في واقعة الطف في المستقبل القريب.

فكان مقتضى الفهم الإجتماعي المعمق الإلتفات إلى ذلك وعدم الإستجابة لهم إطلاقاً، وخاصة إذا ضممنا الفهم المتشرعي تأريخياً، فإنهم يفهمون أن هذا الكتاب الأخير هو العلة الأخيرة أو جزء العلة النهائي لذهابه عليه السلام. مع العلم أن جزء العلة النهائي هو فاشل في نفسه لأنه موقع من قبل أناس منافقين لا أكثر ولا أقل. وقد يكون فيهم من هو يهودي الأصل كعزرة بن قيس، ومن الصعب أن نتصور أن اليهودي يحسن إسلامه. فإنما كان ذلك مصيدة للحسين عليه السلام ليس إلا.

جوابه: إننا ينبغي سلفاً أن لا نأخذ مسلماً أن العلة الأخيرة لحركة الحسين عليه السلام هو هذا الكتاب وإنما ذاك كان على سبيل الصدفة.

نعم، إهتم به المؤرخون ونقلوا مضمونه، وهذا لا يعني أنه أهم في نظر الحسين عليه السلام من الكتب الأخرى، ولا يعني اهتمامه بالموقعين فيه أكثر من اهتمامه بالكتب الأخرى. وإنما الإهتمام الحقيقي -حسب فهمنا- منصب على كثرة الكتب فقط. بحيث يصدق أكيداً أن الكوفة كلها كتبت إليه. وإذا دعته الكوفة كلها وأظهرت إسناده واستعدادها للدفاع عنه، كان ذلك موضوعاً كافياً للحكم الشرعي بوجوب الحركة.

فمن هنا يمكن القول إن الذي دعاه إلى الحركة أحد امور:

أولاً : تمامية الحكم الشرعي في نظره بوجوب إقامة حكم الله في الأرض ولو على منطقة محدودة بعد تحقيق موضوعه وهو دعوة الكوفيين له.

ثانياً: إن هناك رد فعل سيء سوف يحصل إذا لم يذهب، إما من الله سبحانه، وهو غضبه بصفته آمراً بهذا الحكم الشرعي. أو من الناس، وأنه متقاعس وجبان والفرصة انفتحت له ولم يذهب. لأن خبر هذه الكتب انتشر حتماً في المجتمع، والذين يأتون بالكتب يذهبون ويتحدثون عنها في الكوفة وفي مكة وفي المدينة وفي أي مكان، وكذلك مرسلوها. ويكفينا وجود هذه الشائعة إذا وجدت في الكوفة نفسها.

ونحن نعلم أنها إذا كانت ضد الحسين عليه السلام فستكون ضد الدين والمذهب، وهذا ما لا يريده الحسين عليه السلام بطبيعة الحال.

ثالثاً: إنه ذهب ليجرب حاله ومباشرته للحكم، فإن استتب له الأمر بتوفيق الله سبحانه فهو المطلوب، وإلا أمكن التفكير بأمر آخر الله يعلم أنه ماذا سوف يكون عندئذ. ونحن نعلم من موقف الحسين عليه السلام أنه سوف يختار أشد الإحتمالات من التصرف في رضا الله سبحانه.

رابعاً: إنه وإن كان المعلن ظاهراً هو ذهابه إلى الكوفة، إلا أنه لم يكن قاصداً لها ولم يكن له أمل الوصول إليها. وإنما كان قاصداً إلى كربلاء، أي إلى موضع شهادته التي أمر أن يسير فيها ونحوها أمراً شرعياً. مضافاً إلى أنه قاصد للمقامات العالية التي لن ينالها إلا بالشهادة. وكل هذه الأمور لا ربط لها بالكوفة ولا بكتب الكوفيين.

فإن قلت: فإن الأئمة عليهم السلام من ذريته أصبح لديهم وضوح بهذه الفكرة

-كما نعبر عرفاً - وهو ضرورة وجود أصحاب مخلصين كاملين لا تأخذهم في الله لومة لائم. وإلا فهم لا يتحركون ولا يشهرون السلاح.

وعلى هذا المضمون عدة روايات:

منها: قوله عليه السلام : لو كان لي بعدد هذه الغنيمات رجال لقمت بالسيف[١].

ومنها: قوله عليه السلام لرسول الثورة الخراسانية: هل فيكم مثل هذا؟ قال: لا. قال: فأنا أرفض الإستجابة لكم[٢]. ونحو ذلك.

فهل كان يعلم الحسين عليه السلام ذلك أم لا؟

فإن لم يعلم كان على خلاف عصمته، وإن كان يعلم كان على خلاف حركته، فلماذا تحرك؟

جوابه:

أولاً: هذا مبني على الوجوه الأخرى غير طلب الشهادة، وأما إذا كان

---

(١) ونص الرواية عن الإمام الصادق عليه السلام : (لو أن لي عدد هذه الشويهات - وكانت أربعين - لخرجت) جواهر الكلام ج٢١ ص٣٩٧.

(٢) والرواية هي: حدَّث إبراهيم عن أبي حمزة عن مأمون الرقي قال كنت عند سيدي الصادق عليه السلام إذ دخل سهل بن حسن الخراساني فسلم عليه ثم جلس، فقال له: يا ابن رسول الله لكم الرأفة والرحمة وأنتم أهل بيت الإمامة. ما الذي يمنعك أن يكون لك حق تقعد عنه وأنت تجد من شيعتك مائة ألف يضربون بين يديك بالسيف؟ فقال له عليه السلام : اجلس يا خراساني رعى الله حقك، ثم قال: يا حنفية اسجري التنور. فسجرته، حتى صار كالجمرة وابيض علوه. ثم قال: يا خراساني قم فاجلس في التنور، فقال الخراساني: يا سيدي يا ابن رسول الله لا تعذبني بالنار أقلني أقالك الله. قال: قد أقلتك. فبينما نحن كذلك إذ أقبل هارون المكي ونعله في سبابته، فقال: السلام عليك يا ابن رسول الله، فقال له الصادق: الق النعل من يدك واجلس في التنور. قال : فألقى النعل من سبابته ثم جلس في التنور. وأقبل الإمام يحدث الخراساني حديث خراسان حتى كأنه شاهد لها. ثم قال: قم يا خراساني وانظر ما في التنور. قال: فقمت إليه فرأيته متربعاً فخرج إلينا وسلَّم علينا. فقال له الإمام: كم تجد بخراسان مثل هذا؟ فقلت: والله ولا واحداً فقال عليه السلام : لا والله ولا واحداً؟ أما إنا لا نخرج في زمان لا نجد فيه خمسة معاضدين لنا نحن أعلم بالوقت. المناقب ج٣ ص٣٦٣، البحار ج٤٧ ص١٢٣.

غرضه الشهادة انسد السؤال.

ثانياً: بعد التنزل عن الوجه الأول، إنه كان محرزاً وجود عدد كاف من المدافعين المخلصين في الكوفة، وإن كان فيهم غيرهم أيضاً. وهذا كاف لتحقيق موضوع الحكم الشرعي بوجوب الحركة. كهانيء بن عروة وميثم التمار والمختار الثقفي وحبيب بن مظاهر الأسدي ومسلم بن عوسجة وآخرين. وكلهم ممن استشهد في سبيل الله بعد ذلك وأثبت جدارته من هذه الناحية.

وبتعبير آخر: إنه كان في الكوفة بقدر هذه الغنيمات من الأصحاب المخلصين الكاملين. إذن، فيجب القيام بالسيف طبقاً للرواية التي قالها حفيده الصادق عليه السلام.

ثالثاً: إنه يمكن القول: بأن موضوع الحكم الشرعي يتحقق بما دون ذلك وقد تحقق له الموضوع وتنجّز في ذمته الوجوب. لأن الكثرة لها دخل في الدفاع، فإذا كانت تحت قيادة رشيدة ومعصومة أمكن أن تؤتي أكلها وتنتج نتائجها.

قال التأريخ: فقال مروان للوليد: عصيتني فو الله لا يمكنك على مثلها. قال الوليد: ويح غيرك[1] يا مروان اخترت لي ما فيه هلاك ديني؟ أقتل حسيناً أن قال: لا أبايع؟ والله لا أظن امرؤاً يحاسب بدم الحسين إلا كان خفيف الميزان يوم القيامة ولا ينظر الله إليه ولا يزكيه وله عذاب أليم[2].

وعتبت أسماء بنت عبد الرحمن بن الحارث بن هشام امرأة الوليد لما

---

(١) وهو تعظيم لمروان أي لا أقول لك ويحك وإنما أقولها لغيرك.

(٢) أنظر البحار ج٤٤ ص٣٢٥، إعلام الورى للطبرسي ج١ ص٤٣٥، الإرشاد ج٢ ص٣٣.

جرى منه مع الحسين عليه السلام، فاعتذر بأنه بدأ بالسب. قالت: انسبه وانسب أباه إن سبك. فقال: لا أفعل ابداً[(١)].

وظاهر (لا افعل ابداً) أنه لا يسبه أبداً، لا أنه لا أنسبه أبداً. بحيث يكون هذا تعنتاً بموقفه والتزاماً بشتمه.

أقول: وهذه الفقرة وأمثالها مما لا ينقلها الخطباء على منابرهم لأجل أن فيها جنبة من الحق وقائلها من أهل الباطل. وهم -أعني الخطباء- يريدون أن يبرزوا أعداء الحسين عليه السلام وأعداء المعصومين عليهم السلام على أنهم باطل صرف، ليس لديهم أي جنبة من الحق مهما قلّت. يبرزونهم شياطين خالصين في كل أقوالهم وأفعالهم.

مع العلم أن هذا مخالف للواقع غالباً لأمرين:

الأمر الأول: وجود ذلك في كثير من أهل الباطل.

منها: هذه الرواية عن الوليد.

ومنها: بكاء عمر بن سعد على الحسين عليه السلام[(٢)].

ومنها: كتاب هؤلاء المنافقين إلى الحسين عليه السلام كحجار بن أبجر ورهطه، وهو أشهر كتب الكوفة. مع أن حجار ابن أبجر أصبح قائد كتيبة ضد الحسين عليه السلام في كربلاء.

---

(١) هذه العبارة ينقلها المقرم في مقتله ص١٣١ عن ابن عساكر ج٤ ص٣٢٨ ولم يذكر اسم الكتاب والأرجح أنه يقصد تهذيب تأريخ الشام. ولكن المقرم يذكرها بلفظ: أتسبه وتسب أباه إن سبك. ولعل الأصح على فرض وجود هذه الرواية: انسبه وانسب أباه.

(٢) أنظر البحار ج٤٥ ص٥٥، تأريخ الطبري ج٤ ص٣٤٥.

ومنها: قول معاوية في بعض خطبه: إني ما قاتلتكم لتصلوا أو تصوموا وإني أعلم أنكم تفعلون ذلك، وإنما قاتلتكم لأتأمر عليكم. وإني عاهدت الحسن بأمور وها هي تحت قدمي(١).

فهم يحذفون قوله: وإني أعلم أنكم تفعلون ذلك. لأن فيه نحواً من العذر لهذا الطاغية.

الأمر الثاني: إن النفس الإنسانية خلقها الله تعالى تميل إلى الخير والشر معاً، وكل مجموعة من سلوك الفرد إنما هو ناشئ من هذا ومن هذا معاً. قال الله تعالى: ﴿وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ﴾. والناس مختلفون تماماً في انصياعهم لهذا العامل أو ذاك. فمنهم من يكثر خيره، ومنهم من يكثر شره، على درجات مختلفة ومتباينة تبايناً شديداً.

وليس أعداء الحسين عليه السلام في استثناء من ذلك. كما أنهم ليسوا على غرار واحد في التصرف تجاه الشر، وإن وجد من يكون كذلك فعلاً كيزيد بن معاوية وشمر بن ذي الجوشن. فإن جانب الخير قد يموت في نفس الإنسان تماماً إذا بلغ ذروته في درجات التكامل الأدنى(٢). كما أن جانب الشر قد يموت تماماً إذا بلغ الفرد ذروته في درجات التكامل الأعلى(٣).

فالمهم أن الدرجات الوسطى ذات التذبذب بين الخير والشر هم أكثر

---

(١) ونص كلامه هو: «إني والله ما قاتلتكم لتصلوا ولا لتصوموا ولا لتحجوا ولا لتزكوا، إنكم لتفعلون ذلك، ولكني قاتلتكم لأتأمر عليكم، وقد أعطاني الله ذلك وأنتم له كارهون. ألا وإني كنت منيت الحسن وأعطيته أشياء، وجميعها تحت قدمي لا أفي بشيء منها له». الإرشاد ج٢ ص١٤، مقاتل الطالبيين ص٤٥.

(٢) أي التكامل التسافلي، بحيث يبلغ درجات عالية من التسافل والظلم.

(٣) كما في المعصومين عليهم السلام.

البشر، وهم موجودون في كلا المعسكرين معسكر الحق ومعسكر الباطل. فبينما نجد الفرد أكثر تصرفه على الحق، نجد فيه شيئاً من الباطل. وبينما نجد الفرد أكثر تصرفه على الباطل نجد فيه شيئاً من الحق. وهذا ضروري في أي فرد بصفته ناتجاً من رسوخ كلا الجانبين في نفسه.

والمهم الآن: كمفكرين وباحثين ينبغي لنا أن نكون موضوعيين ومتجردين لدى البحث عن أي إنسان، فننسب له كل أفعاله وأقواله، ولا ننكر منها شيئاً لمجرد الغرض في أنفسنا. فإن ذلك من الكذب ولا يحسن أمام الله ولا أمام التأريخ والإنسانية.

بل الأمر أكثر من ذلك، فقد نستفيد من كلمات الحق التي قالها الآخرون، فمثلاً نقول: إنه شهد بحرمة قتله الأعداء كما قال الوليد. أو بكى عليه الأعداء كما بكى عليه عمر بن سعد. أو أن نستشهد بفضائل أهل البيت الموجودة في كتب الجماعة وهكذا.

نعم، غرض الخطباء في كتم ذلك هو تحصيل الدمعة عند العوام. وهذا هدف طيب في نفسه باعتباره مصداقاً لما ورد: **(من بكى أو أبكى أو تباكى وجبت له الجنة)**[1]. مع العلم أنهم لو نقلوا جوانب الإنصاف القليلة الموجودة لدى بعضهم، لتعجب منها العوام وانقطع بكاؤهم.

وأنا أقول: إن هذا صحيح، إلا أنه لا ينافي أننا في الأبحاث الدقيقة والموضوعية، ينبغي أن نذكر كلا الجانبين ونعطي كلا الحقين. وإلا لم نكن نحن منصفين، وكان حذفه بمنزلة الشهادة بعدمه وهو كذب. ولا أقل إذا لم يكونوا هم من المنصفين فلا بد أن نكون نحن من المنصفين.

---

(١) أنظر كامل الزيارات ص٢٠٩.

هدف يزيد في قتل الحسين عليه السلام

الآن نتكلم عن هدف يزيد في قتل الحسين عليه السلام وهو متحقق ومحتمل في عدة أمور:

الأمر الأول: وهو أشهرها، إباء الحسين عليه السلام عن مبايعة يزيد، وهو الشعار الذي كان يرفعه الجيش المعادي في كربلاء، وأنك لو بايعت يزيد ووضعت يدك في يده كففنا عنك.

الأمر الثاني: ما ذكره يزيد في شعره، وهو الإنتقام لقتلى بدر وأحد أعداء رسول الله صلى الله عليه وآله. كما أكلت جدته هند كبد حمزة سيد الشهداء. حيث يقول:

قد قتلنا القرم من أشياخهم   وعدلنا ميل بدر فأعتدل

فهو حقد قديم نفَّس عنه في أول حصوله على الملك والخلافة.

الأمر الثالث: إن هناك حركة علوية منذرة بالإتساع والتغلغل في المجتمع. بدءاً بكتب الكوفيين ومروراً على سيطرة مسلم بن عقيل عليه السلام على الكوفة وانتهاء بتوجه الحسين عليه السلام إليها. وقد يكون أنها تنتهي بالحكم العلوي الحسيني الذي يجهلون حده وأمده من حيث النشاط والمكان والزمان. والذي سيكون معادياً لهم وقاضياً عليهم وقاسياً في معاملتهم. إذن، فيجب من وجهة نظرهم القضاء عليه في مهده واجتثاث أمره قبل حدوثه وصعوده، وهذا ما

فعلوا.

ولكنهم لم يكونوا يستطيعون أن يعلنوا ذلك للمجتمع بصراحة، لأن كل أحد من حقه الطموح والسيطرة كما تشاء له رغباته. وليس من حق أحد أن يمنعه إلا أن يكون مدافعاً عن ملكه. وأقل ما نقوله في الحسين عليه السلام أنه يريد الملك، وليس في هذا محذور دنيوياً ولا قانونياً، بل ولا دينياً. وقد أراد الملك من هو مثله كمعاوية ويزيد نفسه. بل ونبي الإسلام من وجهة نظر هؤلاء الساقطين، لأنه يقول:

لعبت هاشم بالملك فلا خبر جاء ولا وحي نزل

وهو يعني أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أراد بإدعاء النبوة مجرد السيطرة وحب الملك والزعامة. وهو بذلك يمثل جده أبا سفيان حين قال: تقاسموها يا بني أمية فوالذي يحلف به أبو سفيان لا جنة ولا نار[1].

إذن، فإرادة السيطرة مهما كانت دوافعها، مشروعة في نظرهم. فليكن الحسين عليه السلام كذلك على أسوء تقدير. إذن، فعمله مشروع فلماذا ينبغي قتاله والإجهاز عليه؟ ومن هنا لم يكونوا يستطيعون أن يعلنوا ذلك في المجتمع صراحة وأنهم يمنعون الحسين عليه السلام عن الملك والسيطرة فجعلوا شعارهم أخذ البيعة ليزيد.

---

(١) والرواية تقول: فلما دخل عثمان رحله (بعد الشورى والبيعة له) دخل إليه بنو أمية حتى امتلأت بهم الدار، ثم أغلقوها عليهم، فقال أبو سفيان بن حرب: أعندكم أحد من غيركم؟ قالوا: لا. قال: يا بني أمية تلقفوها تلقف الكرة، فوالذي يحلف به أبو سفيان، ما من عذاب ولا حساب، ولا جنة ولا نار، ولا بعث ولا قيامة. أنظر السقيفة وفدك للجوهري ص٨٧، كتاب الأربعين للقمي الشيرازي ص٢١٥، مناقب أهل البيت للشيرواني ص٤٠٧، شرح النهج لابن أبي الحديد ج٩ ص٥٣.

ومن الواضح أنه لو بايع ليزيد لم يستطع السيطرة على الكوفة أيضاً. فقد خيروه بين أمرين، كلاهما في مصلحتهم. إما القتل وإما البيعة: **(بين السلة والذلة وهيهات منا الذلة)**[1] يعني البيعة.

فإن حصلت البيعة فبها ونعمت من وجهة نظرهم، وقد خاب الحسين عليه السلام واستسلم وأنطفأ نوره واندرس أثره. وإن لم يبايع فلا ينبغي أن يمارس نشاطه المأمول ويصل إلى هدفه المنشود، وإنما لا بد من قتله والإجهاز على حركته.

ومن هنا نعرف أن لا تنافي بين تلك الأهداف الثلاثة لأعداء الحسين عليه السلام، بل كلها صحيحة في نظرهم، وكلها قد فكروا بها فعلاً وأبرزوها بوضوح. وكان مقتل الحسين عليه السلام سبباً لتحققها جميعاً في نظرهم، لو لا أن الله سبحانه نصر الحق بعد حركة التوابين وحركة المختار الثقفي.

والسؤال الآخر التابع لذلك: إنه من الواضح أن الأمر يتم لأعداء الحسين عليه السلام بمقتله شخصياً ولا حاجة لقتل غيره، لأنه هو الذي يأبى أن يبايع، وهو الأمير المتوقع على الكوفة، وهو أبرز المعادين للحكم يومئذ. وهذا ما أدركه الحسين عليه السلام حين قال: **(فإن القوم إنما يطلبونني، ولو ظفروا بي لذهلوا عن طلب غيري)**[2].

فلماذا فعلوا فعلتهم الشنعاء بكل قساوة في كربلاء؟ فزاد القتل وأستفحل الظلم وتعددت المظالم والمصائب. فماذا كان غرضهم في ذلك؟

---

(١) كما ورد ذلك عن الإمام الحسين عليه السلام. الاحتجاج ج٢ ص٢٤، البحار ج٤٥ ص٨٣، ترجمة الإمام الحسين لابن عساكر ص٣١٩، اللهوف لابن طاووس ص٥٩.

(٢) أمالي الشيخ الصدوق ص٢٢٠.

وهذا يمكن تفسيره في مرحلتين:

المرحلة الأولى: في قتل الأصحاب وبني هاشم الذين قتلوا قبله.

وهنا من الواضح أنهم لم يكونوا يمكنهم أن ينالوا الحسين عليه السلام بسوء ما دام واحد من هؤلاء موجوداً. ومن هنا كان لا بد -من وجهة نظرهم- قتل الجميع ليصلوا إلى قتل الحسين عليه السلام.

المرحلة الثانية: ما حصل بعد مقتله عليه السلام، لأنهم بمقتله بلغوا المراد الدنيوي. فلماذا فعلوا الأمور الأخرى؟ وهي فضائع وفضائح كثيرة كحرق الخباء وسرقة النساء وقطع الرؤوس ودوس جسد الحسين عليه السلام بحوافر الخيل. وكل واحد منها يملأ الكون مصائب وعجائب.

وهذا لا تفسير له اجتماعياً وسياسياً، ولكنه ناشئ من الحقد الدفين والغل الأعمى، لكي يزيد العوض في نظرهم على المعوض.

فليت شعري، بأن أشياخه في بدر قتلوا بدون عطش ولا دوس ولا حرق ولا نهب. ولكنهم بالمقابل فعلوا كل ذلك.

ولكن هذا يتوقف على أن الموجودين في جيش يزيد من بني أمية يشعرون بشعور يزيد فورياً، بحيث يريدون الإنتقام من قتلى بدر وأحد كما يريد يزيد. أو أن الأمر أو الإتفاق قد حصل على ذلك مسبقاً. وكلاهما بعيد.

ومن الأكيد أننا لا نستطيع أن ننسبه إلى يزيد مباشرة، وهو جالس في الشام لا يعلم بالتحديد ما يجري في الكوفة وكربلاء.

نعم، يمكن نسبته إلى عبيد الله بن زياد. والظاهر أنه عليه بعض

الروايات[١]. مع العلم أنه لم يكن في طف كربلاء ليوجه إليهم الأوامر مباشرةً بهذا الخصوص.

فإما أن نقول: إنه أمر مبيت ومتفق عليه سلفاً بين عبيد الله بن زياد وعمر بن سعد وأضرابهم. وإما أن نقول: إنه كتب إليه بذلك في وقت متأخر. وإما أن نقول: إنه من عمر بن سعد نفسه الذي كان يعتبر هو قائد الجيش الأعلى المعادي للحسين عليه السلام. فعله زيادة بالنكاية أولاً، وزيادة في القرب من أعداء الله، عبيد الله بن زياد ويزيد. ولم يوفقه الله سبحانه إلى ذلك وسلَّط عليه من يقتله على فراشه.

(١) فقد بعث ابن زياد إلى ابن سعد كتاباً وكان من جملة ما جاء فيه: فإن نزل الحسين وأصحابه على حكمي واستسلموا فابعث بهم إليَّ سلماً، وإن أبوا فارجف عليهم حتى تقتلهم وتمثل بهم فإنهم لذلك مستحقون، فإن قتل الحسين فأوطئ الخيل صدره وظهره. روضة الواعظين ص١٨٣، الإرشاد ج٢ ص٨٨، مناقب آل أبي طالب ج٣ ص٢٤٧، البحار ج٤٤ ص٣٩٠.

تقديم النصيحة للحسين عليه السلام

توجد ظاهرة بالنسبة إلى المؤمنين الذين نصحوا الحسين عليه السلام بعدم التوجه إلى العراق. بل يمكن أن يقال أنها أكثر من ظاهرة. بما فيهم محمد بن الحنفية[١]، وعمر الأطرف ابن أمير المؤمنين عليه السلام[٢]، وأم سلمة[٣].

وهذا يواجه عدة إشكالات:

منها: إنه لا معنى من نصح الحسين عليه السلام وإعطائه الرأي، دون أن يسألهم ويطلب منهم المشورة. فإنه من الممكن أن يقال: ان كل وجيه وعظيم في المجتمع لا معنى لنصيحته ما لم يأذن هو أو يطلب المشورة، والحسين عليه السلام لم يأذن أو يطلب المشورة. فإنها سوء أدب من ناحية، وحمل له على الغفلة وعدم التأمل في الأمور من ناحية ثانية.

في حين أنه من الواضح أنه أرشدهم وأعلمهم وأبعدهم نظراً. فما قيمة الصغير تجاه الكبير، والسفيه تجاه الرشيد؟ ولعل من نتائج ذلك عدم أخذ الحسين عليه السلام برأي الناصحين على الإطلاق، لأن المصلحة التي يعلمها مما لا يمكن التنازل عنها لأحد.

---

(١) نصحه بعدم الخروج إلى العراق كما في مناقب آل أبي طالب ج٣ ص٢٤٠، تأريخ الطبري ج٤ ص٢٥٣.

(٢) نصحه بالبيعة ليزيد شفقة منه على أخيه كما في اللهوف لابن طاووس ص١٩.

(٣) نصحته بعدم الخروج إلى العراق أيضاً كما في البحار ج٤٤ ص٣٣١، ينابيع المودة ج٣ ص٦٠.

ومنها: إن جملة من هؤلاء الناصحين يعلمون بحصول الشهادة في قضاء الله وقدره، وقد رووا أو سمعوا عن رسول الله صلى الله عليه وآله ذلك. فكيف يتصور إمكان الحيلولة دون حدوث ما قضى الله وقدَّره في علمه الأزلي الثابت؟ إن هذا مما لا يمكن.

وجواب ذلك على أكثر من مستوى:

الأول: إن الباعث لهم على النصيحة إنما هو الشفقة عليه والحب له من ناحية، وتصور المجتمع خالياً منه وما يحتمل أن تحصل من مفاسد ومظالم من ناحية أخرى.

الثاني: إنهم لا يريدون الحيلولة دون قضاء الله وقدره، فإننا الآن بعد حصول الحادثة نعلم أنها كانت مقضية لا بد منها في علم الله تعالى. وأما قبلها فلم يكن هذا واضحاً. كل ما في الأمر أنها كانت مسموعات عن رسول الله صلى الله عليه وآله وأمير المؤمنين عليه السلام وهم صادقون في طبيعة الحال. إلا أن أمثال هذه الأخبار قد يدخل فيها البداء. فإذا كتب الله النجاة للحسين عليه السلام فقد حصل البداء ولا محذور من ذلك. وبذلك نعلم أن الحادثة لم تكن في قضاء الله المحتوم. بل كانت في لوح المحو والإثبات الذي يمكن أن يطرأ عليه التغير والتبدل و البداء.

فقبل وقوع الحادثة لم يكونوا يعلمون أنها من القضاء المحتوم، ولعلها من لوح المحو والإثبات، فتحملهم الشفقة عليه على أن يبادروا للنصح على أمل ورجاء المطلوبية أن يكون في الإمكان رفع اليد عنها وحصول البداء فيها. وهذا موقف مشروع في نفسه، جزاهم الله خيراً.

الثالث: إن الشيعة عموماً لم يكونوا يحملون الفكرة التي نحملها الآن عن

الأئمة المعصومين عليهم السلام وأن الواحد منهم مفترض الطاعة ومعصوم عن الخطأ والنسيان. بل مجرد كونه مشار إليه من قبل رسول الله صلى الله عليه وآله وممدوحاً من قبله، وهو ابن رسول الله صلى الله عليه وآله وابن بنته ونحو ذلك. وهذا عليه دلائل كثيرة من الروايات. ومعه يكون موضع النصيحة في نظرهم موجوداً.

الرابع: إن الحسين وإن كان زعيماً وعظيماً في أسرته ومواليه إلا أنه لم يكن يرتب هذا الأثر على نفسه. بل كان متواضعاً كجده رسول الله صلى الله عليه وآله، يخاطب الصغير والكبير، ويقضي حاجة القريب والبعيد، ولا يحتشمه أحد. ولم يعاتب على فعل، ويتحمل كثيراً من أمثال هذه الكلمات بسعة صدر وصبر عظيمين إلى حد أصبح لا يحتشمه الآخرون، وخاصةً وأنهم يحسبون أنهم مقربون عنده ومن أقاربه أو يحسبون أنهم مشاهير في المجتمع مثله كأعدائه الذين نصحوه.

ومن المؤسف أن نرى كثيراً من الحوزة ليسوا على هذا المستوى، لأنهم لا يسيرون على سيرة علي بن أبي طالب عليه السلام. فأي منا يجلس جلسة العبد ويأكل أكل العبد، ويأكل مع العبيد، ويجلس على التراب ويخصف نعله بيده؟ فهل نريد من الحسين عليه السلام أن يكون مثلنا؟

إنما يسير الحسين عليه السلام بسيرة جده وأبيه، وهي التواضع. فإنه لا يقول: أنا . . أنا. وإن كان هو . . هو. ولكنه لا يرتب على ذلك أثراً. لأنه ترابي[1] ومتواضع، وممثل لسيرة أبيه وأمه وجده. فكانت أمه تخرج ومقنعتها مخاطة باثنتي عشر خوصة من خوص النخيل، فهل أن أبسط النساء تعمل الآن هكذا.

بحيث تقول الرواية إنها تمنت على أبيها رسول الله صلى الله عليه وآله خاتماً من ذهب (وإن كنا نجلها عن ذلك). فقال صلي، فستجدينه تحت مصلاك. فوجدته

(١) نسبة إلى أبي تراب وهي من كنى أمير المؤمنين عليه السلام وهي رمز للتواضع.

ولبسته. فرأت في اليوم الثاني في المنام أنها داخلة إلى الجنة وأنها تتجول فيها. فرأت قصراً عظيماً ولطيفاً. فسألت الملائكة: قصر من هذا؟ فقالوا لها: إنه قصر فاطمة بنت محمد. فتجولت فيه فرأت رجلاً لكرسي تنقصها قطعة ذهب صغيرة. فقالت: لماذا هذه النقص؟ فقالوا لها: لقد استدعت به إلى الدنيا.

فجلست منزعجة، وشكت حالها إلى أبيها صلى الله عليه وآله. فقال لها: صلي وضعيه تحت مصلاك فإنه يذهب ويرجع إلى الجنة[1].

فالحسين عليه السلام عندما يكون متواضعاً، يتجرأ الناس عليه، فينصحونه. وهو يستمع إلى كلام الصغير والكبير. فكانوا يناقشونه بما يريدون. ولكنه يفعل ما يريد وكان له أن لا يأخذ بكلامهم.

قالت أم سلمة: لا تُحزني بخروجك إلى العراق فإني سمعت جدك رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: **(يقتل ولدي الحسين عليه السلام بالعراق بأرض يقال لها كربلاء)**، وعندي تربتك في قارورة دفعها إلي النبي صلى الله عليه وآله[2].

وإلى هنا يكون حصول البداء محتملاً، ولكن لننظر في الجواب:

فقال الحسين عليه السلام: **(يا أماه وأنا أعلم أني مقتول مذبوح ظلماً وعدواناً، وقد شاء عز وجل أن يرى حرمي ورهطي مشردين، وأطفالي مذبوحين مأسورين مقيديين، وهم يستغيثون فلا يجدون ناصراً)**[3].

وهذا معناه أن القضاء الحتمي نافذ في ذلك قطعاً. ومع ذلك قالت أم

(١) أنظر نحوه في مناقب آل أبي طالب ج٢ ص١٩٠.

(٢) البحار ج٤٤ ص٣٣١.

(٣) المصدر السابق.

سلمة: واعجباه فإني تذهب وأنت مقتول؟[١]. وكان ينبغي لها أن تقول: واعجباه كيف لا تذهب؟ فإن ذهابك حتمي.

فقال عليه السلام: **(يا أماه إن لم اذهب اليوم ذهبت غداً، وإن لم أذهب في غد ذهبت بعد غد، وما من الموت والله بد. وإني لأعرف اليوم الذي أقتل فيه، والساعة التي أقتل فيها، والحفرة التي أدفن فيها كما أعرفك، وأنظر إليها كما أنظر إليك. وإن أحببتِ أُريكِ مضجعي ومكان أصحابي)**[٢].

فطلبت ذلك، فأراها تربة أصحابه (المستقبلية). ثم أعطاها من تلك التربة وأمرها أن تحتفظ بها في قارورة، فإذا رأتها تفور دماً تيقنت مقتله. وفي اليوم العاشر بعد الظهر نظرت إلى القارورتين فإذا هما يفوران دماً[٣].

أقول: لعل البعض يفهم من (أراها تربة أصحابه) أنه أراها تربة كربلاء في ذلك الحين، مع العلم أن المقصود من ذلك أنه أراها كربلاء بعد مقتلهم، أي أراها قبورهم. وكذلك فإن الرواية تقول: (تربة أصحابه) وليس تربته لأنها لا تطيق ذلك.

وقد كان السيد أبو جعفر (قدس سره) ملتفتاً إلى أن الحسين عليه السلام أجاب كل واحد من ناصحيه بما يناسب حاله وقناعاته، وهو أعلم بحال المخاطب له. فأم سلمة إعتذر إليها بوجود القضاء الحتمي، ومحمد بن الحنفية إعتذر له بأنه رأى جده رسول الله صلى الله عليه وآله في المنام فأمره بذلك، وأجاب عبد الله بن عمر قائلاً: **(أما تعلم أن بني إسرائيل كانوا يقتلون ما بين طلوع الفجر إلى طلوع**

---

(١) أنظر الهداية الكبرى للخصيبي ص٢٠٣، الثاقب في المناقب لابن حمزة الطوسي ص٣٣١.

(٢) البحار ج٤٤ ص٣٣١.

(٣) أنظر الهداية الكبرى ص٢٠٣، الثاقب في المناقب ص٣٣٢.

الشمس سبعين نبياً، ثم يبيعون ويشترون كأنهم لم يصنعوا شيئاً فلم يعجل الله عليهم بل أخذهم بعد ذلك أخذ عزيز مقتدر ذي انتقام)[١].

والذي أحسبه أن المحصل في كل الأجوبة واحد بالرغم من اختلافها بالدلالة المطابقية. وهو متكون من أمرين:

الأول: الإشارة إلى إن ذلك من القضاء المحتوم.

الثاني: إنه عازم على عدم البيعة و الخروج إلى العراق.

مضافاً إلى أننا ينبغي إن نلتفت إلى أن جلسة قد حصلت كل مرة مع واحد من هؤلاء، فهل من الممكن أنها اقتصرت على هذه الكلمات القليلة التي نقلها المؤرخون، أو أن الحديث فيها قد طال فعلاً؟ وماذا قال الحسين عليه السلام غير ذلك؟ الله العالم. إذن، فلا نستطيع أن نجزم بالفرق الجوهري بين أقواله.

هذا، وفي التأريخ وضوح بعذر محمد بن الحنفية عن الخروج معه. منها: قول الحسين عليه السلام له: **(وأما أنت يا أخي فلا عليك أن تقيم بالمدينة فتكون لي عيناً لا تخفي عني شيئاً من أمورهم)**[٢]. ولم ينقل التأريخ أنه فعل ذلك، ولعله لم يتمكن منه.

وكذلك وصيته إليه قبل خروجه من المدينة، فإنها واضحة بالدلالة الالتزامية على وجوب بقائه وليس جوازه فقط.

وعلى أي حال فما سمعته قبل عدة سنين من بعض الخطباء من أنه كان معذوراً لأنه كان قوي الساعدين فأصيب بالعين فضعفت ساعداه لا حاجة إليه، مضافاً إلى أنها رواية ضعيفة وبعيدة الصدق.

---

(١) مثير الأحزان لابن نما ص٢٩.

(٢) البحار ج٤٤ ص٣٢٩.

كتاب الحسين عليه السلام إلى البصرة

قال التأريخ: وفي مكة كتب الحسين عليه السلام نسخة واحدة إلى رؤساء الأخماس بالبصرة، وهو مالك بن مسمع البكري والأحنف بن قيس والمنذر إبن الجارود ومسعود بن عمر وقيس بن الهيثم وعمر بن عبيد، يدعوهم إلى نصرته وإمامته. وهي حركة معتد بها في مقام المعارضة وإثبات الوجود. إلا أنه لم يستجب أحد منهم إلا واحد، وهو يزيد بن مسعود حيث جمع الجيش وسار بهم فلم يدرك النصرة. فسُلِّم المنذر ابن الجارود العبدي رسول الحسين عليه السلام إلى إبن زياد فصلبه عشية الليلية التي خرج في صبيحتها إلى الكوفة. وأما الأحنف فإنه كتب إلى الحسين عليه السلام : أما بعد فأصبر إن وعد الله حق ولا يستخفنك الذين لا يوقنون(١).

وقد كتب يزيد بن مسعود جوابه إلى الحسين عليه السلام بالموافقة، فلما قرأ الحسين عليه السلام كتابه قال: مالك، آمنك الله من الخوف وأعزك وأرواك يوم العطش الأكبر. ولما تجهز بن مسعود إلى المسير، بلغه قتل الحسين عليه السلام فأشتد جزعه، وكان أسفه لفوات الأمنية من السعادة بالشهادة(٢).

---

(١) أنظر مثير الأحزان لابن نما ص١٧.

(٢) المصدر السابق.

مهمة مسلم بن عقيل عليه السلام

ثم أن الحسين عليه السلام كتب كتاب الجواب إلى أهل الكوفة، وتجدونه بالمصادر [١] وأعطاه إلى مسلم بن عقيل عليه السلام ليحمله إلى الكوفة، وأمره بتقوى الله وكتمان أمره واللطف. فإن رأى الناس مجتمعين له عجَّل له بذلك[٢].

فأقبل مسلم عليه السلام إلى المدينة فصلى في مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله وودَّع أهله وأستأجر دليلين من قيس، فأقبلا به، فضلاً الطريق وعطشوا فمات الدليلان من العطش. وقالا لمسلم: هذا الطريق إلى الماء[٣]. وفي مقتل المقرم أنه تركهما

---

(١) ونص الكتاب بحسب الروايات هو: (بسم الله الرحمن الرحيم من الحسين بن علي إلى الملإ من المؤمنين والمسلمين أما بعد: فان هانئاً وسعيداً قدما علي بكتبكم، وكانا آخر من قدم علي من رسلكم، وقد فهمت كل الذي اقتصصتم وذكرتم، ومقالة جلكم أنه ليس علينا إمام، فأقبل لعل الله أن يجمعنا بك على الحق والهدى. وأنا باعث إليكم أخي وابن عمي وثقتي من أهل بيتي مسلم ابن عقيل، فان كتب إلي بأنه قد اجتمع رأي ملإكم، وذوي الحجى والفضل منكم، على مثل ما قدمت به رسلكم وقرأت في كتبكم، فاني أقدم إليكم وشيكاً إن شاء الله. فلعمري ما الإمام إلا الحاكم بالكتاب القائم بالقسط، الدائن بدين الحق، الحابس نفسه على ذلك لله، والسلام). البحار ج٤٤ ص٣٣٤.

(٢) المصدر السابق.

(٣) المصدر السابق ص٣٣٥.

ومضى على الوصف ولم يسعه حملهما لأنهما على وشك الهلاك[١].

فكتب مسلم عليه السلام إلى الحسين عليه السلام، (وهذا ما حذفه المقرم): إني أقبلت إلى المدينة واستأجرت دليلين فضلا الطريق، وأشتد عليهما العطش فماتا. وأقبلنا إلى الماء فلم ننج إلا بحشاشة أنفسنا. وذلك الماء بمكان يدعى المضيق من بطن الخبيت. وقد تطيرت من وجهي هذا، فإن رأيت أعفيتني وبعثت غيري. فكتب إليه الحسين عليه السلام: **(أما بعد فقد خشيت أن لا يكون حملك على الكتاب إليّ إلا الجبن، فأمض لوجهك والسلام)**[٢].

فهنا إشكالان حول الدليلين الذين ماتا وتركهما مسلم بن عقيل عليه السلام، والرواية مجملة أنه تركهما قبل موتهما أم بعده. وعلى كلا التقديرين لا يكون هذا جائزاً. أما إذا كان قد تركهما في حياتهما فيجب عليه إنقاذهما من العطش والهلاك. وأما إذا كان قد تركهما بعد موتهما فيجب عليه تجهيزهما ودفنهما.

وجوابه: إن هذا سؤال من لا يعرف الحال في تلك الصحراء المترامية الأطراف، التي لا أول لها ولا آخر كما يقال. ولكلا الحالين جوابه:

أما إذا كان قد تركهما قبل موتهما، فله أكثر من جواب:

أولاً: ما ذكره المقرم حيث قال: وغاية ما وضح للدليلين العلائم المفضية إلى الطريق لا الطريق نفسه. ولم تكن المسافة بينهم وبين الماء معلومة، وليس لهما طاقة على الركوب بأنفسهما، ولا مردفين مع آخر. وبقاء مسلم بن عقيل عليه السلام معهما إلى منتهى الأمر يفضي إلى هلاكه ومن معه. فكان الواجب

(١) مقتل الحسين للمقرم ص١٤٦ ط بيروت.

(٢) أنظر البحار ج٤٤ ص٣٣٥.

الأهم التحفظ على النفوس المحترمة بالمسير لإدراك الماء، فلذلك تركهما في المكان[١].

ثانياً: عدم استطاعة جلب الماء إليهما لليقين أنهما لو رجع إليهما لوجدهما قد ماتا.

ثالثاً: إنهما رضيا بمغادرته، فقد سقط حقهما في ذلك وفدياه بأنفسهما. غير أن ما ذكره المقرم[٢] من وجود آخرين معه خلاف الظاهر، بل الظاهر أنه بقي وحده، وتوجه إلى الماء وحده.

وأما إذا تركهما بعد موتهما، فتغسيلهما وتكفينهما ودفنهما متعذر تماماً. ونقلهما إلى مكان آخر أشد تعذراً.

فإن قلت: يمكن أن ييممهما ويدفنهما.

قلنا: هذا يأخذ منه الجهد والوقت والعطش، وهو قد كان مشرفاً على الهلاك من الحر والعطش مثلهما، إلا أنه أقوى قليلاً فلم يكن من المعقول أن يمارس ذلك كله وهو مجهد جداً.

مضافاً إلى أن الدفن لأجل حجب ضرر الجسدين عن الناس، ومعلوم أن الجسدين في هذه الصحراء الواسعة لا ضرر فيه على أحد وسوف يسرع إليهما الجفاف تحت الشمس المحرقة أو تأكلهما الحيوانات. فلا يكون أحد متضرراً.

والسيد المقرم وإن لم ينقل التشاؤم من قبل مسلم بن عقيل عليه السلام كما نقله ابن الأثير، إلا أنه نقل شيئاً يدعمه، ويدل على إن لمسلم عليه السلام مثل هذا الفهم

(١) مقتل الحسين للمقرم ص١٤٦ ط بيروت.

(٢) المصدر السابق.

والإتجاه، يعني يتفاءل ويتشاءم من بعض الأشياء. وقد لا يكون هذا اختيارياً للفرد.

قال المقرم: ولما قرأ مسلم الكتاب سار من وقته، ومرَّ بماء لطي فنزل عليه ثم ارتحل. فإذا رجل يرمي ضبياً حين أشرف (ظهر) له فصرعه فتفاءل بقتل عدوه[1].

أقول: هذا من الصعب فهمه هكذا، وذلك لعدة أمور:

أولاً: إنه لم يكن يعلم أنه سيحصل بينه وبين عدوه قتال، وليس في الكتاب الذي يحمله إشارة إلى ذلك.

ثانياً: إن العكس هو الصحيح. فإن الغزال رمز للخير والعطاء، ويستفاد من لحمها وجلدها. إذن، فمن الراجح أن تكون رمزاً عنه هو. فيكون قتلها رمزاً عن مقتله لا عن مقتل عدوه وهذا بالنسبة إليه من التشاؤم لا من التفاؤل.

وعلى أي حال فمن يتفائل يمكن أن يتشائم فلا تكون تلك القصة بعيدة من هذه الناحية، وإن لم ينقلها المقرم، وبالتأكيد أنه رآها في المصادر ولم ينقلها حفاظاً على سمعة مسلم بن عقيل عليه السلام.

والجواب على ذلك من وجوه:

الأول: تكذيب هذه الحادثة والإستعفاء عن الذهاب نتيجة للتشاؤم. فإنه موجودة في مصادر العامة وغير موجود في المصادر الخاصة. فلعله من الدس الذي حصل ضد أهل البيت عليهم السلام وتابعيهم.

(١) المصدر السابق ص١٤٧.

ثانياً: إن النفس مركوز فيها من كلا الجانبين الهدى والضلال. فكما يوجد من أهل الضلال ما يكون من جانب الهدى فأيضاً قد يوجد من جانب أهل الهدى ما يكون إلى جانب الضلال. وهو ليس ضلالاً، وإنما هو من جنس حب الذات أو حب الدنيا وخوف الموت، وهو ارتكازي لدى الفرد. إلا أنه قد يكون مضاداً للهدف الحق كما في هذه الحالة. ومثلها قول مسلم بن عقيل عليه السلام في الكوفة حين قيل له: إن من يطلب ما تطلب لا يبكي إذا نزل به ما نزل بك. قال: ما على نفسي بكيت، وإن كنت لا أريد لها طرفة عين تلفاً، ولكن أبكي على أهلي المقبلين من بعدي[1]. مما يدل على أن هذا الحال كان يستيقظ في نفس مسلم بن عقيل عليه السلام بين الحين والحين.

الثالث: إن التشاؤم قد يحصل اليقين بالنتيجة وهماً أو حقيقة، ولم يكن مسلم بن عقيل عليه السلام متوهماً، لأن ما حصل بالنتيجة هو مقتله فعلاً.

ومعناه أنه من هذا التشاؤم حصل له اليقين من فشله دنيوياً، وعدم حصول الخير في وجهته تلك. الأمر الذي يؤدي إلى فشل مهمته التي أرسله الحسين عليه السلام لأجلها. وبالتالي سيعود الفشل إلى الحسين عليه السلام وإلى الدين في النتيجة. فيكون الأولى أن يبادر إلى الإستعفاء عن ذلك. ولا أقل من المبادرة إلى السؤال من الحسين عليه السلام عن الإستمرار في مهمته.

وأما قوله: (أعفيتني وبعثت غيري)، فالشيء الذي أفهمه أن التشاؤم يرتفع بالتبديل. أو قل أن التشاؤم إنما هو على خصوص مسلم عليه السلام، فإرسال غيره يرفع التشاؤم. فمن المنطق أن يرسل الحسين عليه السلام شخصاً يخلو من احتمال

(١) أنظر مقاتل الطالبيين ص٦٦، الإرشاد ج٢ ص٥٩، البحار ج٤٤ ص٣٥٣، تأريخ الطبري ج٤ ص٢٨٠.

الفشل الدنيوي، وهو خير للحسين عليه السلام وللدين أيضاً، لو أخذنا هذا التشاؤم بنظر الإعتبار. ولذا قال مسلم بن عقيل عليه السلام بلسان الناصح المؤدب: فإن رأيت أعفيتني وبعثت غيري.

ولم يكن لمسلم بن عقيل عليه السلام أن يسكت بعد أن حصل له الإطمئنان من الفشل الدنيوي.

فإن قلت: فإنه يعلم أن الحسين عليه السلام يعلم بذلك.

قلنا: أولاً: لا دليل على أنه يعلم به، لأن مستويات المعصومين لم تكن ظاهرة بين أجيال الشيعة إلى ذلك الحين.

ثانياً: إنه إن كان يعلم بذلك فهو يعلم أن ذلك العلم لا يستعمله في الظاهر، وإنما يتصرف بصفته جاهلاً به. فلا بد أن يجعله عالماً ظاهراً به.

وأما جواب الحسين عليه السلام فهو لم يقل له إنك جبان وإنما كلامك ذلك يمكن أن يحمل على الجبن، أو هو مظنة الجبن. أو قل: لو صدر من غيرك لكان محمولاً عليه. فلذا يقول: خشيت أن لا يكون حملك على ذلك.

وهذا له أمران:

الأول: الظن المستفاد من خشيت، بل هو لا يدل على الظن الفعلي بل الإقتضائي، وهو المظنة كما يعبرون.

الثاني: الإنحصار (**ما حملك إلا**) فلو لم يكن منحصراً لما كان عيباً. ولربما يكون هو الجانب الأدنى والأضعف في نفسه، ويكون الجانب الأهم من الإستعفاء هو مصلحة الدين، ولكن لابأس أن تقتضي مصلحة الدين نجاته من المصاعب أو من القتل. نعم، لو كان الجبن وحده حمله على ذلك لكان ضعفاً شديداً أو عيباً.

مضافاً إلى أن الحسين عليه السلام يعلم بجهة التشاؤم، وأنها قد تأتي بغير اختيار، ولم يكذبه في ذلك. ولكن كان العتب عليه هو أن المتوقع منه تحمل التبعات وإن حصل التشاؤم. وأما التوهم بأنها ستكون ضد الدين فهو ليس بصحيح، لأن الهدف الديني الحقيقي يتوقف على حصول مثل هذه الأمور لا على نفيها. نعم تأسيس الحكم الثابت ينافيه. ولم يكن الحسين عليه السلام مستهدفاً ذلك، ولم يكن مسلم بن عقيل عليه السلام يعلم بذلك.

وأريد هنا الإشارة إلى شيء، وهو أنني جعلت في حياتي فلسفة أطبقها. ومن جملة الأمور التي هي من فلسفتي: أن التشاؤم والتفاؤل لا مجال لهما في حياتي. ولكن قد حُمِّل عليَّ التشاؤم في يوم ما تحميلاً، فإنه قد يكون لا إختيارياً. وحينما لا يكون إختيارياً لا يكلف الإنسان بتركه.

فعندما تمرضت والدتي رحمها الله مرض الوفاة، وقد نقلناها إلى المستشفى، وكان والدي هو المرافق لها. وكنت أذهب إليهما بين الحين والآخر.

وفي مرة من المرات، حينما كنت أذهب إلى المستشفى صادفت سيارة محطمة في الطريق، فتشائمت من وجود هذه السيارة قهراً ومن دون إختيار، وأولت ذلك أن أمي ستتوفى. ولعله لم يمر على والدتي إلا ساعة وتوفيت، رحمها الله تعالى.

فإن التشاؤم قد يكون غير إختياري وقد يكون صادقاً في بعض الأحيان.

وأريد هنا أن أعقد مقارنة بين موقف مسلم بن عقيل عليه السلام وموقف نبي الله يونس عليه السلام. فكلاهما أرادا الإنسحاب عن ساحة المعركة وعوقب على انهزامه. ولكن موقف مسلم بن عقيل عليه السلام أفضل حالاً من موقف يونس عليه السلام.

فعند المقارنة نجد في موقف مسلم بن عقيل عليه السلام نقطة ضعف ونقطة قوة. أما نقطة الضعف: فإن يونس عليه السلام صبر حتى حصل له اليأس من هداية قومه. وقد حصل له اليأس بعد عدة سنين قضاها بينهم. وأما مسلم بن عقيل عليه السلام فقد أراد الإنسحاب والإستعفاء قبل أن يواجه قومه.

أما نقطة القوة في موقف مسلم بن عقيل عليه السلام، فإن عقوبة يونس عليه السلام كانت أن يبتلعه الحوت. ولكن مسلم بن عقيل عليه السلام لم تعجل له العقوبة. وكان حوته من بعد ذلك هو عبيد الله بن زياد. لأنه مسيطر دنيوياً كسيطرة الحوت.

ويونس عليه السلام إنما دخل في البلاء الدنيوي رغماً عليه. ولكن مسلم عليه السلام دخل بإختياره. فإنه أُمر بالدخول فدخل. كالرجل الذي قال له الامام الصادق عليه السلام: (**ألقي نفسك في التنور**) فأطاعه وجلس في التنور[1].

وهذا إنما يدل على علو مقام مسلم بن عقيل عليه السلام. وأنه مصداق الرواية التي تقول: (**علماء أمتي كأنبياء بني إسرائيل**)[2]. وفي رواية: (**أفضل من أنبياء بني إسرائيل**)[3]. لأن الإتجاه الإسلامي يجعل الإنسان في قالب جديد نفسياً وعقلياً وإجتماعياً وروحياً.

والشيء الذي لا ينبغي أن يفوتنا بهذا الصدد: أن الحسين عليه السلام لم يعلق على قضية التشاؤم. فإنه لم يؤيده ولم ينقده. فإنه لا توجد مصلحة في تأييده لكي لا تعتمد الناس عليه. ولا يمكن أن ينفيه، لأنه قد يصدق في بعض الأحيان. فكان من الأفضل أن يسكت عنه.

(١) أنظر المناقب ج٣ ص٣٦٣، البحار ج٤٧ ص١٢٣.

(٢) تحرير الأحكام للعلامة الحلي ج١ ص٣٨، شرح أصول الكافي ج١١ ص٣١، مستدرك الوسائل ج١٧ ص٣٢٠، أوائل المقالات للشيخ المفيد ص١٧٨.

(٣) أوائل المقالات ص١٧٨.

دخول مسلم بن عقيل عليه السلام في الكوفة

قال المؤرخون[١]: ولخمس خلون من شوال دخل الكوفة فنزل دار المختار ابن أبي عبيدة الثقفي، وكان شريفاً في قومه، كريماً، عالي الهمة، مقداماً، محارباً، قوي النفس، شديداً على أعداء أهل البيت عليهم السلام . له عقل وافر ورأي مصيب، خصوصاً بقواعد الحرب والغلبة على العدو. فإنه مارس التجارب فحنَّكته، ولبس الخطوب فهذَّبته. انقطع إلى آل الرسول الأقدس، فاستفاد منهم أدباً جماً وأخلاقاً فاضلة، وناصح لهم في السر والعلانية.

قالوا[٢]: ولما بلغ مسلم بن عقيل عليه السلام خطبة بن زياد ووعيده وظهر له حال الناس، خاف أن يؤخذ غيلة، فخرج من دار المختار بعد العتمة إلى دار هاني بن عروة المذحجي، وكان شديد التشيع، ومن أشراف الكوفة وقراءها، وشيخ مراد وزعيمها، يركب في أربعة آلاف دارع وثمانية آلاف راجل، فإذا تلاها أحلافها من كندة ركب في ثلاثين ألفاً.

وكان من خواص أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام ، حضر حروبه الثلاثة، أدرك النبي صلى الله عليه وآله ، وتشرف بصحبته. وكان له يوم قتله بضع وتسعون سنة.

---

(١) أنظر روضة الواعظين ص١٧٣، الإرشاد ج٢ ص٤١، البحار ج٤٤ ص٣٣٥. واللفظ المذكور في المتن في أغلب هذه النصوص التأريخية هو للمقرم في مقتله.

(٢) راجع الإرشاد ج٢ ص٤٥، البحار ج٤٤ ص٣٤١.

وليس عشوائياً أن يختار مسلم أمثال هؤلاء لأنهم الأخلص والأقوى والأشهر، والإستناد إليهم قوة في وقت الحاجة، كما أن استنادهم إليه قوة له، لا أقل إثباتاً، أي أمام المجتمع والناس.

مضافاً إلى جهة أخرى، وهي أن كل هذه الأمور تحتاج إلى تمويل لا يقوم بها مضيف فقير وإن كان مؤمناً. وواضح أن مسلم بن عقيل عليه السلام لم يحمل معه من الحجاز لا زاداً ولا راحلة ولا مال، وإنما وصل في غاية الصعوبة إلى العراق. فيحتاج إلى من يموله في مهمته وحركته. فكان له المختار وهاني وغيرهما خير عون في ذلك.

هذا ومسلم بن عقيل عليه السلام لم يكن رأى الكوفة قبل ذلك. ولكنه حين دخلها لأول مرة لم يكن يتلدد في شوارعها كما تلدد فيها بعد أن تركه الناس. وإنما الذي حصل أنه كان يعرف سماعاً عن أناس معينين بما فيهم المختار الثقفي، فهو يسأل عن داره ويقصده، وهذا يكفي.

ونلاحظ أن الحسين عليه السلام ترك الإشارة له إلى ذلك، وأنه ينزل في أي بيت، وذلك لعدة مبررات يمكن أن تكون مجتمعة:

أولاً: الإعتماد على خبرة مسلم الشخصية وهي كافية جداً في ذلك.

ثانياً: إنه يتعمد أن لا يذكر أسم شخص معين لكي لا تكون هناك نتائج محمودة أو غير محمودة بالنسبة إليه.

فمثلاً حين دخل النبي صلى الله عليه وآله المدينة لأول مرة لم يذكر اسم أحد، وإنما حين دعي إلى البيوت ذكر أن ناقته مأمورة، فبركت إلى جنب بيت أبي أيوب الأنصاري، والذي كان فقيراً لا يطيق شيئاً من المسؤوليات. فقد كان إخفاء إسمه متعمداً كما أن اختياره فقيراً متعمداً لإظهار المعجزة في تيسير الأمور.

فتقول الرواية بما مضمونه: إن النبيصلى الله عليه وآله قال آتني بفخذ شاة ورغيف خبز. وبذلك أكل الناس كلهم ولربما لعدة أيام[١].

فلو صرَّح النبيصلى الله عليه وآله بأنه سوف ينزل عند فلان لكان ذلك خلاف المصلحة، فلعل الآخرين يعتبون، فبدلاً من المفاسد حصلت مصالح كثيرة.

وأما في الكوفة فاختياره غنياً وقوياً متعمد أيضاً. وفي كلا الحالين فدرجة من الإخلاص متعمدة ومخطط لها أيضاً، لوضوح أنه لو نزل عند شخص غير مخلص لما استطاع التحرك على ما يرام. سواء قصدنا بذلك النبيصلى الله عليه وآله أو مسلم بن عقيلعليه السلام.

ثالثاً: إن المضنون أنهما -أعني الحسينعليه السلام و مسلمعليه السلام - إتفقا على العنوان الذي يسير فيه في الكوفة ويقصده، أعني دار المختار الثقفي. إلا أن أحداً منهما لم يصرح بشيء حفظاً للمصلحة العامة.

قالوا[٢]: ووافت الشيعة مسلماً في دار المختار بالترحيب، وأظهروا له من الطاعة والإنقياد ما زاد في سروره وابتهاجه. فعندما قرأ عليهم كتاب الحسينعليه السلام، قام عابس بن شبيب الشاكري (وهو ممن قتل مع الحسينعليه السلام في الطف) وقال: إنني لا أخبرك عن الناس ولا أعلم ما في نفوسهم ولا أغرك بهم، والله إني أحدثك عما أنا موطن عليه نفسي. والله لأجيبنكم إذا دعوتم، ولأقاتلن معكم عدوكم، ولأضربن بسيفي دونكم حتى ألقى الله، ولا أريد بذلك إلا ما عند الله. وقال حبيب بن مظاهر (وهو ممن قتل في الطف أيضاً): قد قضيت ما في نفسك بواجز من قولك، وأنا والله الذي لا إله الا هو على

(١) أنظر مناقب آل أبي طالب ج١ ص١١٤، البحار ج١٨ ص٢٠.

(٢) راجع الإرشاد ج٢ ص٤١، البحار ج٤٤ ص٣٣٥.

مثل ما أنت عليه. وقال سعيد بن عبد الله الحنفي مثل قولهما.

وأقبلت الشيعة يبايعونه حتى أحصى ديوانه ثمانية عشر ألفاً. وقيل بلغ خمسة وعشرين ألفاً. وفي حديث الشعبي بلغ من بايعه أربعون ألفاً. فكتب مسلم بن عقيل عليه السلام مع عابس بن شبيب الشاكري يخبره باجتماع أهل الكوفة على طاعته وانتظارهم لقدومه. وفيه يقول: الرائد لا يكذب أهله، وقد بايعني من أهل الكوفة ثمانية عشر ألفاً، فعجِّل الإقبال حين يأتيك كتابي.

وكان ذلك قبل مقتل مسلم بن عقيل عليه السلام بسبع وعشرين ليلة، وانضم إليه كتاب أهل الكوفة وفيه: عجِّل القدوم يا بن رسول الله فإن لك في الكوفة مائة ألف سيف فلا تتأخر.

البيعة

وهنا فكرة البيعة وهي مسح اليد باليد، وهي طريقة ظاهرية تدعم الجهة الباطنية للإيمان. وكان العربي إذا أعطى عهداً وفى. حتى أنهم قالوا للزهراء عليها السلام لو كنا نعلم ما تقولين ما بايعنا، ولكننا بايعنا ولا نستطيع أن نتراجع. فهو يعطي الوفاء بأي بيعة يكون قد أعطاها بإختياره. وقد أخذها الإسلام ومشى عليها النبي صلى الله عليه وآله في بيعة الرضوان أو بيعة الشجرة. وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾(١) وقال تعالى: ﴿لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾(٢).

وواضح من الآية أن يد رسول الله صلى الله عليه وآله تكون هي العليا ويد الآخر هي السفلى، كما أن يد رسول الله صلى الله عليه وآله تكون ثابتة ويد الآخر تكون متحركة، إلا أن جهة الحركة تختلف. والظاهر أنها ينبغي أن تكون باتجاه جسم الولي وليس بالإتجاه المضاد كما تدل عليه الرواية لبيعة الرضا عليه السلام في زمن المأمون(٣).

---

(١) الفتح ١٠.

(٢) الفتح ١٨.

(٣) فقد ورد في الرواية: وخرج الفضل بن سهل فأعلم الناس برأي المأمون في علي بن موسى، وأنه قد ولاه عهده وسماه الرضا، وأمرهم بلبس الخضرة والعود لبيعته في الخميس الآخر، على أن يأخذوا رزق سنة. فلما كان ذلك اليوم ركب الناس على طبقاتهم من القواد والحجاب والقضاة =

وليست البيعة على شكل المصافحة على أي حال.

وهي بالرغم من أهميتها الإجتماعية ونص القرآن عليها وفعل المعصومين لها، بما فيهم النبي صلى الله عليه وآله وأمير المؤمنين عليه السلام بعد الخليفة الثالث والإمام الحسن عليه السلام بعد أبيه ومسلم بن عقيل عليه السلام والإمام الرضا عليه السلام وما ورد عن المهدي عليه السلام، إلا أن الفقه والفقهاء لم يعتنوا بها كثيراً، وإنما بقيت لمجرد الإعلام.

وذلك لعدة نقاط منها: إن بين البيعة الظاهرية والبيعة الباطنية وهو الإعتقاد بالولاء عموماً من وجه. فقد يجتمعان كما في حبيب بن مظاهر الأسدي و عابس بن شبيب المالكي. كذلك قد يفترقان، فيأتي المنافق فيبايع، فهل تقبل بيعته ثبوتاً؟ وأما إثباتاً فتكون مجرد تغرير وخدعة قد يترتب عليها نتائج غير محمودة.

ومن ناحية أخرى: إنه يمكن الإكتفاء بالبيعة الباطنية وهو الإخلاص والولاء، وهي العمدة. فمثلاً إذا كان شخص بعيداً آلاف الأميال فهل يكلف أن يأتي إلى الإمام فيبايعه، أو النساء مثلاً وهكذا. وماذا يقول أبناء العامة في ذلك؟ جزماً لا يجب! وإنما سيصبح صاحبهم أياً كان خليفة لمجرد أنه بايعه جماعة قد يكونون مئة أو ألفاً. فيكون حجة وولياً على عدة ملايين لم تبايعه

= وغيرهم في الخضرة، وجلس المأمون ووضع للرضا وسادتين عظيمتين حتى لحق بمجلسه وفرشه، وأجلس الرضا عليه السلام عليهما في الخضرة وعليه عمامة وسيف، ثم أمر ابنه العباس بن المأمون يبايع له أول الناس. فرفع الرضا عليه السلام يده فتلقى بها وجه نفسه وببطنها وجوههم، فقال له المأمون: ابسط يدك للبيعة، فقال الرضا عليه السلام: (إن رسول الله صلى الله عليه وآله، هكذا كان يبايع) فبايعه الناس ويده فوق أيديهم، ووضعت البدر وقامت الخطباء والشعراء فجعلوا يذكرون فضل الرضا عليه السلام، وما كان من المأمون في أمره. الإرشاد ج٢ ص٢٦١، وانظر البحار ج٤٩ ص١٤٦، ومناقب آل أبي طالب ج٣ ص٤٧٣.

ولم تعرفه.

وعلى أي حال، فالبيعة وإن اختصت الآن بمسلك أبناء العامة فإنهم أكثر إعتقاداً بها منا. إلا أنها عندنا ممكنة وملزمة لصاحبها. نعم، عدمها لا يدل على عدم الولاء. كما أن وجودها لا يدل على الولاء. ولنا في وجودها أسوة حسنة برسول الله صلى الله عليه وآله والمعصومين عليهم السلام فليس لنا أن ننكرها أصلاً. وإن كان الصحيح هو النص، رغماً على الناس ويفرض عليهم سواء بايعوه أم لا.

وهو على أي حال مسلك إعلامي جيد جداً من الناحية الإجتماعية والدينية. وقد سار عليها مسلم بن عقيل عليه السلام بالرغم من أننا نلاحظ أنه ليس في كتاب الحسين عليه السلام ذلك. وبالرغم من أن المبايعة له، فإنه من الواضح أنها ليست له، وإنما ينظرونه ممثلاً للحسين عليه السلام فهي مبايعة للحسين عليه السلام عن طريقه. وأي منهما كان فهو المطلوب.

ثم إن في هذه الكتب الإشارة إلى استعجال حضور الحسين عليه السلام إلى الكوفة. وهي ضرورة واقعية أدركوها لأنهم يتحسبون بالظن ما حصل مستقبلاً من استفحال أمر الظالمين. ولو كان الحسين عليه السلام قد دخل الكوفة في ذلك الحين لتم الأمر ولتغير تأريخ الإسلام إلى العصر الحاضر. ولكن ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة.

والذي يظهر أن كل من بايع يسجل اسمه ويذهب. حتى أحصى ديوانه ثمانية عشر ألف رجل(١).

إلا أن الذي يبدو بوضوح أن هؤلاء يفكرون بتفكير، والحسين عليه السلام يفكر

---

(١) روضة الواعظين ص١٧٣، الإرشاد ج٢ ص٤١.

بتفكير آخر. فهؤلاء يفكرون تفكيراً اجتماعياً والحسين عليه السلام يفكر بالشهادة. وما كان أسهل عليه أن يركب الفرس وحده، أو في نفر قليل ويصل إلى الكوفة بيومين أو ثلاث، ويدخلها قبل عبيد الله بن زياد. إلا أنه أثقل رحله بالنساء والأطفال والرجال بعنوان أنه يأخذ جيشاً كبيراً من المدينة إلى الكوفة. فثقلت حركته ولم يستطع الوصول إلا بعد فوات الأوان. لأن الجيش مهما كان فإنه يحتاج إلى طعام وشراب ومنام وغير ذلك كثير. والمفروض أن كل هذه الأمور لا تكون إلا بالمعجزة.

وهو لم يبطئ بالذهاب عبثاً. إلا أنه رأى أن نفعه ونفع الآخرين بشهادته أعظم من حكمه. وبيدنا أمران، أحدهما: محسوس وهو النفع الذي حصل بشهادته في الدنيا والآخرة. والآخر محتمل كأطروحة: وهو أن الحكم الذي كان من الممكن أن يكون، ليس في وقته ولا الناس مستحقون له ولا يتحملونه ولا يقومون بمسؤوليته. ومن أوضح نتائجه أنه من الممكن أن ينقلب ويزول ويأخذه الظالمون من أيديهم.

في حين أن المفروض بالحكم الحق إذا حصل أن لا يزول إلى يوم القيامة، بحيث يكون هو الوارث للأرض ومن عليها. ومن هنا ورد: (ودولتنا في آخر الدهر تظهر)[1]. لأن الله سبحانه يوفر لها علل البقاء والإستمرار، وتكون قد أخذت موقعها الحقيقي من الكون في حدود الحكمة الإلهية. أما التعجيل قبل ذلك فليس بمستحسن بالتأكيد.

مضافاً إلى إمكان القول بأن البلاء الدنيوي يقل في ذلك الحين، أو يكون

---

(١) روي هذا البيت عن الإمام الصادق عليه السلام وهو قوله: (لكل أناس دولة يرقبونها ودولتنا في آخر الدهر تظهر) أمالي الشيخ الصدوق ص٥٧٨، روضة الواعظين ص٢١٢، البحار ج٥١ ص١٤٣.

من نوع آخر حين يكون البشر محتاجين إلى هذا النوع من البلايا التي نراها في عصورنا الحاضرة. وهو الموجب لكمالهم: (**ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة**). فإذا تسبب الحسين عليه السلام أو غير الحسين عليه السلام إلى تغيير ذلك فقد تسبب إلى تغيير ما في الحكمة الإلهية من نفع البشر، وبالتالي فقد أضر بالبشر، وحاشاه.

وكذلك إذا تصورنا أن هذه البلايا تكون إعداداً لظهور المهدي عليه السلام المخطط في قضاء الله وقدره، ووجود المؤمنين العاملين للمهدي عليه السلام، فإذا تغير ذلك كان على خلاف مصلحة الظهور.

وعلى أي حال فأي أطروحة ممكنة تكون مسقطة للإستدلال على خطأ الحسين عليه السلام حينما تباطأ عن الذهاب إلى الكوفة.

وكذلك، كما برهنا في الأضواء[1] على أنه لم يرجع حين وصل إليه خبر مقتل مسلم بن عقيل عليه السلام وذلك قبل أن يجعجع به الحر الرياحي بعدة أيام.

(١) الأضواء ص٧٦ ط بيروت.

شكل البيعة

نستطيع أن نفهم من القرآن الكريم، ومن الرواية في أخذ البيعة للإمام الرضا عليه السلام التي سنذكرها بعد قليل إن شاء الله، أن الامام المبايَع ينصب يده، فيأتي الناس واحداً واحداً يمسحون أيديهم بيده. إذن، فالمبايعة ليست على طريقة المصافحة الحديثة.

وقد يتصور البعض أن المبايعة أن ينصب المبايَع يده بحيث يجعل باطن كفه إلى الأعلى وهم يمسحون على يده. ولكن هذا غير صحيح، بدليل الآية الكريمة: ﴿يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْۚ﴾. فإن الماسح سوف تكون يده أعلى من يد رسول الله صلى الله عليه وآله، في حين أن الآية تقول: ﴿يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْۚ﴾ أي يد رسول الله فوق أيديهم.

وأما الرواية التي وردت في بيعة الناس للإمام الرضا عليه السلام فتقول: إنه جلس الإمام الرضا عليه السلام وأقبل الناس يبايعون. وقد نصب الإمام يده فجعل ظاهرها إلى الاعلى وباطنها إلى الاسفل. فأخذ الناس يمسحون باطن أيديهم بباطن يده ابتداءاً من جهة الزند إلى أطراف الأصابع. إلا أن واحداً من الناس مسح بالعكس أي ابتداءاً من أطراف الأصابع إلى الزند. فالتفت الرضا عليه السلام إلى المأمون وقال: هذه هي البيعة الصحيحة، فكل أولئك مخطئون. فصاح

المأمون ارجعوا وبايعوا الرضا مرة أخرى. فاقبلوا كلهم وبايعوا بالعكس[(١)].

وحسب فهمي إن الحركة إذا كانت من الزند إلى أطراف الأصابع فكأنما يبتعد المبايع عن الإمام، وحينما تكون بالعكس فكأنه يعطي الإشارة إلى الإقتراب من الإمام.

والرواية تعتبر المصدر الوحيد لشكل البيعة بعد ضمها إلى الآية الكريمة.

إن قلت: كيف تكون يد الله تعالى عبارة عن يد رسول الله صلى الله عليه وآله مضافاً إلى أننا يمكن أن نفهم من الآية: (قوة الله فوق قواهم، وهو قادر ومسيطر عليهم).

جوابه: إنه في الإمكان أن يكون المراد لله سبحانه وتعالى عدة معاني في الآية الكريمة ولا تنحصر في معنى واحد.

ويمكن أن تكون هناك عدة وجوه غير ما ذكر لحمل الآية على أن المراد يد رسول الله صلى الله عليه وآله:

الوجه الأول: إن الرسالة التي يتحملها رسول الله صلى الله عليه وآله نحو من العلاقة بالله

---

(١) روي أن المأمون لما أراد أن يأخذ البيعة لنفسه بإمرة المؤمنين ولأبي الحسن علي بن موسى الرضا عليه السلام بولاية العهد ولفضل بن سهل بالوزارة أمر بثلاثة كراسي فنصبت لهم فلما قعدوا عليها أذن للناس فدخلوا يبايعون فكانوا يصفقون بايمانهم على ايمان الثلاثة من أعلى الإبهام إلى الخنصر ويخرجون حتى بايع في آخر الناس فتى من الأنصار فصفق بيمينه من أعلى الخنصر إلى أعلى الإبهام فتبسم أبو الحسن الرضا عليه السلام ثم قال: كل من بايعنا بايع بفسخ البيعة غير هذا الفتى فإنه بايعنا بعقدها. فقال المأمون: وما فسخ البيعة من عقدها؟ قال أبو الحسن عليه السلام: عقد البيعة هو من أعلى الخنصر إلى أعلى الإبهام وفسخها من أعلى الإبهام إلى أعلى الخنصر. قال: فماج الناس في ذلك وأمر المأمون بإعادة الناس إلى البيعة على ما وصفه أبو الحسن عليه السلام. وقال الناس: كيف يستحق الإمامة من لا يعرف عقد البيعة؟ إن من علم لأولى بها ممن لا يعلم. قال: فحمله ذلك على ما فعله من سمه. عيون أخبار الرضا للشيخ الصدوق ج١ ص٢٦٥.

سبحانه وتعالى، مضافاً إلى استحالة أن تكون يد الله فوق أيديهم، فليس له يد جارحة ولا يصدق عليها الفوقية من الناحية المادية. وكذلك الإتصال المادي بين الله وبين عالم الممكنات لا يصدق. وكذلك هم من الناحية العرفية لم يبايعوا الله وإنما بايعوا رسول الله ﷺ. إذن، فقرينة المجاز موجودة.

الوجه الثاني: ما يسمى في علم الأصول بالتنزيل، فنقول هنا بتنزيل يد رسول الله ﷺ منزلة يد الله، وليس المقصود أن له يداً جارحة، وإنما هو بهذا المعنى الروحي الذي لا نفهمه.

الوجه الثالث: إننا نفهم من يد الله سبحانه القوى الكونية الفاعلة، فكل فاعل مؤثر إنما يؤثر بمشيئة الله وبإرادة الله إما تشريعاً كالهداية الإسلامية، أو تكويناً. فكل القوى الفاعلة هي أيدي لله سبحانه وتعالى، ومن جملة أيدي الله بهذا المعنى هو رسول الله، فهو يد الله، لأنه قوة فاعلة في الكون تكويناً وتشريعاً.

وحينما تكون يد رسول الله ﷺ جزءاً منه، فكأنما هي رسول الله ﷺ، ورسول الله ﷺ يد الله بهذا المعنى. إذن، فيد الله فوق أيديهم.

الوجه الرابع: وهو معنى باطني، فقد لوحظت يد رسول الله ﷺ فانية في الله سبحانه وتعالى. وإذا لوحظت فانية في الله سبحانه فهي في عالم الفناء وفي طول لحاظ الفناء، تصبح يد الله سبحانه وتعالى وليست يد رسول الله ﷺ. فهي في الدنيا يد رسول الله ﷺ ولكنها في عالم الفناء هي يد الله جل جلاله.

اختيار يزيد لعبيد الله بن زياد

قال المؤرخون: فساء هذا جماعة ممن لهم هوى في بني أمية منهم: عمر بن سعد بن أبي وقاص وعبد الله بن مسلم بن ربيعة الحضرمي وعمارة بن عقبة بن أبي معيط، فكتبوا إلى يزيد يخبرونه بقدوم مسلم بن عقيل عليه السلام وإقبال أهل الكوفة عليه، وأن النعمان بن بشير لا طاقة له على المقاومة(١).

أقول: وكان هذا الكتاب سرياً لم يعلم به جماعة مسلم بن عقيل ولا مسلم نفسه، والوقت عندهم متوفر لأنه ليس المفروض انفضاض الجمع في أيام أو شهر.

قالوا: فلما وصل الكتاب إلى يزيد أرسل إلى سرجون(٢) مولاه يستشيره، وكان كاتبه وأنيسه. فقال له سرجون: فعليك بعبيد الله بن زياد. قال: إنه لا خير عنده. فقال سرجون: لو كان معاوية حياً وأشار عليك به أكنت توليه؟ فقال: نعم. فقال: هذا عهد معاوية إليك بخاتمه، ولم يمنعني أن أعلمك به

(١) أنظر روضة الواعظين ص١٧٣، الإرشاد ج٢ ص٤٢، البحار ج٤٤ ص٣٣٦.

(٢) ورد في تأريخ مدينة دمشق لابن عساكر ج ٢ ص ١٦١: (سرجون بن منصور الرومي كاتب معاوية وابنه يزيد بن معاوية وعبد الملك بن مروان ذكره أبو الحسين الرازي في تسمية كتاب أمراء دمشق وذكر أنه كان نصرانياً فأسلم). فهو قد كان مسيحياً ولكنه لم يثبت إسلامه، وكان هؤلاء يستعملون هذا النحو من الأشخاص لخدمتهم ولتمشية مصالحهم.

إلا علمي ببغضك له[١].

أقول: إذا كان العهد هو أن يوليه الكوفة: فهذا يحتاج إلى علم الغيب، وهم ليس عندهم علم الغيب. وإن كان في توليته البصرة فيزيد يعلمه. فلربما

-كأطروحة - إن معاوية كان يرجح أن يكون لعبيد الله بن زياد العراقين: البصرة والكوفة، فكتب بذلك كتاباً لعله ينفذ - إحتمالاً - في المستقبل. أو

-على أطروحة أخرى - أن يكون سرجون كاذباً، وإنما يريد أن يخدع يزيد لأجل تنفيذ أغراضه التي يدركها إجمالاً، بما فيها ما حصل في واقعة الطف. فكان سرجون الذي هو مسيحي وليس مسلماً مسؤول عنها.

قالوا: فأنفذه إليه وعزل النعمان بن بشير. وكتب إليه: أما بعد، فإن الممدوح مسبوب يوماً، وإن المسبوب يوماً ممدوح. وقد سمى بك إلى غاية أنت فيها كما قال الأول:

رفعت وجاوزت السحاب وفوقه   فمالك إلا مرقب الشمس مقعداً

وأمره بالإستعجال على الشخوص إلى الكوفة ليطلب ابن عقيل فيوثقه أو يقتله أو ينفيه[٢]. وفي بعض الروايات: إني ضممت لك العراقين. يعني ولاية الكوفة على ولاية البصرة[٣].

وهنا نرى أن الخلافة الظالمة كانت تعتمد على بعض اليهود أو النصارى. وليس في التأريخ أنهم دخلوا الإسلام، بل كانوا يعتمدون عليهم حال كونهم

(١) أنظر روضة الواعظين ص١٧٣، الإرشاد ج٢ ص٤٢، البحار ج٤٤ ص٣٣٦.

(٢) روضة الواعظين ص١٧٤، الإرشاد ج٢ ص٤٣، البحار ج٤٤ ص٣٣٧.

(٣) أنظر نحوه في اللهوف لابن طاووس ص١٥٣، المناقب ج٣ ص٢٤٢.

يهوداً أو نصارى، وهم يعلمون أنهم يريدون السوء بالإسلام. بل كانت الخلافة عميلة إلى ملك الدولة البيزنطية بمقدار فهم الدول يومئذ.

ومن الطريف أن أمثال هؤلاء كانوا يعملون عند هذه النماذج وينصرونهم وينصحونهم. وكانوا ضد الشيعة وضد ولاية أمير المؤمنين عليه السلام منذ ذلك الحين وإلى هذا الحين وفي كل حين، بصفتهم أعدى الأعداء لهم ولمخدوميهم. من حيث أنهم لا يتفقون معهم في دين ولا دنيا. في حين أن تلك النماذج تتفق معهم في الدنيا وإن لم تتفق معهم في الدين. وهم يعلمون أن هؤلاء قد أسقطوا الدين وأخذوا بالدنيا. والنصارى واليهود أيضاً قد أسقطوا الدين وأخذوا بالدنيا.

فهل نحن نعرف العلاقة بين ما يسمى بالدولة الإسلامية وبين الدولة البيزنطية. فإنه لا يرى منها في التأريخ إلا قليل. وتحتاج المسألة إلى تدقيق وإلى جمع القرائن على ذلك وهي موجودة على أي حال.

فإن بعض الدول الآن توصف بأنها عميلة للإستعمار. ولكن الدول الآن أعقد وأكثر مالاً وأكثر أجهزة وأكثر جيشاً وسلاحاً وأسهل اتصالاً. فالعمالة تكون محرجة وشديدة الحرج. ولكنها في السابق ليست كذلك. فإن الناس كانوا أنصاف جهلة بما فيهم شعب الدولة البيزنطية نفسها. فالعمالة آنذاك كانت أسهل حصولاً وأسهل إخفاءاً.

والعمالة بهذا المعنى كانت موجودة في المجتمع الإسلامي. وكانت هناك أيادٍ عاملة في المجتمع تدافع عن الدولة الأجنبية، ويأخذونهم بنظر الإعتبار. فهم رسلهم ونواظرهم، ونحو ذلك من الأمور.

وليس تقرب هؤلاء، أي (سرجون) وأمثاله، لأجل المصلحة الشخصية،

وإنما لأجل المصلحة العامة بنظرهم، أي خدمة الدولة الظالمة التي ينتمي إليها.

إذن، يمكن أن نقول بصراحة: إن من قتل الحسين عليه السلام إنما هو الدولة البيزنطية، وكذلك يمكن أن يقال: إن من قتل باقي الأئمة عليهم السلام إنما هي الدولة البيزنطية، على أيدي عملائها من ملوك بني أمية وبني العباس. ولا يستبعد أن ينسب مقتل أمير المؤمنين عليه السلام إليهم. بل لا يستبعد أن ينسب مقتل النبي صلى الله عليه وآله إليهم.

فهم يريدون بوسيلة وبأخرى الإطاحة بالشيعة وبقادتهم، لأنهم لا يتفقون معهم بدين ولا في دنيا.

فإن التركيز كان ولا يزال على الموالين لأمير المؤمنين عليه السلام. فالحسين عليه السلام إنما قتل لأنه من الموالين. وكذلك سائر الأئمة عليهم السلام إنما قتلوا لأنهم زعماء الموالين.

فإنهم يعلمون أن الإخلاص في قلوب الشيعة أكثر من الإخلاص عند غيرهم. وأن همة الشيعة أكثر من همة غيرهم. وأن أهداف الشيعة مختلفة عن أهداف غيرهم. فإنهم يخافون منها، ويحاولون السيطرة عليها. «وللبيت رب يحميه» على أي حال.

ويوجد هناك مبرر آخر للسيطرة على الشيعة وهو أنهم يضرونهم في الدنيا وفي دولهم الرئيسية، مع احتمال توسع أمرهم. ويضرونهم في الدين أو يحاولون جادين إخراج النصارى واليهود عن دينهم وإدخالهم في الإسلام. مع شيء آخر، وهو أنهم يضرونهم بالهدف. واليهود والنصارى لهم هدف ديني وهو في ذهن اليهود أوضح، ومن هنا قد نجد أنهم أشد عملاً له من النصارى.

والتوراة ناطقة بذلك. وهي مفسرة بسيطرة أهل الحق. إلا أنهم يطمعون بها، وهم يعلمون أننا أيضاً نطمع بها. كما يعلمون أن الحق معنا. فهم يريدون أن يدفعوا إرادة الله في مستقبلنا، وهو مستحيل.

والدولة البيزنطية حسب معهودي مؤسسة قبل ميلاد المسيح ولكنها دخلت في المسيحية بعد المسيح بحوالي ثلاثمائة سنة أي قبل الإسلام بحوالي ثلاثمائة سنة. فكانت في عصر صدر الإسلام موجودة وفي عصر الأمويين والعباسيين إلى عصر الحروب الصليبية. بل لعلها كانت مستمرة إلى زمان محمد الفاتح الذي سقطت القسطنطينية على يده.

وهي في حينها أقوى دول العالم، وكان الخلفاء يخافون منها ويمتثلون لأوامرها. وكان هناك قيصر روسيا لا أحد يشعر بأهميته، لأنه أقل حركة وأضعف أمراً. ونلاحظ أن الجيوش الأموية والعباسية كانت تحارب الدولة البيزنطية في مستعمراتها وليس في داخل بلادها، كلبنان وقبرص وشمال أفريقيا. ولم يصدف ولا مرة واحدة أن حاولوا الدخول إلى اليونان أو إيطاليا أو رومانيا عن طريق البحر الأبيض المتوسط.

يبقى موردان للنقض:

أحدهما: دول أوربا الشرقية التي كانت ساقطة بيد المسلمين إلى عهد متأخر حين سقطت بيد الإفرنج في الحرب العالمية الأولى وتخلت عنها الخلافة العثمانية. فقد يقال: إنها أخذت من الدولة البيزنطية وهي مناطق رئيسية.

قلنا: كلا، لأمرين:

١- إنها كانت مستعمرة وليست رئيسية، وليس للدولة جيوش كافية فيها.

٢- إنها إنما أخذت من قيصر روسيا لا من قيصر روما. يندرج في ذلك ما كان في غرب موسكو مثل يوغسلافيا وجكسلوفاكيا، وجنوبها كأذربيجان وداغستان وغيرها.

الثاني: دخول الأندلس.

وجوابه من عدة وجوه:

١- إنه لم يؤخذ من الدولة البيزنطية لأن حكمها لم يكن واصلاً إلى هناك.

٢- لو سلمناه فإنه أمر خاص بالقائد الذاهب إلى هناك.

٣- إنهم كانوا يتوقعون نتائج طيبة جداً كما حصل فعلاً.

ثم أن الفتح الإسلامي كان في أكثر العصور المتأخرة تجارة محضة. فيقول: ذهب فلان فخرب وقتل وغنم ورجع. ثم يأخذ الأموال التي جلبها، ويترك الشعب الذي ضربه في مجاعة وعوز، بدون أن يفكر بأن يحكم فيه بالعدل والإسلام. وهذا هو الديدن مئات السنين، وهو دليل واضح على طلب الدنيا وعدم الإخلاص في العمل.

حول كتاب يزيد لابن زياد

وقوله: ليطلب ابن عقيل ويقتله أو ينفيه، يعني ما يرى عبيد الله من المصلحة. فقد أهدر دمه إلا أنه لم يعين قتله. فيكون تعيين قتله من عنديات ابن زياد. والسبب الرئيسي لذلك هو صمود مسلم بن عقيل عليه السلام. فلو كان قد تنازل لبقي حياً ذليلاً، ولكنه مات عزيزاً. ومن ذلك قوله: السلام على من اتبع الهدى. فقال له الحرسي: ويحك سلم على الأمير. قال: ما هو لي بأمير. قال له عبيد الله: سلمت أم لم تسلم فإنك مقتول[١]. لأنه رأى في تلك اللحظة ومن لحن كلامه صلابته بالحق وعدم استعداده للتنازل.

وحسب فهمي فإن فكرته هو أنه يجب أن يسير في الطريق الذي سار به إلى نهايته، ولا يجب عليه التقية التي يدفع بها الموت عن نفسه. أو قل: لا يجب عليه أن يتحمل الذلة التي يدفع بها الموت عن نفسه.

وذلك لأكثر من مصلحة:

أولاً: المصلحة العامة للدين وللحسين عليه السلام إذ يقال: إن رسول الحسين عليه السلام قد خانه أو أنه كان ضعيفاً قد تأخذه في الله لومة لائم. فلماذا أرسله الحسين عليه السلام وهو يعرفه على هذه الصفة؟ ولكنه لم يكن كذلك.

(١) البحار ج٤٤ ص٣٥٧، اللهوف لابن طاووس ص٣٥.

ثانياً: مصلحته الخاصة بالشهادة ونيل المقامات العليا.

وبذلك ينتفي في نظره حكم التقية لوجود الجهة الأهم أكيداً. وبذلك نستطيع أن نقارن بين حالة استعفائه السابقة وحالة صموده اللاحقة. فإن حالة استعفائه السابقة - لو صحت - لم يكن فيها خطر على المصلحة العامة، لأنه لم يكن قد واجه المجتمع ولا أعداء الله سبحانه. أما حينما يكون هناك خطر على المجتمع وعلى الدين فلا بد من الصمود.

قالوا: فتعجل ابن زياد المسير إلى الكوفة مع مسلم بن عمرو الباهلي والمنذر بن الجارود وشريك الحارثي وعبد الله بن الحارث بن نوفل في خمسمائة رجل انتخبهم من أهل البصرة[١].

وهذا يدل على أن البصرة شاركت في قتل مسلم وقتل الحسين عليه السلام وليس الكوفة فقط. وقد شاركت قبل ذلك في قتال علي عليه السلام يوم الجمل. ومن الصحيح أن الجيش المعادي كانوا كلهم عراقيين، إلا القواد فإنهم حجازيون. وأما من بني أمية فلم يكن أحد على الإطلاق. نعم، إنما كان هو أمر من بني أمية. أو ما حدث خارجاً من التخويف والترغيب ونحو ذلك.

قالوا: فجد في السير وكان لا يلوي على أحد يسقط من أصحابه، حتى أن شريك ابن الأعور سقط في أثناء الطريق وسقط عبد الله بن الحارث رجاء أن يتأخر ابن زياد من أجلهم، فلم يلتفت ابن زياد إليهم مخافة أن يسبقه الحسين عليه السلام إلى الكوفة.

ولما ورد إلى القادسية سقط مولاه مهران. فقال له ابن زياد: إن أمسكت

---

(١) راجع روضة الواعظين ص١٧٤، الإرشاد ج٢ ص٤٣.

على هذا الحال فننظر القصر فلك مائة ألف. قال: والله لا أستطيع. فتركه عبيد الله. ولبس ثياب يمانية وعمامة سوداء وانحدر وحده[١]. فكأنه ترك رجاله خارج الكوفة، وهذا من الغريب، إذ لعله يواجه السلاح فيكون مضطراً إلى المقابلة. فكان من الضروري أن يدخل مع أصحابه. إلا إنه إكتفى بالتنكر، فإن فيه سلامته. ومن المعلوم أنه ليس أحد من أهل الكوفة سيعرفه وخاصة في زيه التنكري.

وأما دخوله مع رجاله فسيعرف البعض من أهل الكوفة بعض رجاله حتماً. فلا يكون ذلك في مصلحته وهو لا زال في أول الطريق.

وهو لا يريد أن يواجه أهل الكوفة بالقتل مباشرةً لأنه سيكون فيه الطرف الأضعف فيفشل. وإنما لا بد من السيطرة على الوضع بالغيلة والمكر والتخويف ونحو ذلك مما صنع.

(١) أنظر تأريخ الطبري ج٤ ص٢٦٧، إعلام الورى للطبرسي ص٤٣٧.

دخول ابن زياد الكوفة

قالوا: وانحدر وحده. وكلما مرَّ بالمحارس ظنوا أنه الحسين عليه السلام فقالوا: مرحباً يا ابن رسول الله وهو ساكت فدخل الكوفة مما يلي النجف[١].

أقول: توجد هنا عدة أسئلة.

السؤال الأول: إنه لماذا دخل وحده، ألا يمكن أن يدخل معه جماعة؟

جوابه: حسب فهمي أنه لا يريد أن يُعرف حتى لا تكون هناك مضاعفات في أول طريقه. فلذا اتخذ خطوتين:

الأولى: إنه تنكر من ناحية الزي حتى لا يعرف.

الثانية: ترك أصحابه خارج المدينة فلعلهم يُعرفون من بعض الكوفيين فيعلمون أنه ابن زياد.

السؤال الثاني: ما هي المحارس؟

جوابه: المحارس هي محال الحراسة، والظاهر أن مسلم ابن عقيل عليه السلام وأصحابه قد أكثروا من نقاط الحراسة بحيث يمر الداخل إلى المدينة بعدة نقاط.

---

(١) تأريخ الطبري ج٤ ص٢٦٨، مثير الأحزان ص١٩.

السؤال الثالث: هل كان سبب سكوته هو أنه لا يريد أن يسمعهم صوته لكي لا يعرفونه؟

جوابه: حسب فهمي أنه كان ساكتاً احتقاراً لهم، لأن الحسين عليه السلام لم يكن في ذلك الحين معروفاً بزيه ولا بوجهه ولا بصوته، لأنه قد فارقهم قبل خمسة عشر سنة.

قالوا: واستقبله الناس بهتاف واحد مرحباً يا ابن رسول الله. فساءه هذا الحال. وانتهى إلى (قصر الإمارة) فلم يفتح النعمان باب القصر، وأشرف عليه من أعلى القصر يقول: ما أنا بمؤد إليك أمانتي يا ابن رسول الله. فقال له ابن زياد: افتح فقد طال ليلك. فسمعها رجل وعرَّفه للناس أنه ابن زياد ورب الكعبة. فتفرقوا إلى منازلهم.

وعند الصباح جمع ابن زياد الناس في الجامع الأعظم وخطبهم وحذَّرهم ومنَّاهم العطية، فقال: أيما عريف وجد عنده أحد من بغية أمير المؤمنين ولم يرفعه إلينا صلب على باب داره[١].

أقول: ويقصد بأمير المؤمنين يزيد بن معاوية، ويقصد ببغية أمير المؤمنين مسلم بن عقيل عليه السلام، ولكنه لم يذكر اسمه ليكون التهديد عاماً. ومن الناحية العملية فإنه لا يقصد بغية أميره حقيقة وإنما بغيته هو. وإنما ينتسب إلى ذاك بإعتباره قد ولاَّه على البلد. فيكون التهديد عاماً. وماذا يملك ملوك الدنيا إلا التطميع والتخويف، وإلا فإنهم لا يملكون القلوب حقيقة، ولكن يجب أن لا تأخذ الإنسان في الله لومة لائم. وإلا كان مظنة الإنحراف والفساد من أي شيء، وخاصة في مثل الضغط الذي أوجده ملك عبيد الله بن زياد.

---

(١) أنظر تأريخ الطبري ج٤ ص٢٦٨، البحار ج٤٤ ص٣٤١، الإرشاد ج٢ ص٤٥.

ولم يكن في الكوفة إلا نفر قليل جداً ممن لا تأخذه في الله لومة لائم. وإنما اتبعوا مسلم عليه السلام في ظرف السلامة والحرية، وأما مع الضغط فمن الصعب البقاء على البيعة. فلو كان نقض البيعة عيباً عند العرب فهم الآن مستعدون أن يبيعوا هذا الشرف بأرخص الأثمان لكي يحافظوا على حياتهم.

قالوا: ولما وضح الأمر لأبن زياد أن مسلماً مختبئ في دار هاني بن عروة دعى أسماء بن خارجه ومحمد بن الأشعث وعمر بن الحجاج وسألهم عن إنقطاع هاني. قالوا الشكوى تمنعه[١].

أقول: يدل على أن هاني يلازم الذهاب ربما إسبوعياً إلى ابن زياد. ولا أعتقد أن لذلك خصوصية به وإنما بصفته أميراً على الكوفة وهو أحد كبرائها. ويريد حفظ مصالحه ومصالح عشيرته اقتصادياً واجتماعياً. فكان يزور بإستمرار من يكون والياً على الكوفة سواء هو النعمان بن بشير أو كان عبيد الله أو غيرهما لأنه مضطر أن يجامل الدولة حفاظاً على دنياه.

إلا أن المسألة الآن إختلفت كثيراً وأصبح فيها هدف ديني جليل، وأصبح عبيد الله بن زياد عدو هذا الهدف، فيجب تركه مهما كانت النتائج. وذلك حينما انتقل مسلم إليه. فهل كان هاني يذهب إلى دار عبيد الله ابن زياد حال كون مسلم في دار المختار؟ كلا، لأن عبيد الله لم يكن أميراً على الكوفة يومئذ.

ونحن نستطيع أن نتصور المدة، فإن مسلم عليه السلام انتقل إلى دار هاني بعد ورود ابن زياد بأيام. فإذا كان هانئ قد قطع الذهاب إلى قصر الإمارة عند ورود مسلم ابن عقيل عليه السلام، إذن فهو لم يذهب إلا مرة واحدة أو لم يذهب إطلاقاً.

---

(١) راجع الإرشاد ج٢ ص٤٧.

وجواب ذلك من وجوه:

١- أن نكذب الرواية بسبع وعشرين يوماً، ونقول أن المسألة طالت عدة أشهر بحيث كانت له فرصة الزيارات. ولكن حتى لو قلنا إن هذه المدة مبالغ فيها فإننا غاية ما نستطيع أن نفرض ضعف هذه المدة، وهي أيضاً غير كافية لإعتياد ذهاب هانئ إلى ابن زياد.

٢- أن نقول بتكذيب هذه الرواية (انقطاعه عنا)، وأنه إنما قتله بحيلة أخرى.

٣- أن نعتبر الإنقطاع اعتبارياً أو اقتضائياً، يعني حيث من عادته الذهاب إلى الأمراء.

٤- إن شريك الأعور كان صديقاً لعبيد الله ابن زياد، وعرف الأخير أنه نازل في بيت هانئ، وسمعنا عنه أنه سقط لكي يتخلف عبيد الله ابن زياد وسمعنا عنه أنه هو الذي حاول قتل عبيد الله ابن زياد غيلة. وقد كان مخلصاً في تشيعه.

إلا أن هذا الوجه لا يتم، لأنه ينبغي أن يدعو شريك الأعور وليس هانئ، ولا أقل أن يدعوهما معاً.

قال المقرم[1] عن تأريخ الطبري: ولبث شريك بعد ذلك ثلاثة أيام ومات، وصلى عليه ابن زياد ودفنه بالثوية، ولما وضح لإبن زياد أن شريكاً كان يحرض على قتله، قال: والله لا أصلي على جنازة عراقي أبداً، ولولا أن قبر زياد فيهم لنبشت شريكاً.

---

(١) مقتل الحسين للمقرم ص١٥٣ ط بيروت.

٥- إنها مجرد حيلة لاستدعائه، فإنه كلام فارغ يراد به الإعداد للشر لا أكثر ولا أقل. لأنه لم يكن هانئ قد ذهب لكي ينقطع. ولا أقل أنه لم يكن قد عوده الذهاب الكثير لكي يعتب عليه بالإنقطاع.

٦- إن ذلك باعتبار أننا نفهم من الإنقطاع الإتصال السابق، فإذا لم نفهم ذلك انسد السؤال، وبقي الفهم على الإنقطاع الأزلي.

٧- إن زياد ابن أبيه كان والياً على الكوفة حوالي ثلاث سنوات من سنة تسعة وأربعين إلى ثلاثة وخمسين، فمن المحتمل أن ابنه عبيد الله كان معه وكان متصلاً بوجهاء الكوفة بما فيهم هانئ نفسه. وهذا يفسر معرفته بطرق الكوفة.

ويقول ابن الأثير: إنه خطب (زياد) فحصبوه، ومات في الكوفة سنة ٥٣[١]. وذهب عبيد الله إلى معاوية فارسله والياً على خراسان[٢]. وهذا يفسر أنه لماذا وعد عمر ابن سعد ملك الري، لأنه مطلع عليه، وله فيه معرفة ومعارف.

قالوا: فلم يقتنع ابن زياد بعد أن أخبرته العيون بجلوسه على باب داره كل عشية[٣].

أقول: وهي عادة موجودة عند كثير من الطبقات في كثير من المدن. ويستقبلون بعض أصدقائهم في الشارع، باعتبار أن داخل البيت لا يساعده على ذلك. فبالتأكيد إن هانياً ومسلماً كانوا يستقبلون الناس في الفسحة التي أمام دار

---

(١) الكامل ج٣ ص٣٤١.

(٢) المصدر السابق ص٣٤٥.

(٣) أنظر نحوه في الإرشاد ج٢ ص٤٧.

هاني. فإنه بالتأكيد لا يجلس وحده وإنما مع مسلم وآخرين.

وأصلاً أن عبارة (يجلس) يعني يجلس لإستقبال الناس، ولا يراد بها الجلوس كيف كان. نعم لو لم يكن للفرد أصدقاء أو ضيوف جلس وحده، ولم يكن هاني كذلك بصفته شيخ مراد ومضيف مسلم ابن عقيل. فلا ينبغي أن نأخذ الأمر بسذاجة كما يأخذه المتشرعة.

وذكروا عن الإمام الحسن عليه السلام انه إذا جلس على باب داره أو في الطريق وقف كل المارة ولم يمشوا إجلالاً له(١).

(١) روى محمد بن إسحاق في كتابه قال: ما بلغ أحد من الشرف بعد رسول الله ما بلغ الحسن كان يبسط له على باب داره فإذا خرج وجلس انقطع الطريق، فما مرَّ أحد من خلق الله إجلالا له، فإذا علم قام ودخل بيته فمر الناس، ولقد رأيته في طريق مكة ماشياً فما من خلق الله أحد رآه إلا نزل ومشى، حتى رأيت سعد بن أبي وقاص يمشي. مناقب آل أبي طالب ج٣ ص١٧٤، البحار ج٤٣ ص٣٣٨، إعلام الورى للطبرسي ج١ ص٤١٢.

إعتقال هاني عليه السلام

قالوا: فركب هؤلاء الجماعة إليه، وسألوه المسير إلى السلطان فإن الجفاء لا يحتمله وألحّوا عليه[١].

وهم لا يعلمون بل لا يظنون بظن معتد به النتيجة التي حصلت فوراً، وهي أنه سجنه فوراً ولم يعد إلى داره، وأنه قتل على أثر ذلك. كما أن هانياً نفسه لم يكن يظن ذلك، وكان له ثقة في عشيرته. فإنه إذا صاح (وامذحجاه) ذهبت له الآلاف وأنقذته في أي موقف كان.

وإذا كان هناك شيء ينبغي أن يفكر به إبن زياد من الشر، فليس في الزيارة الأولى وليس غيلة. كما أن هذه الزيارة للمجاملة وستقلل غضب الدولة وابن زياد عليه، وستفتح غض النظر وحرية التصرف لديه. ومن ثم سيكون هذا في مصلحته ومصلحة مسلم بن عقيل أيضاً. ومن ثم في مصلحة الدين والمذهب. إلا أن إبن زياد كان أذكى من ذلك، وقد غدر به من أول مرة.

قالوا[٢]: فركب بغلته، ولما طلع عليه قال إبن زياد: أتتك بحائن رجلاه[٣]. و(حائن) يعني من حان حينه وقرب موته وهو دال على عزمه على

---

(١) أنظر الإرشاد ج٢ ص٤٧.

(٢) المصدر السابق.

(٣) مثل يقال لمن حانت منيته وذهب برجليه إلى محل حمامه.

قتله. والتفت إلى شريح القاضي وهو منصوب من قبل الدولة للقضاء في الكوفة وقال:

أريد حبائه[١] ويريد قتلي   عذيرك من خليلك من مراد

وهو البيت الذي تمثل به أمير المؤمنين عليه السلام تجاه ابن ملجم. وكلاهما من مراد، فوقع في محله. والبيت ينسب لعمرو بن معد يكرب قاله في ابن أخته[٢]. ولا نعلم صلته بقبيلة مراد. الا أن نحمل (مراد) هنا على المعنى اللغوي. أو هو من مراد على اي حال.

وأمير المؤمنين عليه السلام كان صادقاً حينما قال ذلك، فقد كان يعتني بابن ملجم بصفته أحد أصحابه كما كان حاله قبل ذلك. إلا أن عبيد الله كان كاذباً في ذلك، فلم يكن قد أظهر الخير لهاني ولا طرفة عين. فقوله: (أريد حبائه) غلط أكيداً. وهو كاذب وإنما هي مجرد دعوى ولقلقة باللسان.

قالوا [٣]: ثم التفت إلى هاني وقال: أتيت بابن عقيل إلى دارك وجمعت

---

(١) والحباء: ما يحبو به الرجل صاحبه ويكرمه به. والحباء: العطاء. لسان العرب ج ١٤ ص ١٦٢. إلا أن ابن الأثير ذكرها بقوله: (أريد حياته).

(٢) وهو بيت من قصيدة لعمر بن معد كرب حسب ما وردت نسبتها إليه من قبل ابن الأثير في أسد الغابة ج ٤ ص ١٣٤ ويقول فيها:

أعاذل عدتي بدني ورمحي   وكل مقلص سلس القياد
أعاذل إنما أفنى شبابي   إجابتي الصريح إلى المنادي
مع الأبطال حتى سل جسمي   وأقرع عاتقي حمل النجاد
ويبقى بعد حلم القوم حلمي   ويفنى قبل زاد القوم زادي
تمنى أن يلاقيني قبيس   وددت وأينما مني ودادي
فمن ذا عاذري من ذي سفاه   يرود بنفسه شر المراد
أريد حياته ويريد قتلي   عذيرك من خليلك من مراد

(٣) أنظر الإرشاد ج٢ ص٤٨، البداية والنهاية ج٨ ص١٦٦.

له السلاح، فأنكر عليه هاني. وإذ كثر الجدال دعى ابن زياد معقلاً. ففهم هاني أن الخبر قد أتاه من جهته. فقال لابن زياد: إن لأبيك عندي بلاء حسناً وأنا أحب مكافئته. فهل لك في خير، تمضي أنت وأهل بيتك إلى الشام سالمين بأموالكم، فإنه جاء من هو أحق بالأمر منك ومن صاحبك.

فقال ابن زياد: والله لا تفارقني حتى تأتيني به. قال: والله لو كان تحت قدمي ما رفعتها عنه. فأغلظ له ابن زياد وهدده بالقتل. فقال له هاني: إذن، تكثر البارقة حولك (يعني لمعان السيوف) وهو يظن أن مراداً تمنعه. فأخذ ابن زياد بظفيرته وقنَّع وجهه بالسيف حتى كسر أنفه ونثر لحم خديه وجبينه على لحيته، وحبسه عنده.

فإن قلت: إن قوله: (والله لو كان تحت قدمي ما رفعتها عنه) عبارة عن احتقار فلماذا قالها هاني؟

قلنا: جوابه من عدة وجوه:

أولاً: إنها قد تكون نقلاً بالمعنى والتغيير من الرواة.

ثانياً: إنها لغة عامة تقال على كل أحد وقد تستعمل للإحتقار، كقول معاوية عن العهود التي بينه وبين الإمام الحسن عليه السلام (وها هي تحت قدمي). ولكن الإحتقار يعرف من السياق.

ثالثاً: إن لو إمتناعية. فلم يقل إذا كان تحت قدمي لا أرفعها، وإنما قال (لو). وهذا يمكن استغلاله للجواب. فيكون المعنى أنه لن يكون تحت قدمي، أو ممتنع أن يكون تحت قدمي لأن شأنه أعلى وأرقى.

رابعاً: إن تحت القدم يعتبر أقوى مناطق الفرد لثقل جسمه عليه. وهو

عبارة عن حمايته الكاملة.

خامساً: إن تحت القدم -بعكس السابق- يعتبر أسهل الأمور تسليماً، وذلك بخطوة واحدة عنه وهي سهلة. فهو بالرغم من أن التخلي سهل جداً إلا أنه لا يسلمه له.

قالوا: وبلغ عمر ابن الحجاج أن هانياً قُتل وكانت أخته روعة (وفي رواية رويحة) تحت هاني يعني زوجته، وهي أم يحيى ابن هاني. فأقبل في جمع من مذحج وأحاط بالقصر.

فلما علم به ابن زياد أمر شريح القاضي أن يدخل على هاني ويعلمهم بحياته. قال شريح: لما رآني هاني صاح بصوت رفيع: يا للمسلمين إن دخل عليَّ عشرة أنقذوني. فلو لم يكن معي حميد ابن أبي بكر الأحمري وهو شرطي، لأبلغت أصحابه بمقالته. ولكن قلت: إنه حي. فحمد الله عمرو بن الحجاج وانصرف القوم[1].

---

(١) الإرشاد ج٢ ص٥٠.

هاني بن عروة في نظر بن الأثير

يفهم بوضوح من الكامل لإبن الأثير أنه جعل هانياً رجل دنيا وأنه إنما قتل في سبيل تقاليده الإجتماعية والعشائرية. فلا يكون شهيداً، وإنما الشهيد هو الذي قتل لكي تكون كلمة لا إله إلا الله هي العليا.

قال في الكامل[1]: فدخل القوم على ابن زياد وهانئ معهم، فلما رآه ابن زياد قال لشريح القاضي: أتتك بحائن رجلاه. فلما دنا منه قال عبيد الله:

أريد حياته ويريد قتلي عذيرك من خليلك من مراد

وكان ابن زياد مكرماً له، فقال هاني: وما ذاك؟ فقال: يا هاني ماهذه الأمور التي تربص في دارك لأمير المؤمنين والمسلمين؟ جئت بمسلم وأدخلته دارك وجمعت له السلاح والرجال وظننت أن ذلك يخفى عليَّ؟ فقال: ما فعلته. فقال: بلى. وطال بينهما النزاع. فدعى ابن زياد مولاه ذاك العين. فجاء حتى وقف بين يديه. فقال: أتعرف ذلك؟ قال: نعم، وعلم هاني عند ذلك أنه كان عيناً عليهم. فسقط في يده ساعة، ثم راجعته نفسه. قال: إسمع مني وصدقني، فوالله لا أكذبك. والله ما دعوته ولا علمت بشيء من أمره حتى رأيته جالساً على بابي يسألني النزول عليه، فأستحييت من رده، ولزمني من ذلك

---

(١) ج٣ ص٣٩١.

ذمام. فأدخلته داري وضيفته، وقد كان من أمره الذي بلغك. فإن شئت أعطيتك الآن موثقاً تطمئن به ورهينة تكون في يدك حتى أنطلق وأخرجه من داري وأعود اليك.

قال: لا والله لا تفارقني أبداً حتى تأتيني به. قال: لا آتيك بضيفي تقتله أبداً.

فلما كثر الكلام قام مسلم بن عمرو الباهلي وليس في الكوفة شامي ولا بصري غيره. فقال: خلني وإياه حتى أكلمه لما رأى من لجاجه. وأخذ هانياً وخلا ناحية من ابن زياد بحيث يراهما. فقال له: ياهاني أنشدك الله أن لا تقتل نفسك وتدخل البلاء على قومك. إن هذا الرجل ابن عم القوم، وليسوا بقاتليه ولا بضائريه، فادفعه إليه فليس عليك بذلك مخزاة ولا منقصة، إنما تدفعه إلى السلطان. قال: بلى إن عليَّ بذلك خزياً وعاراً. لا أدفع ضيفي وأنا صحيح، شديد الساعد، كثير الأعوان. والله لو كنت واحداً ليس لي ناصر لم أدفعه حتى أموت دونه. فسمع ابن زياد بذلك فقال: أدنوه مني. فأدنوه منه، فقال: والله لتأتيني به أو لأضربن عنقك. قال: إذن، والله تكثر البارقة حول دارك، وهو يرى أن عشيرته سوف تمنعه. فقال: أبالبارقة تخوفني.

وقيل إن هانياً لما رأى ذلك الرجل الذي كان عيناً لعبيد الله علم أنه أخبره الخبر، فقال: أيها الأمير، قد كان الذي بلغك، ولم أضيع يدك عندي، وأنت آمن وأهلك فسر حيث شئت. فأطرق عبيد الله عند ذلك ومهران قائم على رأسه وفي يده معكزة. فقال: وا ذلاه هذا الحائك يؤمنك في سلطانك. فقال: خذه.

وأخذ مهران ظفيرتي هاني، وأخذ عبيد الله القضيب ولم يزل يضرب أنفه وجبينه وخده حتى كسر أنفه، فسيل الدماء على ثيابه ونثر لحم خديه وجبينه

على لحيته حتى كسر القضيب.

فضرب هاني يده إلى قائم سيف شرطي وجذبه فمنع منه. فقال له عبيد الله: أحروري، أحللت بنفسك وحللت لنا قتلك. ثم أمر به وألقي في بيت وأغلق عليه. فقام إليه أسماء ابن خارجة وقال: أرسله يا غادر، أمرتنا أن نجيئك بالرجل فلما أتيناك به هشمت وجهه وسيلت دمائه وزعمت أنك تقتله. فأمر به عبيد الله فلُهز وتُعتع ثم تُرك، فجلس. فأما ابن الأشعث فقال: رضينا بما رأى الأمير لنا كان أو علينا.

فإذا كان الأمر كما يقال هنا، إذن فلا نستطيع أن نقول: هو شهيد. فإنه قتل في سبيل صيانة قانونه العشائري.

وجواب ذلك من عدة وجوه:

الوجه الأول: أن نطعن في سند هذه الروايات، فإن هذا الكلام لا وجود له في المصادر الشيعية والإمامية والموالية، وإنما هو موجود فقط في المصادر العامة. فهم متعمدون هذا المعنى، لأنهم يريدون بوضوح فضح الشخصيات الإمامية والمجاهدة والضاربة بالسيف بين يدي المعصومين عليهم السلام، وأصحاب المعصومين عليهم السلام. فإما أن نطعن بابن الأثير نفسه، وإما أن نطعن بالرواة السابقين عليه. وعلى كل تقدير فالمسألة ساقطة.

فإن قلت: إذا كان ابن الأثير على هذا المستوى فلماذا لم يغض من شأن مسلم بن عقيل عليه السلام، مع العلم أن من كان اتجاهه هكذا فلا بد أن يغض من شأن كلا الشخصين.

قلنا: إنه فعل ذلك أحياناً إلا أنه لم يستطع، لوضوح شأن مسلم بن

عقيل عليه السلام بشكل أجلى وأعلى من هاني بكثير كما هو واضح.

الوجه الثاني: إنه يمكن -بعد التسليم بصحة النقل- أن يحمل كله على الصحة.

أما الكراهة في أن يكون مسلم بن عقيل عليه السلام عنده، باعتبار الشعور بثقل المسؤولية الدينية الملقاة على عاتقه واعتبارها شديدة الصعوبة، ولعلها تؤدي إلى القتل. مع العلم أنه كان في حل منها وبريئاً منها لو لم يكن مسلم بن عقيل عليه السلام قد قصده. فهذا الكره تعبير آخر عن الهيبة لتلك المسؤولية.

وأما قوله: ضيفي ونحو ذلك، فإنه إنما يتكلم بلغة المجتمع لكي يلقي الحجة على ابن زياد أولاً، ولا يفهمه اتجاهه الديني ثانياً. ولو احتج بالجهة الحقيقية لما اقتنع ابن زياد.

الوجه الثالث: إننا نعرف هانياً رضوان الله عليه كان متقدماً في السن، وقوياً في الحق ومن صحابة النبي صلى الله عليه وآله، وقد شارك أمير المؤمنين عليه السلام في حروبه. ثم كان مستعداً للموت في سبيل أهل الحق. ويكفينا أن نلتفت أن ضيفه لو كان من أهل الباطل لكان يمكنه أن يجعل هناك مبرراً للقبض عليه، بأن يخدعه بالخروج من بيته أو يرسله لحاجة ونحو ذلك، فإذا خرج تم القبض عليه وبرئت الذمة منه. ولكنه لم يفعل ذلك اتجاه مسلم وفداه بحياته.

تفرق أصحاب مسلم بن عقيل عليه السلام

يوجد هناك نفس المطلب في مقتل المقرم وفي تأريخ ابن الأثير، وهو عبارة عن إعطاء السبب الذي جعل أصحاب مسلم بن عقيل عليه السلام يتفرقون بهذه السرعة. ولكنه يوجد فرق بين مقتل المقرم وتأريخ ابن الأثير أريد أن أبرزه.

يقول المقرم: ولما بلغ مسلماً خبر هاني خاف أن يؤخذ غيلة، فتعجل الخروج قبل الأجل، وأمر عبد الله بن حازم أن ينادي في أصحابه وقد ملأ بهم الدور حوله. فاجتمع إليه أربعة الاف ينادون بشعار المسلمين يوم بدر: **يا منصور أمت** (أي المنصورون بالله يميتون أعداء الله).

ثم عقد لعبيد الله بن عمرو بن عزيز الكندي على ربع كندة وربيعة، وقال: سر أمامي على الخيل. وعقد لمسلم بن عوسجة الأسدي على ربع مذحج وأسد، وقال: إنزل بالرجال. وعقد لأبي ثمامة الصائدي على ربع تميم وهمدان. وعقد للعباس بن جعدة الجدلي على ربع المدينة. وأقبلوا نحو القصر، فتحرز ابن زياد فيه، وغلّق الأبواب ولم يستطع المقاومة لأنه لم يكن معه إلا ثلاثون رجلاً من الشرطة وعشرون رجلاً من الأشراف ومواليه.

لكن أهل الكوفة وما جبلوا عليه من الغدر لم يدع لهم علماً يخفق. فلم يبق من الأربعة آلاف إلا ثلاثمائة.

وقد وصفهم الأحنف بن قيس بالمومسة تريد كل يوم بعلاً.

ولما صاح من في القصر: يا أهل الكوفة اتقوا الله ولا توردوا على أنفسكم خيول الشام، فقد ذقتموهم وجربتموهم. فتفرق هؤلاء، حتى أن الرجل يأتي أخاه وابنه وابن عمه، فيقول له: انصرف. والمرأة تأتي زوجها فتتعلق به حتى يرجع. فصلى مسلم بن عقيل عليه السلام العشاء في المسجد ومعه ثلاثون رجلاً، ثم انصرف نحو كندة ومعه ثلاثة ولم يمض إلا قليلاً وإذا لم يشاهد من يدله على الطريق. فنزل عن فرسه ومشى متلدداً في أزقة الكوفة لا يدري إلى أين يتوجه[١].

وأما ما جاء في الكامل لابن الأثير[٢] فإنه قال: وأتى الخبر مسلم بن عقيل فنادى في أصحابه: (يا منصور أمت) وكان شعارهم. وكان بايعه ثمانية عشر ألفاً، وحوله في الدور أربعة آلاف. فاجتمع إليه ناس كثير فعقد مسلم لعبد الله الكندي على ربع كندة، وقال: سر أمامي. وعقد لمسلم ابن عوسجة الأسدي على ربع مذحج وأسد. وعقد لأبي تمام الصائدي على ربع تميم وهمدان. وعقد لعباد بن جعدة الجدلي على ربع المدينة.

وأقبل نحو القصر، فلما بلغ ابن زياد إقباله تحرز القصر وأغلق الباب. وأحاط مسلم بالقصر وامتلأ المسجد والسوق من الناس. وما زالوا يجتمعون حتى المساء، وضاق بعبيد الله أمره وليس معه في القصر إلا ثلاثون رجلاً من الشرطة، وعشرون رجلاً من الأشراف وأهل بيته ومواليه. وأقبل أشراف الناس يأتون إلى ابن زياد من قبل الباب الذي يلي باب الروميين، والناس يسبون ابن

(١) مقتل المقرم ص١٥٥ - ١٥٦ ط بيروت.

(٢) ج٣ ص٣٩٣.

زياد وأباه. فدعى ابن زياد كثير بن شهاب الحارثي وأمره أن يخرج في من أطاعه من مذحج. فيسير ويخذل الناس عن ابن عقيل ويخوفهم، وأمر محمد بن الأشعث أن يخرج فيمن أطاعه من كندة وحضرموت فيرفع راية أمان لمن جاءه من الناس. وقال مثل ذلك للقعقاع بن ثور الذهلي وشبث بن ربعي التميمي وحجار بن أبجر العجلي وشمر بن ذي الجوشن الضبابي، وترك وجوهاً عنده استئناساً بهم لقلة عدد من معه.

وخرج أولئك النفر يخذلون الناس، وأمر عبيد الله من عنده من الأشراف أن يشرفوا على الناس من القصر فيمنوا أهل الطاعة ويخوفوا أهل المعصية ففعلوا. فلما سمع الناس مقالة أشرافهم أخذوا يتفرقون حتى أن المرأة تأتي ابنها وأخاها وتقول: انصرف الناس يكفونك. ويفعل الرجل مثل ذلك. فما زالوا يتفرقون حتى بقي ابن عقيل في المسجد في ثلاثين رجلاً.

فلما رأى ذلك خرج متوجهاً نحو أبواب كندة، فلما خرج إلى الباب لم يبق معه أحد. فمضى في أزقة الكوفة لا يدري إلى أين يذهب، فإنتهى إلى باب امرأة من كندة يقال لها طوعة. .الخ.

وهذا أسلوب من البيان أجود بكثير من أسلوب المقرم، ولكن مع ذلك تبقى فيه شائبة أسئلة وإشكالات يمكن توجيهها إليه.

وهذه الإشكالات لا حاجة إلى بيانها، وإنما أبينها بالأجوبة والوجوه الآتية:

الجواب الأول: إن هذا كله فرع صحة النقل التأريخي. وأما إذا كان فاسداً أو مزيداً فيه أو محرفاً ونحو ذلك من الأمور، إذن فنحن لا نعرف ما الذي وقع بالتحديد في الكوفة.

الجواب الثاني: إن المؤرخين قالوا: إن القصر ليس فيه تحصين كافي. ولكننا ينبغي أن نلاحظ موقف هؤلاء المهاجمين، هل يعلمون عدد من كانوا في داخل القصر. فلربما تكون قوة لا قبل لهم بها. فمن الذكاء أن يأخذوا بنظر الإعتبار كل الإحتمالات، وليس أنهم يقومون بعملية أو هجوم غير معلومة النتائج.

الجواب الثالث: وإن كان إلى حد ما خلاف ظاهر عبارة الكامل، ولكنه كأطروحة جيدة وعليها بعض القرائن. فإنه عقد لهؤلاء القواد الأربعة بعنوان: سر أمامي. وقد بقي هو يدبر اللمسات الأخيرة للأمر. ويحتاج إلى أن يبقى في مركزه، لا أنه يكون في الخط الأول أو خط المواجهة. حينئذٍ نضم مقدمتين:

المقدمة الأولى: إن المبادرة أصبحت لعبيد الله بن زياد، أي المكر الذي مكره. ومسلم كان لا يدري. فالتخذيل بدأ ومسلم لا يعرف، وتفرق الناس ومسلم لا يعلم.

المقدمة الثانية: إن الجيش لا يتحرك إلا بأمر، وإلى تلك الساعة لا توجد أوامر. فإنه لم يكن موجوداً ليأمرهم. والجيش ليس له الحق بأن يقوم بأي شيء ما لم يأخذ تخويلاً من قائده الرئيسي. إلى أن حصلت الحركة المضادة، وانتهى الحال.

الجواب الرابع: إنه لم يكن المخطط في المهاجمة فوراً. فكل ما في الأمر أن يجمعوا الجيش ويستقر الحال، وكل فرد يشعر بمسؤوليته ويشعر أن قائده فلان. فإذا أصبح الصباح فإنهم سوف يهجمون. فالوقت أضيق من أن تحصل فيه المهاجمة، وإنما هو وقت الراحة. فالعسكر في مثل هذا الوقت لا يصلح أن يكون جيشاً مرتباً. وأما الآن فإنهم يتفرقون إلى منازلهم للراحة، ثم

يجتمعون صباحاً لكي يبدأوا الحرب من جديد. وإنما يحاصر القصر بحراسة كاملة من قبل جماعة معتدٍ بها. فلربما كان مسلم يخطط بهذا المعنى. فاستغل الفرصة ابن زياد ففعل ما فعل من الأشياء.

الجواب الخامس: إن التحاق الفرد في أي جيش في الحروب السابقة يكون بإختياره، فليس لهم أن يقتلوه أو يضروه إذا لم يخرج، ولا أنهم يمدوه بالسلاح. وإنما يخرج هو بقناعته فيقاتل. فهؤلاء الذين خرجوا مع مسلم إنما خرجوا بقناعتهم. ونحن نعلم أنهم ليسوا على مستوى واحد. فكثير منهم مذبذبون، جمعوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً. فبمجرد أن يروا الباب مغلقة يمكن أن ينسحبوا. فكل الأمور إنما هي اختيارية.

الجواب السادس: تأثير مكر ابن زياد، وهو تأثير جيد دنيوياً. وعبيد الله بن زياد يعرف نفوس أهل الكوفة وأشراف أهل الكوفة. ويعرف من يرسل ممن يستطيع أن يقنع قليلاً أو كثيراً. فطمَّعهم وخوَّفهم وخذَّلهم، وكلها أكاذيب. ولكنهم لو كانوا سمعوها من ابن زياد نفسه لكذبوها. لكنهم سمعوها من أناس يحسنون بهم الظن. ففي الإمكان إضلال الناس عن طريق من يدعي لنفسه الوثاقة في كل جيل. ولـمَّا تضائل الجيش آيسوا من النصر، فخير لهم أن يتفرقوا.

الجواب السابع: عدم التخطيط المسبق، فبمجرد أن وصلهم خبر إعتقال هاني انطلق شعار (يا منصور أمت)، فاجتمع الجيش. فكأن الجيش لا يحتاج إلا إلى أمر بالولاية لكي يجتمع. وهذا في نفسه جيد ولكنه ينبغي أن يكون في مجتمع إما ساذج بحيث ليس فيه مكر وخداع، وإما في مجتمع عالي الإيمان أو الإخلاص بحيث لا يؤثر فيه المكر والخداع. ولم يكن مجتمع الكوفة من هذا الشكل ولا من هذا الشكل.

والملحوظ بوضوح أن مسلم بن عقيل عليه السلام لم يتابعه عند انفراده أحد من أعدائه ولا أحد من مواليه وأصدقائه.

أما عدم متابعة أعدائه فينبغي أن يكون واضحاً، حيث كانوا يخافون من بقاء الناس في المسجد، والدنيا كانت مظلمة فلا يتضح وجود شخص مسلم بن عقيل عليه السلام وربما لأجل ذلك تخلى مسلم بن عقيل عليه السلام عن فرسه إن صحت الرواية، لأنه لو كان راكباً لكان ملفتاً للنظر.

وأما عدم متابعة أصحابه له فلأجل سببين لا أقل:

الأول: لكي لا تخلو الساحة لابن زياد، فلا بد من وجود بعض المؤمنين لأجل بث الفكرة في أذهان الناس.

الثاني: إنهم يعلمون أن الحسين عليه السلام مقبل، فيحافظون على أنفسهم لأجل خدمة الحسين عليه السلام.

ومن الواضح حسب النقل التأريخي أن مسلم بن عقيل عليه السلام لم يطلب إجارته من أحد من الناس. ويمكن إعطاء عدة أسباب لذلك فإنه لا يريد امتنان أحد منهم. مضافاً إلى حصول الإطمئنان بالشهادة. مضافاً إلى طلب الشهادة. مضافاً إلى أنه ربما تسبب إلى إنزال الشر عليه يعني على من يطلب منه، فيكون مسؤولاً أمام الله سبحانه. مضافاً إلى سقوط الأسباب والإتكال محضاً على الله سبحانه.

استجارة مسلم بن عقيل عليه السلام في دار طوعة

واما دار طوعة[1] فيعتبرها مسلم بن عقيل عليه السلام هبة من الله سبحانه لأنه جاء صدفة باللغة الدنيوية.

واستجارته في بيتها له معناه لأنه يكون فيها بعيداً حسب الظاهر عن عيون القوم وبعيداً عن السياسة باللغة الحديثة، وهو لم يطلب منها إلا إستجارة ليلة واحدة وفي الصباح يدبرها مدبر الأمور ويحمد القوم السرى.

وطبعاً كان مسلم بن عقيل عليه السلام لا يعلم أن ابنها عميل السلطة أو يمكن أن يبلغ عنه.

فإن قلت: فلماذا لم يحسب مسلم حساب ذلك ولو احتمالاً.

قلنا: لم يكن له بديل غيره. وأما بيوت أصحابه فلم يكن يعرف الطريق إليها. مضافاً إلى ما قلناه من أنهم لم يطلبوا منه ذلك فكيف يدخل عليهم.

وأما خروجه إلى البرية ليلاً وحده فهو أشد خطراً ولا يعرف الطرقات

---

(١) أنظر قصة طوعة عليها الرحمة في روضة الواعظين ص١٧٥، الإرشاد ج٢ ص٥٤، المناقب ج٣ ص٢٤٤، مثير الأحزان ص٢٣، البحار ج٤٤ ص٣٥٠. أنساب الأشراف للبلاذري ص٨١، تأريخ الطبري ج٤ ص٢٧٧، البداية والنهاية ج٨ ص١٦٦، مقتل أبي مخنف ص٤٥، إعلام الورى ج١ ص٤٤٢، اللهوف لابن طاووس ص٣٤، الكامل لابن الأثير ج٣ ص٣٩٤.

والشوارع الرئيسية، وليس له مقصد معين يقصده. وليس في الأطراف إلا الرعاة والفلاحين، ولا توجد مدينة كبيرة إلا البصرة وهي بعيدة جداً مضافاً إلى كونها ليست أقل خطراً من الكوفة عليه.

مضافاً إلى إمكان التعرف عليه في المحارس، وإن لم يكن قد أمروا فوراً بالقبض عليه. إلا أنهم يعلمون ما يحدث في داخل الكوفة، فلربما منعوه عن الخروج أو قتلوه ونحو ذلك. وهذا الإحتمال وارد سواء عرفوه أم عرفهم نفسه أو لم يكن كذلك.

وهنا يحسن الإلتفات إلى أني وجدت في بعض كتب أسد حيدر صاحب كتاب: (الإمام الصادق والمذاهب الأربعة)، وله كتاب حول تأريخ الحسين عليه السلام، بعنوان: (مع الحسين في نهضته) يقول فيه ما مؤداه: (وسواء صحت قصة طوعة أو لم تصح).

فكأنه يريد بصراحة أن يشكك فيها، وهو ليس بالفرد الإعتيادي بل هو مدقق وذكي.

وما يمكن أن يكون سبباً له في ذلك عدة أمور محتملة:

أولاً: ضعف سند النقل التأريخي، فنستطيع أن نقول إنه مرسل وليس له إسناد، وكل نقل مرسل فهو ليس بحجة، فهذا ليس بحجة.

ولكن هذا يمكن أن يجاب بأكثر من جواب واحد حلاً ونقضاً:

١- إنه وارد في الكتب المعتمدة القديمة، كالكامل لابن الأثير والإرشاد للمفيد وكشف الغمة للأربلي. وإذا كان على هذا المستوى فليس لنا أن نناقش فيه، وليس لنا في التأريخ ما هو أفضل من ذلك سنداً إلا النادر.

٢- إننا لو ناقشنا بمثل هذه الحادثة فينبغي أن نناقش في كثير من الحوادث، لأن عدداً معتداً به منها أيضاً متصف بنفس هذه الصفة. مع العلم أن المتشرعة يعترفون بها.

٣- إننا يمكن أن نجمع قرائن دالة على الصحة، لأنه توجد أشياء سابقة ولاحقة على هذه الرواية من أوضحها أنه هوجم في بيت طوعة، وكذلك ذهاب ولدها لإخبار ابن زياد، وكذلك إرسال ابن زياد لمجموعة من أصحابه للقبض عليه أو لقتله. فهذه كلها أمور مربوطة ببيت طوعة، فتكون قرينة على صحة هذه الرواية إما بالدلالة المطابقية أو بالدلالة التضمنية. فإذا جعلت كقرائن فسوف يحصل نوع من الإستفاضة للرواية.

ثانياً: لعله حمل أصحابه الخاصين على الصحة، وأنهم دعوه إلى بيوتهم وأخفوه عندهم كما هو واجبهم على ما نتصور ويتصور. وإذا كانوا فعلوا ذلك فلا تصل النوبة إلى بيت طوعة.

إن قلت: إنه حورب في اليوم الثاني، وهذا كله حصل أمام بيت طوعة.

جوابه: إنه حورب وأرسل له عدة دفعات من الجيش، ولكنه لا دليل على أنه أمام باب طوعة، بل أمام باب الذي إعتصم به أياً كان صاحبه.

ولكن مما يدفع هذا الإحتمال قضايا عديدة:

منها: إن التأريخ ينسب ذلك إلى بيت طوعة وليس هذا من إختيارنا، وإنما بإختيار المؤرخين وهذا يكفي.

ومنها: إننا عرفنا أن مسلم بن عقيل عليه السلام حسب النقل التأريخي لم يطلب من أحد استجارة، ولم يطلب أحد منه إجارته. فلم يلجأ إلى أصحابه لأنه

يتوقف على أحد هاتين المقدمتين، فإما أن يقول لأحد وإما أن يقول له أحد. إذن، كيف يلجأ إلى أصحابه؟

مضافاً إلى قرينة أخرى محتملة وهي أنه لو كان لجأ إلى أصحابه، أو نقله أصحابه إلى بيت كامل الأمان لما حصل هذا الذي حصل، أي لما هوجم في بيته وحورب وقتل، بل كان آمناً عدة أيام ولربما لعدة أشهر، ولربما كان من المنتظر أن يكرر الحركة والتوجه والتدخل بالأمور الإجتماعية مرة ثانية.

ثالثاً: لعله يدعى أن مسلم بن عقيل عليه السلام حين نادى بالجيش وجمعه، حارب وحورب وقتل كما قتل أي واحد حامل السلاح ومعارض.

وجوابه: إن هذا غير محتمل وخلاف نص تسالم التأريخ. فإن الجيش الذي أعده مسلم بن عقيل عليه السلام في ذلك اليوم لم يحارب ولم يقتل منه ولا واحد، لا مسلم بن عقيل عليه السلام ولا غيره. ولم يكن لدى ابن زياد الجيش الكافي لمقابلة هؤلاء، وإنما تسلسلت الحوادث حسب النقل التأريخي.

فالظاهر إن حادثة طوعة متحققة حسب الإطمئنان للنقل التأريخي.

وقد يخطر في البال أنها كان يجب أن ترفض إجارته لأحد أسباب. فإن تم سبب من هذه الأسباب فكان ينبغي أنها لا تجيره وكانت مقصرة في إجارته. وإن لم يتم ولا سبب إذن، فنعم ما فعلت.

السبب الأول: إنها امراءة أجنبية عن مسلم بن عقيل عليه السلام لا يستطيع أن يراها أو أن يجلس معها فقهياً وشرعياً، فينبغي لها أن تحذر من كل رجل.

جوابه: إنها لم تدخله إلى أن استوثقت من حقيقته. فهو عالي المقام وقد عرَّفها نفسه، ولربما شرح لها باختصار قضية فشله في تأسيس الجيش ونحو

ذلك من الأمور.

السبب الثاني: إن انفراد الأجنبيين حرام في نفسه، وهذا ما حصل في دار طوعة ويقول السائل: إن هذا حرام عليهما معاً.

جوابه: من وجهين:

أولاً: كأطروحة إنها لم تكن متفقهة بهذا الحكم الشرعي، وأما هو فلم يعلم بالصغرى [1]. فلعل في البيت أطفالاً أو زوجاً فلا يحرم إن كان معهما ثالث.

ثانياً: ما من شيء حرمه الله إلا وأحله في حال الضرورة. فإنه وإن كان محرزاً أنه سوف يجتمع في المنزل ولا ثالث معها، ولكن تلك الحرمة تسقط عند وجود العسر والحرج والضرورة.

السبب الثالث: إنها كانت تعلم أن ولدها عميل قصر الإمارة، فكان عليها أن تعتذر من مسلم بن عقيل عليه السلام في ذلك، وأن إدخاله في بيتها خطر عليه وليس فيه استجارة عملياً كما حصل فعلاً.

جوابه: من عدة وجوه:

أولاً: إنها عامية وبسيطة ولا تدرك هذه الأمور الإجتماعية والسياسية، أو أنها يمكن أن تغفل عنها وتتساهل فيها وتتناساها من أدنى ملابسة. ولعل ذهنها انشغل بشيء آخر وهو أنها عرفت أن شخصاً ما من أهل البيت عليهم السلام واقف على بابها فأخذتها الهيبة والتفكير في شأن مسلم بن عقيل عليه السلام.

---

(١) أي لم يعلم أن ما هو عليه الآن من حال هو تطبيق وموضوع لهذا الحكم الشرعي.

ثانياً: لعلها لم تكن تعلم بعلاقة ولدها بقصر الإمارة، ولم يخبرها عن ذلك. فهي لا تعلم علاقاته الإجتماعية.

فإن قلت: إنه يبدو أنها شاكة به. لأنه عندما سألها: لماذا تكثرين الدخول والخروج إلى البيت؟ قالت: إلهَ عن ذلك. فلماذا تلهيه إذا كانت واثقة منه.

قلنا: إن هذا لا يدل على أنها مسبوقة بأي شيء عن علاقته بقصر الإمارة، وإنما كان ذلك زيادة في الحيطة والحذر. ففي الإمكان أن النفس الأمارة بالسوء أو جهة الخوف قد تدعوه إلى شيء.

ثالثاً: إنها لعلها تعلم بعلاقته المشبوهة بالقصر، لكنها لاتعلم نوع العلاقة ما هو؟ فهل هي من قبيل التجسس وإعطاء الأخبار أو شيء آخر له جهة إقصادية أو جهة إجتماعية. فحينما تجهل عمله فإنها تجهل أنه سوف يعطي خبر مسلم بن عقيل عليه السلام.

رابعاً: إنها ظنت أنها بالمواثيق والأيمانّ تسيطر على ولدها، وقد حملته على ذلك فعلاً وأعطاها ما تريد فعلاً. إلا أن ذلك لم يؤثر فيه.

وإذا نظرنا إلى السبب النفسي الذي حمل ابن طوعة على نقل الخبر (وهو طبعاً رجل لا دين له) برزت عدة أمور غير متنافية:

الأول: خوفه سوء العاقبة الدنيوية التي حصلت من تهديد ابن زياد وهو: إن من عرف مسلم في بيته مستجيراً فإنه سوف يقتل. فرأى أحسن طريقة في نظره أن يشي به حتى يكفى شر التهديد.

الثاني: إننا نستطيع أن نلاحظ أنه ليس هو الذي أجار مسلماً، وإنما أجارته أمه. فهو من هذه الناحية يشعر أنه غير مسؤول عنه من حيث الإستجارة. ومن

هذه الناحية لا يكون موضوعاً للحكم العشائري بالإلتزام بالإستجارة. فإنه يقول ويشي من دون رادع من دين ولا دنيا.

الثالث: إنه يدور أمره بين ثلاثة إحتمالات لا رابع لها:

الإحتمال الأول: إبقاء مسلم بن عقيل عليه السلام في دارهم فيموت تحت تنفيذ تهديد ابن زياد.

الإحتمال الثاني: إخراجه من البيت، وهذا -بعد التنزل عن الوجوه السابقة- يعتبر خيانة للقانون الإجتماعي والعشائري.

الإحتمال الثالث: تسليمه إلى السلطة، وهذا أهون الشرور الدنيوية في نظره. فكأن التسليم إلى السلطة له جانب استثناء من القانون العشائري.

الرابع: كأطروحة، إنه كان عميلاً فعلاً وذا علاقة بالقصر، ومن هنا قام بوظيفته تلك. أو أنه عميل لكنه لم يكن مأموراً بالتسليم وإنما أراد أن يتزلف إليهم.

الخامس: إنه سلمه طمعاً بالجائزة، وهي موجودة في كل الأجيال. فالسيطرة إما خوفاً وإما طمعاً. حيث قال ابن زياد: إن من يأتي به فله ديته[١]. وقد وجدنا في جيلنا وفي غير جيلنا من يتوصل إلى قتل إبنه أو أخيه أو أبيه في سبيل أن يطمع بالجائزة. فحين وجد مسلم عنده وفي داره اعتبر ذلك فرصة ذهبية له. وما قيمة مسلم وغير مسلم بازاء الذهب الفتان، من وجهة نظره.

إن قلت: إنه أعطى عنه خبراً، وليس إعطاء الخبر عنه تغريراً بحياته، لأنه لا يعلم أنه سوف يقتل. فلعله يسجن أو يعنّف ثم يطلق سراحه. فلم يكن

(١) الإرشاد ج٢ ص٥٧، مقاتل الطالبيين ص٦٨.

متسبباً إلى قتله مباشرة.

جوابه من أكثر من وجه:

١- إننا نعلم بيننا وبين الله تعالى أنه ليس له تسليمه على كل حال حتى لو تكلموا معه كلمة إحتقار واحدة. فإنه سوف تكون مسؤوليتها على هذا الرجل، فضلاً عما إذا تكلموا أكثر من ذلك، فضلاً عما إذا قتلوه، وهذا ينبغي أن يكون مسلَّماً.

٢- إن ابن زياد كان قد خطب خطبته بالليل، وجمع الناس بعد خروج المعارضين، وهدد وتوعد وطمَّع الناس. فموقفه واضح. فإنه إذا كان يهدد من يجير مسلم عليه السلام فكيف لا يهدد مسلماً نفسه.

٣- إننا لو غضضنا النظر عن ذلك، فقد كان الموقف المتأزم ينذر بالخطر فعلاً، وهذا ينبغي أن يكون واضحاً. وخاصة بعد تأسيس الجيش من قبل مسلم بن عقيل عليه السلام فإنه حمل السلاح بوجه عبيد الله بن زياد. فحينئذ ماذا يستحق من حمل السلاح بوجه السلطة إلا القتل باصطلاحهم؟

ومما قد يثار بهذا الصدد أن الحرب التي خاضها مسلم بن عقيل عليه السلام مع المهاجمين كانت حرباً إنفرادية فلم يعاونه فيها أحد من خلق الله تعالى لا من الأشرار ولا من الأخيار. ويبدو أنه قاتل راجلاً بلا جواد. ويبدو من ارتكاز المتشرعة والمؤرخين أن هؤلاء المهاجمين كانوا فرساناً، فكيف حاربهم بدون فرس، فما أسهل أن يقتل؟

وهذا يمكن الجواب عليه من زاويتين لا أقل:

الأولى: إننا نقول بوضوح إنهم لم يكونوا فرساناً وإنما أيضاً كانوا راجلين،

لأن مناسبات القضية تقتضي ذلك.

الثانية: إن المسألة هي أن التعارف الإجتماعي يقتضي ذلك. فنستطيع أن نقول إن هناك ارتكازات عرفية وإن كانت دنيوية لكنها موجودة. ومنها: مماثلة المحاربين من ناحية كونهما راجلين أو فارسين. فمن واجب أحدهما أن يكون مثل الآخر.

كما ينبغي بهذا الصدد ذكر السؤال التالي: وحاصله أننا قد نتوهم أو نتخيل أنه يجب على مسلم بن عقيل عليه السلام شرعاً التسليم للجيش المهاجم، حفاظاً على نفسه.

جوابه من عدة وجوه:

أولاً: إنه كان ذلك طلباً للشهادة، لأنه يعلم أنه سوف يقتل بأيدي شرار خلق الله. فلا بأس أن يحارب في سبيل الله ويقتل لكي يكون شهيداً. وهي فرصة طيبة من الناحية الأخروية سنحت له بهذا الصدد.

ثانياً: إنه من العار الدنيوي -إذا كنا ننظر نظراً دنيوياً- أن يشتهر أن مسلماً عليه السلام سلَّم سلمياً لعدوه بعد أن كان قد أعدَّ نفسه طيلة هذه المدة.

ثالثاً: إنه علم أنه مقتول على أي حال، سواء حارب أم سالم. لأن القرائن الإجتماعية العامة ماشية بهذا الطريق. فإذا كان الأمر هكذا فعلام يجامل ويذل نفسه وهدفه ودينه. فخير له في الدنيا وفي الآخرة أن يموت شريفاً من أن يموت ذليلاً.

رابعاً: إنه لو جامل وهادن فسوف يكون خلاف مصلحة الدين وخلاف مصلحة المذهب وخلاف مصلحة الحسين عليه السلام.

وأما إلقاء القبض عليه فسببه واضح، لأنها كانت حرباً إنفرادية لم يشاركه أحد فيها إطلاقاً، فمن الطبيعي -وإن كانت هذه العبارة دنيوية ومؤسفة- فمن الطبيعي أن ينهار، مهما كان شجاعاً ومقداماً. لأنهم بالمئات وهو واحد، ولكن ذلك لم يحصل. مثله في ذلك كمثل الحسين عليه السلام لما قتل أصحابه وبقي مفرداً أمام الجمع الغفير. وهو موقف يرسله الله ويرزقه لخاصة خلقه حين يريد أن يبتلي صبرهم وثباتهم. ومعنى ذلك أن الفرد الذي ابتلي بذلك على مستوى المسؤولية. وقد وفوا بموقفهم ذلك أفضل الوفاء.

وصية مسلم بن عقيل عليه السلام

قالوا: ثم طلب مسلم بن عقيل عليه السلام أن يوصي إلى بعض قومه، فأذن له. ونظر إلى الجلساء فرأى عمر بن سعد، فقال له: إن بيني وبينك قرابة ولي إليك حاجة، ويجب عليك نجح حاجتي وهي سر. فأبى أن يمكنه من ذكرها. فقال ابن زياد: لا تمتنع أن تنظر في حاجة ابن عمك. فقام عمر بن سعد بحيث يراهما ابن زياد، وأوصاه مسلم بن عقيل عليه السلام أن يقضي من ثمن سيفه ودرعه ديناً استدانه منذ دخل الكوفة يبلغ ستمائة درهم، وأن يستوهب جثته من ابن زياد ويدفنها، وأن يكتب إلى الحسين عليه السلام بخبره. فقام عمر بن سعد إلى ابن زياد وأفشى كل ما أسره إليه. فقال ابن زياد: لا يخونك الأمين ولكن قد يؤتمن الخائن[1].

وفي ذلك بعض الأسئلة: لعل أوضحها على الإطلاق أنه اختار عمر بن سعد لكي يكون وصياً له مع ما عليه من خبث وفسق، ويكفينا أنه أصبح قائد الجيش المضاد للحسين عليه السلام في عرصة الطف. فكيف حصل ذلك ولماذا؟

جوابه من عدة وجوه:

أولاً: إمكان الطعن في سند الرواية، وهذا يكفي.

(١) أنظر الإرشاد ج٢ ص٦١.

ثانياً: إننا ينبغي أن نلتفت إلى هذه النكتة، فالمستقبل في ذلك الحين كان مجهولاً، فواقعة الطف لم تكن موجودة، ولم يكن أحد يعرف أن عمر بن سعد سوف يكون القائد للجيش المعادي للحسين عليه السلام. وإنما هو مجرد رجل من غير الموالين للحق ومن الموالين للسلطان. وبتعبير آخر هو أموي الولاء والهوى، فإلى تلك اللحظة لم يكن متطرفاً في العناد.

ثالثاً: إن له معه قرابة، فكان أمل مسلم بن عقيل عليه السلام أن يصون له قرابته وأن يحترمها.

رابعاً: لعله وجده بالسن أو في الرشد الإجتماعي قابلاً لذلك، ويستطيع أن يتحمل هذه الوصية، ومن المحتمل راجحاً أنه ينفذها.

خامساً: إنه كان من المتعذر لمسلم أن يختار حقيقة أي فرد أو أن يدعو من خارج القصر أي شخص فإنه يخاف عليهم، وإنما عليه أن يختار من الحاضرين فقط. فقد وجده أفضل من يحتمل فيه ذلك. وكل الباقين ليسوا بهذه الدرجة من ذلك الإستحقاق.

سادساً: ما ذكره السيد المقرم[1]، من أنه أراد أن يكشف إلى الكوفيين سوء سريرة ابن سعد، ويظهر خيانته وانحطاطه، وعن هذا الطريق فإنه لا يكشف عن حقيقته بما هو عمر بن سعد بل عن طبقة من الناس كلهم على هذا المستوى. وهذا ما حصل فوراً حتى لابن زياد، حيث نسمعه يقول فيه بالرغم من أنه من أصحابه: (ولكن قد يؤتمن الخائن).

سابعاً: إن وجهة الإمتحان الإلهي فيها فقط كونها سراً. وإلا فهي ليست

(١) مقتل الحسين للمقرم هامش ص١٦٢ ط بيروت.

بسر، وإنما قال له بأنها سر إمتحاناً له، وقد فشل بالإمتحان. ومن القرائن على أنها ليست سراً أنه لم يحصل لها أي رد فعل سيئ لا عام ولا خاص يعني من قبل عبيد الله بن زياد.

ومن المطمأن به أنه لم يؤد ولا واحداً من هذه الوصايا بالتأكيد.

والسؤال الآخر حول ذلك: إنه لماذا لم يؤدِ مسلم بن عقيل عليه السلام دينه قبل ذلك؟

جوابه من عدة وجوه:

أولاً: إنه لم تحصل له هذه الفرصة، وفي المثل: (يرى الحاضر ما لا يرى الغائب).

ثانياً: إن دينه لم يكن قد حصل وقته، أو لم يكن مطالباً به.

ويكفي الإحتمال لدفع الإستدلال، كما يكفي حمل مسلم بن عقيل عليه السلام على الصحة.

والسؤال الآخر: إن مسلم بن عقيل عليه السلام لم يسم إسم الدائن لعمر بن سعد، فكيف يستطيع أن يؤدي دينه لو كانت عنده هذه الهمة؟

جوابه: من أكثر من وجه:

أولاً: إنه خاف على الدائن من ذكر اسمه في ذلك المجلس، فإن وجده فبها ونعمت وإلا فهو معذور.

ثانياً: إن الدائن يعرف نفسه، فإن جاء وطالب وصي مسلم بن عقيل عليه السلام يعطى ماله، وإلا فجزاه الله خيراً.

والسؤال الآخر: لماذا لم يحفظ تركته لورثته؟ وهو يعلم بمجيء الحسين عليه السلام ، فيكفي أن تسلم التركة إلى الحسين عليه السلام ليقسمها بين الورثة، ونحن نعلم أن له زوجة وبنتاً وأولاداً قتلوا في الطف بدون عقب.

جوابه: إنه من الواضح فقهياً ومتشرعياً وجوب أداء الدين قبل تقسيم التركة. فكان من حق مسلم بن عقيل عليه السلام بل من واجبه ذلك. نعم، لو بقيت من التركة بقية وجب دفعها إلى الورثة. ولكن يبدو أن المسألة كانت إطمئنانية له بأن لا يزيد منها مقدار معتد به. كما له أن يسكت عن الزائد فيأكله عمر ابن سعد مقابل جهده في أداء دينه.

والسؤال الآخر: إنه لماذا لم يوصل خبر فشله الدنيوي وسيطرة الظالمين عليه إلى الحسين عليه السلام قبل ذلك، يعني قبل تورطه وإلقاء القبض عليه.

جوابه: إننا لو لاحظنا وجدان مسلم بن عقيل عليه السلام لوجدناه أنه كان يأمل الفوز إلى حين القبض عليه. وما دام يأمل الفوز فلا معنى لأن يخبر الحسين عليه السلام بفشله، لأنه لا يعتقد أنه فاشل. ولعله كان يحتمل ذلك حتى بعد دخوله في دار طوعة. ونحن لا نعلم ماذا كان يفكر عن إتصاله بأصحابه من هناك لو سنحت الفرصة له أو أنه يخرج من الكوفة ويجمع المال والرجال ويدخلها منتصراً. وعلى أي حال فوجود مثل هذا الأمل يمنع إخبار الحسين عليه السلام بخلافه، والإحتمال مبطل للإستدلال.

والسؤال الآخر: إنه هل كان من الممكن لعمر ابن سعد أن يوصل الخبر إلى الحسين عليه السلام ، والحسين عليه السلام في ذلك الحين كان في طريق العراق ولم يكن في المدينة؟

جوابه: إن هذا كان مجهولاً لمن كان في الكوفة حتى لمسلم بن

عقيل عليه السلام نفسه، بحيث أن المفروض أن الحسين عليه السلام باقٍ في المدينة إلى تلك الساعة وبعد ذلك. ولا يعلم أحد هنا حدود تحركاته ولا رد فعله تجاه رسالة مسلم بن عقيل عليه السلام إليه.

فإن قلت: فإن مسلم بن عقيل عليه السلام قال -كما في بعض الروايات-: لا أبكي لنفسي وان كنت لا أريد لها طرفة عين تلفاً، وإنما أبكي لأهلي المقبلين، أبكي حسيناً وآل حسين[1]. وهذا يدل على علم مسلم بن عقيل عليه السلام بإقبال الحسين عليه السلام نحو الكوفة ونحو العراق.

قلنا: إن قوله: المقبلين، اقتضاءاً لا علية ولا فعلاً. يعني من شأنهم الإقبال، لأنهم وصلهم كتاب مسلم بن عقيل عليه السلام يطلبهم ولم يعلم الرد بخلاف ذلك. فمن شأنهم أن يقبلوا بغض النظر عن زمان ومكان ذلك.

فإن قلت: فإن المفروض بالحسين عليه السلام الإسراع بالمجيء. ولو كان قد أسرع لكان الآن في الطريق. وقد طلبوا منه الإسراع فعلاً. فقد يحصل الإطمئنان لمسلم بن عقيل عليه السلام في كون الحسين عليه السلام في الطريق وليس في المدينة.

قلنا: إن كان ذلك كما هو المظنون، فالأمر بإيصال الخبر إليه، يعني أنه يبحث عن محل وجوده على كل حال، ويحاول الوصول إليه بكل صورة وإخباره عن الحال. لعله يترك التوجه إلى العراق أو يمكن التوجه إلى أي مكان آخر.

وعلى أية حال استطاع مسلم بن عقيل عليه السلام في أقصى إمكانه المتوفر تلك

---

(١) مقاتل الطالبيين ص٦٦، الإرشاد ج٢ ص٥٩، البحار ج٤٤ ص٣٥٣، تأريخ الطبري ج٤ ص٢٨٠.

الساعة أن يفرغ ذمته من حيث إيصال الخبر إلى الحسين عليه السلام. ولم يكن يستطيع أكثر من ذلك بالتأكيد.

ولكن من الواضح تأريخياً أن عمر بن سعد لم يعمل ذلك. وإنما وصل الخبر إلى الحسين عليه السلام عن أحد طريقين: إما بالمعجزة حين أجاب سلام مسلم بن عقيل عليه السلام قائلاً: عليك السلام يا غريب كوفان. وإما بالسبب الطبيعي وهو الفرزدق ورفيقه، حيث قالا له: لم نخرج من الكوفة إلا ورأينا جثة مسلم و هاني تجران بالحبال في أزقة الكوفة. فبكى وترحم على مسلم، ولكنه لم يعزم على تغيير مقصده[١].

قالوا: ثم التفت ابن زياد إلى مسلم عليه السلام وقال: إيهاً ابن عقيل، أتيت الناس وهم جمع ففرقتهم[٢].

أقول: بل الأمر بالعكس، لأنه جاءهم وهم متفرقون فجمعهم. فهو كذب صريح.

فقال مسلم بن عقيل عليه السلام : كلا لست أتيت لذلك، ولكن أهل المصر زعموا أن أباك قتل خيارهم وسفك دماءهم وعمل فيهم أعمال كسرى وقيصر. وأتيناهم لنأمر بالعدل و ندعو إلى حكم الكتاب[٣].

أقول: هذا الزعم بلسان حالهم لا فعالهم.

قال ابن زياد: ما أنت وذاك؟ أولم نكن نعمل فيهم بالعدل؟ فقال مسلم بن

---

(١) أنظر مقاتل الطالبيين ص٧٣.

(٢) أنظر الإرشاد ج٢ ص٦١.

(٣) المصدر السابق.

عقيل عليه السلام : إن الله ليعلم أنك غير صادق وأنك لتقتل على الغضب والعداوة وسوء الظن. فشتمه ابن زياد وشتم علياً وعقيلاً والحسين.

فقال مسلم بن عقيل عليه السلام : أنت وأبوك أحق بالشتم فأقض ما أنت قاض يا عدو الله[١].

وحيث أن مسلم بن عقيل عليه السلام لا سبيل له لدفع الشر عن نفسه فخير له أن يسلم لقضاء الله وقدره.

(١) المصدر السابق ص٦٣.

مقتل مسلم بن عقيل عليه السلام

قالوا: فأمر ابن زياد رجلاً شامياً أن يصعد به إلى أعلى القصر[١]. وفي مقاتل الطالبيين[٢] أنه طلب بكير بن حمران الذي ضربه مسلم بن عقيل عليه السلام على رأسه وعاتقه. فجاءه فأمره بذلك ليحقق فيه شفوته. في حين أن في مقتل المقرم أنه مات[٣].

وعلى أي حال فدعوته تدل على عدة أمور:

١- إنه حي إلى ذلك الحين.

٢- إن ضربته خفيفة بحيث لم تؤثر في نشاطه وقد كانت حدثت في نفس اليوم.

٣- يبدو من سياق الرواية أنه الوحيد الذي ضربه مسلم بن عقيل عليه السلام إذ لو كان قد ضرب غيره لم يكن أي ترجيح بينهما أو بينهم، اللهم إلا أن يقال إن الباقي قتلى أو مجروحين جروحاً بالغة، وهذا هو الوحيد الذي جروحه خفيفة. ولو كان أكثر من واحد جروحه خفيفة لكان التفضيل بينهم أيضاً صعباً من قبل

---

(١) أنظر الإرشاد ج٢ ص٦٣.

(٢) مقاتل الطالبيين ٦٧.

(٣) مقتل المقرم ص١٥٩ ط بيروت.

ابن زياد، إلا أن نقوم بتكذيب الرواية والطعن في سندها. أو يُدَّعى زيادة ولائه لبني أمية أو زيادة قوته في قطع الرقبة حيث فصل رأسه عن جسده.

وحيث يدور الأمر بين الروايتين، فالظاهر إن بقاءه حياً هو الأوكد لوجوده في مقاتل الطالبيين بخلاف مقتله بضربة مسلم بن عقيل عليه السلام فإنه ينقلها المقرم عن الخوارزمي وهو أضعف.

وكذلك قوله: فأمر ابن زياد رجلاً شامياً أن يصعد به إلى أعلى القصر ويضرب عنقه. هو أيضاً منقول عن مقتل الخوارزمي. اللهم إلا أن نقول: إن أصل بكير بن حمران من الشام. ومهما يكن من أمر فالمسألة واضحة إذ يسلطون على الفرد من أضداده الدينيين أو الدنيويين.

قالوا: أن يصعد به إلى أعلى القصر ويضرب عنقه ويرمي برأسه وجسده إلى الأرض[1].

وكان غرضه بالأمر برميه عدة أمور:

١- الزيادة في النكاية والإنتقام، كأنه في نظرهم لم يكن القتل كافياً، بل لا بد من إضافة شيء إليه.

٢- الزيادة بالفضيحة والبهذلة.

٣- الزيادة في الشعور بالإنتصار والإرتياح من التخلص من مسلم بن عقيل عليه السلام وكأنه قد ألقاه في الأزبال، وحاشاه.

٤- الزيادة في الإعلان عن قتله وتسليمه إلى أصحابه مقتولاً مهاناً، في

(١) أنظر مقاتل الطالبيين ص٦٧، الإرشاد ج٢ ص٦٣.

نظرهم.

٥- الزيادة في إخافة الآخرين وإرهابهم، حتى أنه ربما أثَّر في عدم خروج مذحج لإنقاذ هاني والدفاع عنه، لما يعرفون ويرون من قسوة ابن زياد.

قالوا: فأصعده إلى أعلى القصر وهو يسبح الله ويهلله ويكبره[١].

أقول: ولم يمانع ويحوج نفسه إلى السحب أو إلى الذلة المتزايدة، فإنه يعلم أنه مقتول لا محالة.

قالوا: ويقول: الله أحكم بيننا وبين قوم غرونا وخذلونا وكذبونا[٢]. وتوجه نحو المدينة وسلم على الحسين عليه السلام. وفي بعض الروايات أن الحسين عليه السلام سمع سلامه وأجابه بصوت مسموع: وعليك السلام يا غريب كوفان. إلا أن المقرم لم يروها. ولو كانت في مصدر معتمد لرواها[٣].

وأشرف به الشامي على موضع الحذائين وضرب عنقه ورمى برأسه وجسده إلى الأرض[٤] ونزل مذعوراً. فقال له ابن زياد: ما شأنك؟ قال: رأيت ساعة قتله رجلاً أسوداً سيئ الوجه حذائي عاضاً على إصبعه ففزعت منه. فقال ابن زياد: لعلك دهشت؟[٥].

أقول: وهذا هو أول أشكال العقوبة، أي أن الله تعالى يعاقبه حين تلبسه

---

(١) راجع روضة الواعظين ص١٧٧، الإرشاد ج٢ ص٦٣، البحار ج٤٤ ص٣٥٧، إعلام الورى ج١ ص٤٤٤.

(٢) المصادر السابقة.

(٣) لم نعثر على هذه الرواية في حدود تتبعنا.

(٤) المصادر السابقة.

(٥) البحار ج٤٤ ص٣٥٧، اللهوف ص٣٦.

بالجريمة بهذا المقدار. ثم هو إلى جهنم وساءت مصيراً.

ويمكن أن يرد هنا السؤال التالي: أنه لماذا رأى هذا الأسود؟ وما هي الأطروحات التي يمكن ذكرها عن الحكمة الإلهية في ذلك؟

جوابه من عدة وجوه:

أولاً: إقامة الحجة على ابن زياد وغيره، وعلى الفاعل أيضاً أنه قد عمل عملاً سيئاً جداً.

ثانياً: إنه تأنيب وعقوبة للفاعل.

ثالثاً: إنه يعطى على سوء عمله علامة يتذكرها طول عمره.

رابعاً: إنه نحو من التنبيه من الله سبحانه وتعالى على ضرورة التوبة والرجوع إلى مسلك ومذهب ابن عقيل نفسه. بإعتبار أن المسلك الذي يؤدي إلى هذه النتيجة مسلك سيئ لا بد من التخلص منه وتبديله.

والموقف يدل على الإشارة إلى السوء أكيداً بسواد وجهه وعضه على إصبعه، فإنه دليل عرفاً على الندم. وإذا فعله الآخر دل على التأنيب، وأن هذا مما ينبغي أن يندم عليه.

وعادة تكون الصورة ثابتة غير متحركة. كما أن أمثال هذه الموجودات لا تتكلم، وإنما تعطي بيانها وتؤدي غرضها بالإشارة، وهو العض على الإصبع.

وهو أمر ليس بالبعيد، ففي كتب التأريخ أن المعتضد العباسي الذي بدأ الخلافة في بغداد بعد سامراء، وكان قوياً قاسياً في معاملة الناس. وهو الذي أخذ الإعتراف من أحد السراق وقتله قتلة متميزة غريبة. وهو الذي أرسل

للفحص عن دار الإمام العسكري عليه السلام، فإنه كان يرى شبحاً بأزياء مختلفة في كل مرة. وكان يأمر بإغلاق الأبواب وإقامة الحراس عليها، ومع ذلك يرى الشبح، ويتكرر ذلك عنده كثيراً[١].

وقد فسرنا ذلك في تأريخ الغيبة الصغرى[٢] بأنه نتيجة تأنيب الضمير، ونقول هنا: إنه إما دليل من الله على ذنوبه وعيوبه، وإما هو إذلال له من الله حيث لا يستطيع التخلص، بعد أن كان قد عظَّم نفسه في المجتمع تعظيماً كبيراً.

والإنسان قابل لأن يتواضع بعدة أمور:

منها: برؤية نتائج مَن قبله.

ومنها: برؤية عظمة الخلقة.

ومنها: برؤية الذباب عليه، فإنه سيكون تحت أرجل الذباب.

ومنها: بضعفه أمام الأمراض والبلايا، في حين أن أمثال هؤلاء كالمعتضد وأضرابه لم يكن يتعظ بمثل ذلك ولا يعير له أهمية، فيبتليه الله سبحانه بمثل ذلك للزيادة في التنبيه، وإنما هو رحمة به لإمكان توبته، ولكنه من قساوة القلب بحيث لا يستحق التوبة.

وأما نوعية هذه الأشباح فلا ينبغي السؤال عنها، هل هو من الجن أو من الملائكة أو من خلق آخر من خلق الله سبحانه، المهم أنه خلق مطيع يؤدي غرضه.

---

(١) أنظر البداية والنهاية ج١١ ص٨٨.

(٢) تأريخ الغيبة الصغرى ص٣٥٢.

وأما جواب ابن زياد لعلك دهشت، فقد أخذه عمداً على نحو التساهل وعدم الإلتفات إلى أهميته.

ومن الأسئلة التي تعرض هنا: أنه لماذا لم يُلقَ القبض على خاصة مسلم بن عقيل عليه السلام كمسلم بن عوسجة وأبي ثمامة الصائدي وكثيرين غيرهم. مع أن معقل كان يأتي بأخبارهم جميعاً[١]، ومن أدلة عدم إلقاء القبض عليهم التحاقهم بركب الإمام الحسين عليه السلام ولو كانوا مسجونين لما استطاعوا ذلك.

جوابه من عدة وجوه:

أولاً: إنه ربما ألقي القبض على جماعة بدون ذكرهم في التأريخ.

ثانياً: إن هناك بعض النقول تقول عن عدد منهم أنه سجن في بيته، كما وجدته في كتاب (سفير الحسين)[٢] ذكره بدون مصدر. وهو ما يسمى بالإقامة الجبرية، ولذا سجن هاني في غرفة القصر.

ثالثاً: إن الله سبحانه أنجاهم وأعمى أبصار الظالمين عنهم. وخاصة بعد أن عملوا بالتقية جزماً وأخفوا وجوههم عن التجول بين الناس.

---

(١) الإرشاد ج٢ ص٤٥.

(٢) للشيخ عبد الواحد بن أحمد المظفري النجفي.

مقتل هاني رضي الله عنه

قالوا: ثم أخرج هاني إلى مكان من السوق يباع فيه الغنم وهو مكتوف[١].

أقول: لأنه بعد مقتل مسلم بن عقيل عليه السلام يكون كل شيء قد إنتهى ظاهراً، وصفى الجو لابن زياد والحكم الأموي. كل ما في الأمر أنه ينبغي التخلص من العدو الآخر وهو هاني ابن عروة رضي الله عنه، وتأخر مقتله عن مقتل مسلم بن عقيل عليه السلام معقول جداً. وإن كان يمكن القول بأنه لمجرد الصدفة، لأنهم لم يلتفتوا قبل مقتل مسلم بن عقيل عليه السلام إلى مقتل هاني. وأما حين أريق الدم فلا ينبغي الإقتصار على مسلم بن عقيل عليه السلام بل ينبغي أن تصفو الساحة لهم من كل الأعداء المتحمسين ضدهم، وأهمهم هاني.

وظاهر النقل التأريخي أنه قد حصل ذلك في نفس اليوم.

قالوا: فجعل يصيح: وامذحجاه ولا مذحج لي اليوم، وامذحجاه وأين مني مذحج، فلما رأى أحداً لا ينصره، جذب يده ونزعها من الكتاف وقال: أما من عصا أو سكين أو حجر أو عظم يدافع به رجل عن نفسه[٢].

وهذا موقف جليل وجريء قلما يقفه المحكومون، فإنهم غالباً يسلمون

---

(١) أنظر الإرشاد ج٢ ص٦٤، مثير الأحزان ص٢٦، اللهوف ص٣٦.

(٢) راجع المصادر السابقة.

بالنتيجة ويدفعون أنفسهم مجاناً للقتل، مع أنه في إمكانه أن يفعل الكثير ما دام الموت أمامه على كل حال، وإنما هي موتة واحدة.

والظاهر أن المقاصد في ذلك تختلف:

منها: التسليم لأمر الله تعالى.

ومنها: الشعور بالضعف والذلة أمام السيطرة الأخرى.

ومنها: خوف البهذلة مع اليقين بعدم النجاة.

ومنها: عدم السلاح عنده فلا يؤثر أي شيء يقوم به.

ومنها: خوف المضاعفات والألم المتزايد، فإن الموت المقبل عليه قد يكون أسهل من بعضها.

وعلى أي حال فنحن نلاحظ بوضوح من التأريخ أن مسلم بن عقيل عليه السلام لم يناقش كما ناقش هاني وصاح. وإنما صعد مسلم بن عقيل عليه السلام مع قاتله باختياره تسليماً لأمر الله وقضاءه.

فإن قلت: فإن هاني يستنهض عشيرته، ومثل هذا النداء يعتبره سبباً لمجيء الآخرين للدفاع عنه. في حين لم يأت أحد لأن المسألة ليست عشائرية، وإنما هي بيد السلطان. ولا طاقة لأحد على السلطان في نظرهم. ولكنه من ناحيته كان يحتمل الإستجابة وإن كان احتمالاً ضعيفاً.

قلنا: نعم، بهذا المقدار أراد أن يستغل الجانب العشائري إلى جنب الحق المهتضم وليس فقط لنجاة نفسه. والدليل على أنه لم يكن ينظر إلى الجانب العشائري محضاً ما قاله بعد ذلك مطالباً بالسلاح للدفاع عن نفسه. إذ لو كان الجانب العشائري وحده مطلوباً له لسكت. وإنما كان يدعوهم لنصرة الحق

المهتضم.

قالوا: وقيل له مد عنقك. فقال: ما أنا بها سخي وما أنا بمعينكم على نفسي. فضربه بالسيف مولى لعبيد الله بن زياد تركي يقال له رشيد، فلم يصنع فيه شيئاً. فقال هاني: إلى الله المعاد، اللهم إلى رحمتك ورضوانك. ثم ضربه أخرى فقتله[١].

أقول: وليس في الرواية أنه قطع رأسه، نعم روي أنه أرسل ابن زياد رأسيهما إلى الشام[٢]. ولكن، لعله قطع بعد الوفاة كما قطعت رؤوس الأصحاب في واقعة الطف.

قالوا: وهذا العبد قتله عبد الرحمن بن الحصين المرادي مع عبيد الله بالخازر[٣]. ولم يذكر مناسبة قتله. فلعله مع التوابين أو المختار أو بسبب شخصي. وهذه النقطة منقولة عن تأريخ الطبري[٤].

وكانت هذه الطبقة حاقدة على المجتمع من ناحية، وعلى أهل الحق من ناحية أخرى، وتشعر بمسؤولية العبودية لهؤلاء وتنفذ له كل طلباته مهما كانت.

قالوا: وأمر ابن زياد بسحب مسلم بن عقيل عليه السلام وهاني رضي الله عنه بالحبال من أرجلهما في الأسواق[٥]، وصلبهما بالكناسة منكوسين[٦].

---

(١) الإرشاد ج٢ ص٦٤.

(٢) الإرشاد ج٢ ص٦٥.

(٣) أنساب الأشراف للبلاذري ص٨٣، مقتل الحسين لأبي مخنف ص٥٧.

(٤) تأريخ الطبري ج٤ ص٢٨٤.

(٥) أنظر الإرشاد ج٢ ص٧٤، البحار ج٤٤ ص٣٧٣.

(٦) نقلاً عن المقرم نسبها إلى مناقب آل أبي طالب ج٢ ص٢١، مقتل الخوارزمي ج١ ص٢١٥. أنظر مقتل المقرم ص١٦٤ ط بيروت.

والكناسة المنطقة التي تجتمع بها الأزبال في المدينة. وفي ذلك زيادة في إحتقارهما. كأنه ألقى جثتهما في الأزبال. وكذلك النكس في الصلب زيادة في الإحتقار. وقد صلب جماعة من أهل البيت عليهم السلام كذلك كزيد بن علي، ويحيى وغيرهم. ونص التأريخ على بعضهم أنهم مصلوبون عراة زيادة في النكاية، ولكن لم ينص ذلك في مسلم بن عقيل عليه السلام وهاني رضي الله عنه.

قالوا[١]: وأنفذ الرأسين إلى يزيد فنصبهما في درب من دمشق، وكتب معهما إلى يزيد كتاباً. وأجابه يزيد على كتابه يمدحه فيه ويشكره، وفيه يقول: وإنه قد بلغني أن الحسين بن علي قد توجه نحو العراق، فضع الناظر والمسالح واحترس على الظن وخذ على التهمة. وهذا الحسين قد ابتلي به زمانك من بين الأزمان وبلادك من بين البلدان، وابتليت به من بين العمال. وعندها تعتق أو تعود عبداً كما تعبد العبيد، فإما أن تحاربه أو تحمله إليَّ.

وليس في النقل التأريخي أنه أرجع رأس مسلم وهاني إلى مدافن الجسدين. ومن البعيد أن تحصل فرصة لذلك. بخلاف رأس الحسين عليه السلام فإنه توجد هناك روايات وأقوال معتد بها على رجوعه إلى مدفنه في كربلاء[٢]. والظاهر أن الإمام زين العابدين عليه السلام هو الذي أخذه من يزيد وأرجعه معه إلى كربلاء وألحقه بالجسد عند مرورهم بكربلاء.

تبقى أطروحة واحدة وهي أن السجاد عليه السلام أخذ الرأسين معه ضمن الرؤوس، إلا أنه لم ينقل أنه جاء إلى الكوفة إلى دفنهما.

---

(١) أنظر الإرشاد ج٢ ص٦٥، البحار ج٤٤ ص٣٥٩.

(٢) أنظر رسائل المرتضى ج٣ ص١٣٠، جواهر الكلام ج٢٠ ص٩٣، أمالي الشيخ الصدوق ص٢٣٢.

وبطبيعة الحال نحن لا نجل ابن زياد الذي فعل هذه الأفاعيل أن يدفن الرجلين بدون تغسيل ولا تكفين[1]. لأنه لا يهتم بأحكام الدين، ولو اهتم أحياناً فإنما يهتم لمصلحة نفسه وأصحابه لا لمصلحة أعدائه.

فإن قلت: فإنهما من الشهداء، والشهيد لا يغسل ولا يكفن، بل يصلى عليه ويدفن بثيابه.

قلنا: هذه القاعدة لا تنطبق على مسلم وهانئ. فإن من شروطها قيام حرب فعلية بين جيشين وأن يموت المقتول خلال القتال. وكلا الأمرين لم يكن له وجود يومئذ. نعم، هم شهداء أكيداً بل من أعظم الشهداء، ولكن ليس بهذا المعنى.

تبقى الإشارة إلى مطلب واحد وهو أنّ المختار الثقفي حين حركته طالب بدم الحسين عليه السلام ولم يطالب بدم مسلم بن عقيل عليه السلام مع أنه أيضاً في الكوفة ولم يكن قد مضى على مسلم بن عقيل عليه السلام زمان طويل. وكان كل من في الكوفة يتذكر مسلماً عليه السلام.

وهذا له عدة مبررات، منها:

١- إن قضية مسلم بن عقيل عليه السلام من ضمن قضية الحسين عليه السلام. فإذا طالب المختار بقضية الحسين عليه السلام فقد طالب بقضية مسلم بن عقيل عليه السلام، لأنها واحدة لا تنفصل.

وكما لم يذكر اسم مسلم بن عقيل عليه السلام لم يذكر اسم حبيب بن مضاهر

---

(١) ورد أن قبائل مذحج قاتلوا القوم وأخذوا جسدي مسلم وهانئ فغسلوهما ودفنوهما. أنظر ينابيع المودة ج٣ ص٥٩.

ومسلم بن عوسجة وأضرابهم. لأن قضيتهم واحدة مع الحسين عليه السلام. فذكر الحسين عليه السلام يكفي عن الجميع.

٢- إن ذكر الحسين عليه السلام هو الذي يجمع الناس والهمة، ويكون له الصولة والجولة دون غيره كما هو واضح. والمهم أن يذكر مفرداً دون شريك لكي يؤثر هذا الأثر.

٣- إن ذكر الحسين عليه السلام ينسي ذكر الآخرين مهما كانوا، وإنما قتل المختار رجال بني أمية لأنهم أعداء الحسين عليه السلام وليس لأنهم قتلوا الآخرين.

كما يقول الشاعر:

أنست رزيتكم رزايانا التي	سلفت وهونت الرزايا الآتية
ومصائب الأيام تبقى برهة	وتزول وهي إلى القيامة باقية

٤- إنه من قال إن المختار ذكر الحسين عليه السلام وحده؟ وإن كانت العبارة مشهورياً: **(يا لثارات الحسين)**[1]. ولكن هذا لم يثبت بطريق معتبر، بل لعلها: يا لثارات الحسين وأصحابه وأهل بيته. وعلى العموم فحركة المختار كانت تريد أن تستوعب كل من يمت إلى الحسين عليه السلام بصلة. وخاصة جميع من قتل في واقعة الطف، بل تشمل مسلماً وهانياً أيضاً.

ولا ينبغي أن ننسى أن مسلم بن عقيل عليه السلام له مع المختار تأريخ لأنه نزل في داره في أول حركته. ومن المستحيل أن ينسى المختار كل هذا التأريخ.

وبهذا ينتهي الكلام عن مسلم بن عقيل عليه السلام رسول الحسين عليه السلام. وطبعاً

(١) أمالي الشيخ الطوسي ص٢٤١، ذوب النضار لابن نما ص١٠٢.

هذا الذي قلناه لا يخلو من نقص لأننا حذفنا ما كنا ذكرناه في كتابنا أضواء على ثورة الحسين عليه السلام[١]. وبضم بعضها إلى بعض يكمل المطلب.

والحمد لله رب العالمين

٥ شوال ١٤١٨

(١) أنظر الأضواء ص١٥٧ وما بعدها ط بيروت.

محتويات الكتاب